قرة العين
في أخبار السيدة
سكينة بنت الإمام الحسين عليهما السلام



رائد الطريفي



مؤسسة طيبة لإحياء التراث



قرّة العين

في أخبار السيدة سكينة

بنت الإمام الحسين عليه السلام

قرّة العين

في أخبار السيدة سكينة

بنت الإمام الحسين عليه السلام

تأليف

رائد الطريفي

اسم الكتاب:

قرّة العين

في أخبار السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام

تأليف

رائد الطريفي

نشر

منشورات الإمام الجواد عليه السلام الخيرية

يطلب من

مؤسسة طيبة لإحياء التراث

الطبعة: الأولى ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م

www.qatifonline.com

admin@qatifonline.com

مراكز التوزيع:

إيران: قم المقدّسة ـ شارع سمية ـ زقاق ١٢ ـ رقم الدار ١ / ٣٦٩ ـ تلفون: ٣٧٧٤٨٩٨٦ ـ ٠٢٥

فاكس: ٣٧٧٤٨٩٨٥ ـ ٠٢٥

العراق: النجف الأشرف ـ الحويش ـ مكتبة الأعراف ـ تلفون: ٠٠٩٦٤٧٨٠٢٧٦٣٨٢٠

البحرين: السنابس ـ مكتبة العصمة ـ تلفون: ٠٠٩٧٣٣٩٢١٤٢١٩ / ٠٠٩٧٣١٧٥٥٣١٥٦



الإهداء

إلى أوسع سفن النجاة وباب رحمة الله :

يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله .. طرقت بابك بيد الرجاء .. متوسِّلاً ومستشفعاً بابنتك السيدة سكينة عليها السلام ..

بها (تعرَّضت لنفحات روحك وعطفك ، منتجعاً غيث جودك ولطفك ، راغباً في امتنانك ، مستسقياً وابل طولك ، مستمطراً غمام فضلك) ...

فبساحتك يا سيد الشهداء (تحطُّ رحال الرّاجين ، وبعرصتك تقف آمال المسترفدين) ..

(فمن ذا الذي نزل بك ملتمساً قراك فما أقريته ، ومن الذي أناخ ببابك مرتجياً نداك فما أوليته ، أيحسن أن أرجع عن بابك بالخيبة مصروفاً ؟!) .

المفتقر إلى نظرة من سيده ومولاه

رائد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على حبيبه محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم إلى يوم الدين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1] هذا هتاف السماء للموحِّدين ، وهم مازالوا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، فيطوِّق أعناقهم بأجر الرسالة المحمدية كلما ردّدُوه ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[2].

أما صاحب الرسالة ﷺ فمازال يوصي بأهل بيته حتى حملت أحاديثه الركبان وملأت الأسفار ، وإذا أردت أن تسمع صوته فاصغِ بقلبك لتسمع آخر ما سمعه منه عامة الموحِّدين قبيل استشهاده روحي فداه ، إنه يهمس بصوته في آخر حياته الخالدة فاصغ السمع مرة أخرى : (أوصيكم بأهل بيتي خيرًا)[3]. هذا أجر الرسالة فهل تعيها أذن واعية ؟!

وإن لم يكن ذلك حائلاً عن إيذاء النبي ﷺ في عترته فلتكن الفطرة وقيم الإنسانية سدّاً دون ذلك ،فما جزاء الإحسان إلا الإحسان ، والمرء يحفظ في ولده ، ولا أعلم أَحُفظ الرسول ﷺ في ولده ؟! أم أوذي ؟! بلى: فما

---

(١) الشورى : ٢٣.

(٢) محمد : ٢٤.

(٣) الإرشاد ١/١٨٤.

أوذي نبي في أهل بيته بمثل ما أوذي نبي الرحمة ﷺ . وهذا التاريخ بين يديك فاسأله ، وألحَّ عليه في السؤال ، ثم اقسم له على أنك لا تذيع له سرًا علّه ينفض الغبار عما أخفاه بين جنباته ، وبعد ذلك قف شاهدًا على آثار بيت النبوة المتناثرة تنبئك بما حلّ بهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1]

وهنا أيها الخبير أضع بين يديك نموذجًا لإيذاء النبي ﷺ في عترته ، يتمثّل في الكذب والافتراء على خيرة النساء حفيدة المصطفى ﷺ السيدة سكينة بنت الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو نموذج فاضح لما أخفي بين الجنبات وحاكته الدخائل والمؤامرات ، وقد جُنّد لهذا الغرض كل وسائل إعلام عصر السيدة سكينة عليها السلام من شعر وغناء وقصص وشخصيات عبثية... ليتم تصوير حفيدة الرسول ﷺ تصويرًا لا يضاهيه أيُّ تصوير عرفه التاريخ ، فهي المتبرِّجة المزواجة اللاهية المستهترة الحاضنة للمجون والغناء والشعراء ... ، وأحسب أن كل ما ألصق بها من كذب وافتراء قد وقع على قلب الكون والحياة وقطب رحاها نبيٍّ الرحمة ﷺ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

هذا النموذج الذي بين يديك نموذج مسبوق اعتمدت في بنائه على دراسات كانت أساسه فهو يأكل ما سقط على خوانها فضلاً عن زادها ككتاب العلامة المحقق السيد عبدالرزاق المقرم قدس سره (السيدة سكينة ابنة الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام) وكتاب بنت الشاطئ الدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن (سكينة بنت الحسين) بالإضافة للبحوث المتناثرة هنا وهناك .

وبعد البحث وجمع مادة الكتاب وقع بين يدي كتاب جليل للمحقق

---

(١) فاطر : ١٤

(٢) يونس : ٦٥.

العلامة السيد محمد علي الحلو (عقيلة قريش آمنة بنت الحسين عليهما السلام الملقبة بسكينة) فما كان منه إلا أن فتح آفاقًا وشحذ الهمّة نحو مزيد من البحث والاستقصاء طلبًا للدليل التاريخي .

وأخيرًا فقد حاولت تتبُّع ورصد كل ما وقع بين يدي من مصادر وأخبار لأضعها بين يديك لتكون مرجعًا لما ورد عن حياة سيدتي ومولاتي السيدة سكينة عليها السلام وقد جعلت فاجعة كربلاء مفصلاً تاريخيًا لحياتها فقسَّمتها إلى ما قبل كربلاء وما في كربلاء وما بعد كربلاء ، إلا أنني اقتصرت فيما يتعلق بكربلاء من أخبارها على بعض الإشارات تجنبًا للإطالة ، فأخبارها مجموعة في كتب المقاتل والسير ، وختمت هذا الفصل بالحديث عن مكانتها ووفاتها ،أما ما بعد كربلاء فقد تتبعت كل ما ألصق بالسيدة الجليلة وأفردت لذلك فصلاً عنونته بالمفتريات ، ثم جعلت للشعر والشعراء مساحة من البحث جمعت فيه كل ما وقع بين يدي من أخبار تشير إلى علاقة السيدة سكينة عليها السلام بالشعر والشعراء وعنونتها باسم الشاعر، ثم انتهيت لفرية الأزواج فتتبَّعت قوائم الأزواج وأفردت كل زوج ببحث .

فمنك - أيها القارئ العزيز - ألتمس العذر ، ومنك أستجدي غضَّ الطرف عن التقصير والخطأ والسهو ، وعذري لك أن ما كتبته كان بمداد العشق والمودة التي تحملها وأحملها لأهل البيت عليهم السلام ، وهل ذلك إلا بعض أجر الرسالة؟!

ولا يفوتني أن أقف ممتنًا لعلماء بلدنا الأعلام الماضين منهم والباقين ، وأخصُّ بالذكر خطباء المنبر الحسيني ، فهذا الكتاب ثمرة جهودهم وتغذيتهم لنا بالعقائد الحقّة ، فلهم ولكل من احتضنني بدءًا بالوالدين والأسرة والمجتمع جزيل الشكر والامتنان ، كما لا يسعني إلا أن أقف صاغرًا شاكرًا داعيًا لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب بالتشجيع

والمعلومة والنقد والتوجيه والتصحيح والتنسيق فأنا أقلُّهم شأنًا .

ومن باب العرفان والامتنان أتقدم معتذرًا لأسرتي وزوجي التي وفَّرت لي أسباب البحث ، فكانت أول المساهمين في إخراج هذا الكتاب ، وأول الناقدين والموجِّهين ، فلها ولأسرتي صادق الاعتذار عن تقصيري وانشغالي .

آمنة أم سكينة؟

دلالة اللقب وضبطه

نسبها الشريف

الرباب

أخبار السيدة سكينة عليها السلام قبل كربلاء

المولد الشريف

دبيرة... أبيرة... قطيرة

شعر الإمام الحسين عليه السلام في الرباب وسكينة

خبر السيدة سكينة عليها السلام في زواج أختها

بين الوراثة والتربية

آمنة أم سكينة ؟

ذكر المؤرّخون أن السيدة سكينة عليها السلام اسمها آمنة أو أميمة ، وإنما سكينة لقب لقّبتها به أمُّها الرَّباب بنت امرئ القيس لسكينتها وهدوء في طبعها غلب عليها .

ورد في أعيان الشيعة : (جاء في تذكرة الخواص : اسمها آمنة ، وقيل : أميمة . وفي الأغاني : اسم سكينة أميمة ، وقيل : أمينة ، وقيل : أمية ، وقيل : آمنة ، وسكينة لقب لقّبت به، وقال مصعب : اسمها آمنة .

وفي شذرات الذهب : اسمها أميمة ، وقيل : أمينة ، وسكينة لقب لها .

وفي مرآة الجنان : قيل : اسمها أمينة ، وقيل : أميمة وهو الراجح ، وسكينة لقب لها .

وروي في الأغاني بسنده عن ابن الكلبي عن أبيه ، قال لي عبدالله بن الحسن : ما اسم سكينة بنت الحسين ؟ فقلت له : سكينة ، فقال : لا اسمها آمنة .

قال : وروي أن رجلاً سأل عبدالله بن الحسن عن اسم سكينة، فقال : أمينة ، فقال : إن ابن الكلبي يقول : أميمة ، فقال : سل ابن الكلبي عن أمه ، وسلني عن أمي .

قال المدائني: حدثني أبو إسحاق المالكي ، قال : سكينة لقب ، واسمها آمنة ، ثم صحح صاحب أعيان الشيعة ذلك بقوله : وهذا هو الصحيح ، ووجدت في مسودة الكتاب ولا أعلم الآن من أين نقلته، قيل : اسمها أمامة ويمكن أن يكون أميمة تصغير أمامة)[1] .

كما جمع السيد محمد علي الحلو ما ورد في أن اسمها آمنة وأن سكينة لقب لها ، فأوفى الكيل في استقصائه وطول أناته مما جعله يُصرّ على اسم آمنة إصرارًا برز في عنوان كتابه (عقيلة قريش آمنة بنت

---

(١) أعيان الشيعة ٣/٤٩١ .

الحسين عليهما السلام) .

وقد اعتمد في ذلك على مصادر نذكرها كما وردت في الهامش تجنبًا للإطالة[١] ، فله منا خير الجزاء على هذا المجهود المبذول في سبيل أجر الرسالة .

وأيًّا كان اسمها فسكينة أضحى علمًا تعرف به تلك المرأة المقدسة الشريفة ابنة الإمام الحسين عليه السلام .

دلالة اللقب وضبطه :

سكن الشيء سكونًا : ذهبت حركته ، وقَرّ ، وفي الصحاح: استقرَّ وثبت، وقال ابن الكمال : السكون عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرَّك[٢] .

والسَّكينة : الوداعة والوقار ، وقوله ﷻ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣] قال الزَّجاج : معناه : فيه ما تسكنون به إذا أتاكم[٤] .

والسِّكِّينة ـ بالكسر مشددة ـ : الطمأنينة ، وقرئ بها قوله تعالى :

---

(١) تاريخ مدينة دمشق قسم تراجم النساء :١٥٦ طبع دمشق تحقيق سكينة الشهابي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري٢٧٦/١ ،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ١٧٥/٧ ، تذكرة الخواص: ٢٤٩، الفهرست لابن النديم: ١٠٧، الأغاني١٤٦/١٦، مقاتل الطالبيين: ٩٤، شذرات الذهب ٨٢/٢ ، مرآة الجنان ٢٥١/١، وفيات الأعيان٣٧٨/١ ، أعلام النساء لعمر كحالة ٢٠٢/٢ ، أعيان الشيعة ٤٩١/٣ ، السيدة سكينة للمقرم : ١٤٠ ، تراجم أعلام النساء للشيخ محمد حسين الأعلمي٢٠٠/٢ ، منتهى الآمال للقمي ٨١٨/١ .

(٢) تاج العروس ٢٨٤/١٨ .

(٣) البقرة : ٢٤٨ .

(٤) لسان العرب ٢١٣/١٣ .

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[١] ، أي ماتسكنون به إذا أتاكم[٢] .

لذا نبَّه السيد المقرم ﷺ إلى أن المناسب فتح السين المهملة وكسر الكاف التي بعدها ، لا كما يجري على الألسن من ضمِّ السين وفتح الكاف[٣].

وهذا الرأي نسبه الصبَّان قبله إلى المشهور حيث قال : المشهور على الألسنة أنه مُكبّر بفتح السين وكسر الكاف[٤] .

ولا يخفى عليك أن ما يجري على الألسن والمشهور خلاف ما ذكره الصبَّان - وهو من المتأخرين - فابن ماكولا المتوفى عام ٤٧٥هـ في باب سكينة يقول : (أما سكينة بضم السين وفتح الكاف وتخفيفها وفتح النون فهي سكينة بنت الحسين ...)[٥] ، وهذا ما أكده صاحب القاموس إذ أشار إلى أن سكينة بالتصغير[٦] ، فذكر أن بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما كجهينة[٧].

ولعل الاستغراق في البحث اللغوي وتفاصيله ، وأن اللقب مُكبّر أم مُصغّر لن يُخرج دلالة اللقب من دائرة الوداعة والطمأنينة والوقار والسكون.

---

(١) البقرة : ٢٤٨ .

(٢) القاموس المحيط ٤/٢٣٥ .

(٣) السيدة سكينة: ١٤٠ .

(٤) إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار : ٢٠٢ .

(٥) إكمال الكمال ٤/٣١٦ مستفاد من محاضرة للأستاذ الخطيب عارف آل سنبل في ذكرى وفاة السيدة سكينة .

(٦) لسان العرب ٤/٢٧٥ .

(٧) القاموس المحيط ٤/٢٣٥ .

نسبها الشريف :

السيدة سكينة أو آمنة بنت الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وكفى بذلك شرفًا ، إذ طأطأ كل شريف لشرفهم ، أبوها الإمام الحسين ابن علي عليهما السلام سيد شباب أهل الجنة (١) والده أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام ، نفس النبي صلى الله عليه وآله بنص آية المباهلة ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ (٢) ووزيره ووصيه (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبي بعدي) (٣) ، (أنت أخي وصاحبي ووارثي ووزيري) (٤) أما والدته فـ (سيدة نساء العالمين) (٥) السيدة فاطمة بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله.

أسماء تفتقر لمُعرِّف يعرفهم وأنى ذلك ؟ وكيف ؟ وقد حُجِبت العقول عن معرفة كنههم ، فهم المعنيون والمخاطبون بآية التطهير ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٦) ، هم النماذج البشرية الكاملة التي خلقها الله لتكون قادة وهداة للبشرية قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٧) وقال

---

(١) مسند أحمد ٣ /٦٢ .

(٢) آل عمران : ٦١.

(٣) صحيح البخاري ٥/١٢٩ .

(٤) السنن الكبرى للنسائي ٥/١٢٦ .

(٥) المستدرك ٣/١٥٦ .

(٦) الأحزاب : ٣٣ .

(٧) الأحزاب : ٢١ .

الرسول ﷺ : (يا أيها الناس إني تركت فيكم من [ما] إن أخذتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[١] وقال ﷺ : (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)[٢].

نماذج بشرية لمن أراد كمال التوحيد والعبادة والهداية والنجاة لئلا يكون للناس على الله حجة ، أدلاء إلى الله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، هذا نسب سيدتي ومولاتي السيدة سكينة عليها السلام.

أولئكَ آبَائي فَجِئْني بمِثلِهم   إذا جَمعتْنَا يَاجريرُ المجَامِعُ [٣]

---

(١) سنن الترمذي ٣٢٨/٥ .

(٢) المستدرك ٣٤٣/٢ .

(٣) الفرزدق ، خزانة الأدب للبغدادي ١١٦/٩ .

الرّباب :

أما والدة السيدة سكينة عليها السلام فهي الرباب بنت امرئ القيس بن عدي [١]، ابن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب [٢] بن عبدالله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب [٣].

وأم الرباب هند الهنود بنت الربيع بن مسعود بن مصاد بن حصن بن كعب بن عليم بن جناب [٤].

الرباب وما أدراك من الرباب؟! سيدة تجلببت بجلباب الكمالات ، وأقرَّ لها التاريخ بتلك الملكات ، ومما ورد في طياته أنها من أجمل النساء وأعقلهن [٥]، ارتقت ذُرى الخلود حين ارتبط اسمها بسيدها ومولاها الإمام الحسين عليه السلام. دلّ على علوّ شأنها ورفعتها مواقفها قبل أقوالها ، فكانت محلّ إكرام وإكبار وإجلال من البيت العلوي .

خبر زواج الرباب :

جاء في شأن زواجها من الإمام الحسين عليه السلام عن عوف بن خارجة قال : إني عند عمر بن الخطاب في خلافته إذ أقبل رجل أمعر [٦] يتخطى رقاب الناس ، حتى قام بين يدي عمر فحيَّاه بتحية الخلافة ، فقال : عمر من أنت؟ فقال : امرؤ نصراني ، وأنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي ، فلم يعرفه عمر ! فقال له رجل من القوم : هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار

---

(١) الإرشاد للمفيد ١٣٥/٢.

(٢) نسب قريش : ٥٩ .

(٣) الطبقات الكبرى ٤٧٥/٨ .

(٤) مقاتل الطالبيين : ٥٩ .

(٥) تاريخ مدينة دمشق ١٢٠/٦٩.

(٦) يقال : معر الرجل معرًا أي سقط شعره أو قَلَّ .

عليهم في الجاهلية يوم فلج ، فقال : فما تريد ؟ قال : أريد الإسلام فعرضه عليه فقبله ، ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم من قضاعة .

قال : فأدبر الشيخ واللواء يهتزُّ على رأسه . قال عوف بن خارجة : ما رأيت رجلاً لم يصلِّ سجدة أمرَّ على جماعة من المسلمين قبله . قال : ونهض علي بن أبي طالب ومعه ابناه الحسن والحسين عليهما السلام من المجلس حتى أدركه فأخذ برأسه فقال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وصهره وهذان ابناي من ابنته ، وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا . قال : قد أنكحتك ـ يا علي ـ المحياة بنت امرئ القيس ، وأنكحتك ـ يا حسن ـ سلمى بنت امرئ القيس ، وأنكحتك ـ يا حسين ـ الرباب بنت امرئ القيس [1] .

ردّ خبر الزواج :

أورد قصة الزواج السيد المقرم قدس سره [2] وردّها ورفضها ، ووقف منها موقفًا يَنُمُّ عن ذوق راقٍ لا يتأتى إلا لمن سبر غور التاريخ ، وأعانه على ذلك معرفته بمكانة المعصوم ومودته لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله إذ هي أجر الرسالة .

وقد لخّص أسباب رفض السيد المقرم قدس سره لرواية زواج الرباب أستاذنا صاحب (عبق من السيرة الحسينية) فأوجزها في نقاط [3]:

١-إن الأسلوب الذي اتخذه أمير المؤمنين عليه السلام في طلبه للزواج من بنات امرئ القيس لا يتناسب مع الأخلاق النبوية التي يتحلى بها صاحب الخلافة الكبرى .

٢-إن الأسلوب كذلك لا يتفق مع الأعراف التي ألفها المسلمون في

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١١٩/٦٩ ، الغارات ٨١٦/٢ ، الإصابة ٣٥٥/١ .

(٢) السيدة سكينة ، المقرم : ١٣٣ـ١٣٥ .

(٣) عارف آل سنبل : ٢٨٩ ـ ٢٠٩.

طريقة تقدُّمهم لطلب الزواج .

٣-إن القصة تحمل تسرُّعًا من أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته بنات رجل نصراني حديث عهد بالإسلام .

٤-تحمل هذه الرواية مغمزًا في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد رسمته رجلاً خاضعًا لشهواته ، تحفّزه الغريزة الجنسية .

٥-لقد تجاهلت الرواية رأي البنات المخطوبات ، وجعلت الرأي للأب فقط ، ولم تذكر المهر فيها ، وما يذكر من مخارج فقهية لا تصح مع هذه الحالة التي لا يخاف فيها من فوات الزوجة .

٦-إن الرواية تفترض بقاء الرباب دون حمل أو ولادة أكثر من عشرين عامًا ، والعادة تستبعد حدوث مثل ذلك .

مكانة والد الرّباب :

إن هذه الرواية وأمثالها وإن لم تستقم مع الذوق العام فهي تعطينا إشارات لمكانة امرئ القيس والد الرباب التي كان يتمتع بها قبل الإسلام وبعده ، فهو لم يكن شخصية مغمورة ، وإنما كان شخصية قيادية ذات شرف وسيادة أهّلت الرباب ـ بالإضافة لما تمتلكه من مقومات ـ لأن تحظى بشرف الاقتران بالإمام الحسين عليه السلام فتنجب منه السيدة سكينة عليها السلام ، وعبدالله الرضيع الذي قتل صغيرًا ، جاءته نشابة وهو في حجر أبيه فذبحته[1] .

أبعاد من شخصية الرباب :

ولكي نقف على أبعاد عظمة شخصية الرباب علينا التأمل في مواقفها الخالدة التي سطّرها لها التاريخ بالإكبار والإجلال .

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٥٩ .

الموقف الأول :

ورد في تاريخ مدينة دمشق : أنه لما توفي الإمام الحسين عليه السلام خُطبت الرباب وألحَّ عليها فقالت : ما كنت لأتخذ حموًا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلم تتزوج ، وعاشت بعده سنة لم يظلّها سقف بيت حتى بليت وماتت كمدًا (١).

ويقال : إنها عاشت بعده أيامًا يسيرة ،كما ورد أنها أقامت على قبر الإمام الحسين عليه السلام سنة ثم انصرفت وهي تقول:

إلى الحولِ ثمّ اسمُ السّلامِ عليْكُما
ومَنْ يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتَذر (٢)

كما جاء : أنها حملت إلى الشام فيمن حمل من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله ثم عادت إلى المدينة .... وقيل : إنها أقامت على قبره سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفًا على الحسين (٣) .

الموقف الثاني :

صورة أخرى اختطّتها الرباب بما ورد عنها من رثاء في الإمام الحسين عليه السلام لا يملك المتأمل في هذا الشعر إلا أن يذعن أن وراءه قلبًا مُلئ إيمانًا لِما احتواه من مفردات تدل على معرفة حقيقية بمكانة المعصوم ، فمما ورد عنها:

إن الذي كان نورًا يُستضاءُ بهِ — بكربلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفونِ
سِبطَ النّبيِّ جَزَاكَ اللهُ صَالِحةً — عنّا وجُنِّبت خُسْرَانَ الموازينِ
قَد كُنتَ لي جبلاً صعبًا ألُوذُ بهِ — وكُنتَ تَصحَبُنا بالرَّحمِ والدينِ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٢٠/٦٩ .

(٢) البداية والنهاية ٢٢٩/٨ ، والبيت للبيد وقد أنشأته الرباب متمثلة به ، راجع خزانة الأدب ٣١١/٤.

(٣) الكامل في التاريخ ٨٨/٤ .

مَنْ لليتامى ومَنْ للسائلينَ ومَنْ يُغني ويُؤي إليه كُلَّ مِسكينِ[(١)]

وزاد صاحب أعيان الشيعة:

تاللّهِ لا أبْتَغي صهرًا بصهركمُ حتى أُوسّدَ بينَ اللحدِ والطينِ[(٢)]

فمتى ما دققنا في هذه الأبيات وجدناها ملئت بالمفردات والقيم الإسلامية التي تعكس شخصية هذه المرأة العظيمة (سبط النبي ، خسران الموازين ، الرحم والدين ، اليتامى ، السائلين ، مسكين ...) .

الموقف الثالث :

تعال معي لنقف على بعد آخر من شخصيتها من خلال ندبتها للإمام الحسين عليه السلام ، بعد أن سيقت بنات الرسالة وحرائر الوحي سبايا إلى الشام ، فأخذت الرأس الشريف وضعته في حجرها وقبّلته قالت:

واحسينًا فلا نسيتُ حسينًا أقْصدتهُ أسِنَّةُ الأعداءِ

غادروه بكربلاءَ صريعًا لا سَقى اللّهُ جانبي كربلاءِ[(٣)]

ندبة وحرقة استمرت ترافقها لذلك الخطب الفظيع حتى ماتت كمدًا على سيدها ومولاها سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

---

(١) الوافي بالوفيات ١٤/ ٥٣ .

(٢) السيد محسن الأمين ١/ ٦٢٢ .

(٣) تذكرة الخواص : ٢١٩ .

أخبار السيدة سكينة عليها السلام قبل كربلاء :

لا شك أن هناك شخصيات استطاعت تغيير مسار التاريخ وإدارة دفّته ، ولا شك أن هناك أحداثًا قلبت الموازين التاريخية ، ولو أنصف التاريخ وأهله لكانت كربلاء الإمام الحسين عليه السلام مفصلاً تاريخيًا بنوا عليه دراستهم ، فلو ألقينا نظرة سريعة على بداية نهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية والثورات بين هذه وتلك وما أحدثته من تغييرات اجتماعية وسياسية فسنجد كربلاء حاضرة بين كل تلك الجنبات ، بل تمتد وتتعدى إلى أبعد من تلك الجنبات والأمكنة والأزمنة .

وإن المتصفح في حياة السيدة سكينة عليها السلام أينما سرَّح فكره وأطلق العنان لبصره سيجد تاريخ كربلاء حاضرًا ، إذ لا يمكن تجاوزه بحال من الأحوال ، لذا سنبني حديثنا عن هذه السيدة الجليلة على هذا التاريخ المهم في حياة الأمة الإسلامية وحياتها.

ونشير هنا إلى أننا حاولنا استقصاء كل ما وقع في أيدينا عنها من أخبار تَذْكُرها أو تُشير لها ، وهي أخبار قليلة نادرة ، إذ لم تكن قبل كربلاء محطَّ أنظار كتّاب التاريخ ، أو قل إنه تمَّ إغفال تلك الحياة الطاهرة لأسباب عقدية وسياسية ، حالها في ذلك حال الأسرة المحمدية التي ضُيّع تاريخها عمدًا . على حين أنك ستجد شخصيات تاريخية تم تدوين أدقّ تفاصيلها من مأكلها ومشربها وملبسها ... وهي - قطعًا - دون الشجرة الزكية والدوحة المحمدية ، بل من هوان الدنيا على الله - جل شأنه - أن يُقرَنَ آل الرسول صلى الله عليه وآله بغيرهم حيث (لا يلحقهم لاحق ، ولا يفوقهم فائق ، ولا يسبقهم سابق ، ولا يطمع في إدراكهم طامع).

المولد الشريف:

(لم يتضح لنا سنة ولادتها ولا مقدار عمرها ، وإن أمكننا القول بأنها

قاربت السبعين بعد ملاحظة سنة وفاتها (وهي ١١٧هـ) وكونها يوم الطف بالغة مبلغ النساء ، ولا أقل من التقدير بالعشرة)[١].

وقد حدَّد المتأخرون سنة ولادتها بناء على عمرها وسنة وفاتها ، لكننا لم نوفَّق للوقوف على من يذكر عمرها الشريف في مصادر المتقدمين ، وللمتأخرين آراء في عام ولادتها :

الرأي الأول:

يذكر أن إشراق نور السيدة سكينة عليها السلام كان عام ٤٢هـ واعتمد هذا الرأي على كون عمرها الشريف ٧٥ سنة وأن سنة وفاتها عام ١١٧هـ ، وقد تبنَّى هذا الرأي الحاج حسين الشاكري في كتابه العقيلة والفواطم دون الإشارة إلى المصدر التاريخي الذي اعتمده في تحديد عمرها الشريف[٢]. وقد أكد هذا التاريخ أي عام(٤٢هـ) الدكتور حسن عباس نصر معتمدًا على الحكيمي في أعلام النساء ص٢٢٢ ، وأنها توفيت عام ١١٧هـ عن خمس وسبعين سنة [٣].

وجاء في هامش شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي : قال ابن الجوزي وابن خلكان والنووي في تهذيب الأسماء : ٢٦٣/١ إن مدة حياتها خمس وسبعون سنة وتوفيت ١١٧هـ [٤].

وعند مراجعة تلك المصادر لم أجد ما أورده المحقق ، ولعله وقف على

---

(١) السيدة سكينة، المقرم : ١٤٠ ، وجاء في تاريخ الأدب العربي لبلاشير: ٧٩٨ أنها ولدت حوالي سنة ٥١هـ دون الإشارة لمصدره.

(٢) العقيلة والفواطم : ١٦١ .

(٣) مجلة نور الإسلام ، العددان ٢٩و٣٠ السنة الثالثة محرم وصفر ١٤١٣هـ تموز آب ١٩٩٢م :٤٣.

(٤) هامش شرح الأخبار ١٨١/٣ .

نسخ لم نقف عليها .

الرأي الثاني:

القائل بمولدها الشريف عام ٤٧هـ ، وهو رأي تبنَّته بنت الشاطئ ، ولعلها بَنَتْ على إرسال السيد المقرم بأن سنة ولادتها في عام ٤٧هـ[١] ، فذكرت : (أننا حين نلتمس من أخبارها ما يعين على تقدير تاريخ مولدها ، نجد أول ما نجد ذلك الخبر الذي يشير إلى وفاتها في نحو السبعين من عمرها ... فالقول بوفاتها وهي في نحو السبعين من عمرها عام ١١٧هـ يجعل مولدها حوالي ٤٧هـ بعد سبع سنين من مقتل جدِّها الإمام علي كرم الله وجهه وانتقال الخلافة إلى معاوية كبير البيت الأموي .

فإذا أضفنا إلى هذا ما ذكره رواة سيرتها من أن ابن عمها الحسن تقدَّم إلى عمه الإمام الحسين يطلب أن يزوِّجه إحدى ابنتيه فاطمة أو سكينة ... كان مقتضى هذا أن سكينة أدركت سنَّ الزواج في حياة أبيها ﷺ وهو ما يؤيِّد الاستنتاج الأول الذي يبلغ بسنها أربعة عشر ربيعًا عندما استشهد أبوها الإمام في كربلاء في شهر المحرم سنة ٦١هـ)[٢].

هذه المحاولة وإن كانت جيِّدة من بنت الشاطئ للتقريب من تاريخ ولادة السيدة سكينة بنت الحسينعليها السلامإلا أنها افتقرت للتوثيق والاستناد إلى المصدر التاريخي الذي يشير إلى وفاتها وهي في نحو السبعين من عمرها الشريف .

الرأي الثالث:

لصاحب مستدرك سفينة البحار ، وقد جاء لفظه يحمل الترديد في كون السيدة سكينة عليها السلام لها من العمر في واقعة الطف خمس عشرة سنة

---

(١) السيدة سكينة ، المقرم : ١٤٠ .

(٢) سكينة بنت الحسين ، بنت الشاطئ : ٢٨ .

وبذلك يقترب من موافقة الرأي الثاني ، أو اثنتان وعشرون سنة بناء على أنها توفيت ولها ثمانون سنة أو أقل تقريبًا[١] .

النتيجة :

إذا ما أضفنا لتلك الأخبار رواية الزواج ، وأن أختها السيدة فاطمة عليها السلام أكبر منها[٢] ، وأن تاريخ ولادة السيدة فاطمة عام ٤٠هـ[٣] ، فإنه يمكن تحصيل شيء من الطمأنينة بكون ولادة السيدة سكينة بين ٤٢هـ و٤٧هـ ويؤكد ذلك ارتباط السيدة سكينة عليها السلام بابن عمها عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام قبل كربلاء ٦١هـ على اختلاف بين الدّخول بها وعدم الدّخول وسيأتي تفصيله .

---

(١) مستدرك سفينة البحار ٩٣/٥ .

(٢) الكامل في التاريخ ٨٦/٤ ، البداية والنهاية ٢١٣/٨ .

(٣) الأعلام :١٣٠/٥ .

دبيرة ... أبيرة ... قطيرة :

لقد حفظ لنا أهل اللغة والأدب حادثة سجلوها على أنها شاهد لغوي ، وهي شاهد على فصاحة وبيان السيدة سكينة عليها السلام في طفولتها ، وأحسب أنك تتفق معي في أن البيت الهاشمي وهِب جوامع الكلِم ، بل وهب جوامع الكمالات، والشواهد التاريخية والأدبية على بيانهم وفصاحتهم أكثر من أن تحصى ، ولو أحصيت لجاءت في مجلدات .

لقد ورد : أن سكينة جاءت وهي صغيرة إلى أمها وهي تبكي ، فقالت لها : ما لكِ ؟ فقالت: مرّت بي دبيرة ؛ فلسعتني بأبيرة ، فأوجعتني قطيرة [1] .

رواية إن قبلتها بذوقك السليم ، فإنها توضع ضمن سياق عصر الاحتجاج باللغة، لذا ساقها اللغويون واستشهدوا بها ، وذكروا أن : الدبيرة تصغير دبرة وهي النحلة وكل ذلك لا يعدو أن يكون تعبيرًا عن ألم أصاب طفلة جرّاء لسع نحلة .

أمّا رواية صاحب الأغاني فهي عن محمد بن سلام ، وقد قال : كانت سكينة مزّاحة ، فلسعتها دبيرة فولولت ، فقالت لها أمها : ما لكِ يا سيدتي؟ وجزعت ، فقالت : لسعتني دبيرة، مثل الأبيرة، فأوجعتني قطيرة[2] .

وإذا تأمّلنا رواية محمد بن سلام وقارناها بالرواية السابقة سنجد أن السيدة سكينة عليها السلام هنا لم تكن طفلة ، فقد تحوّلت بمشيئة الرواة إلى امرأة تخاطبها أمها الرباب بسيدتي ، ولم تبكِ ، وإنما تحوّل بكاؤها إلى ولوال ، والغاية من ذلك إثبات أنها عليها السلام كانت ظريفة مزّاحة .

---

(١) تاريخ دمشق ٢٠٧/٦٩، النهاية في غريب الحديث ٩٩/٢ ، تاج العروس ٣٨٤/٦ ، الفايق في غريب الحديث ٣٥٥/١ ، لسان العرب ٢٧٥/٤ .

(٢) الأغاني ١٥٢/١٦ .

راوي الخبر :

يكفينا أن نشير إلى أن راوي الخبر هو محمد بن سلام الجمحي المولود عام ١٣٩هـ أي بعد وفاة السيدة سكينة عليها السلام (١١٧هـ) باثنتين وعشرين سنة وأن أهل الحديث لايكتبون عنه [١].

وعلى ما في الرواية من سقم فقد استدلت بها بنت الشاطئ على طفولة السيدة سكينة عليها السلام وأنها كانت مرحة ومبعث أنس لأهلها الكرام [٢]. لتمهِّد هي ومن سبقها لرسم صورة هذه السيدة الجليلة مؤطرة بالمزاح واللهو، لكي يستقيم ما سيلصق بها من لهو ومجون .

---

(١) تاريخ بغداد ٢/٤٠١ .

(٢) سكينة بنت الحسين ، بنت الشاطئ : ٢٩ .

شعر الإمام الحسين عليه السلام في الرباب وسكينة :

مما ورد في الرباب بنت امرئ القيس وابنتها السيدة سكينة عليهما السلام قبل فاجعة كربلاء ونسب للإمام الحسين عليه السلام :

لَعمرُك إنني لأُحبُّ دارًا تُضيِّفها سُكينةُ والرَّبابُ
أُحبُّهما وأبذُلُ بَعْدُ مالي وليس للائمي فيها عتابُ
ولستُ لهمْ وإنْ عَتَبُوا مُطيعًا حيَاتي أوْ يُغَيِّبني التُّرَابُ [١]

وقد جعلها البلاذري في أنسابه والزبيدي في تاج العروس ظلمات بعضها فوق بعض ، فذكرا أن الإمام الحسين عليه السلام قال أيضا في الرباب فقط:

أُحِبُّ لحبِّها زيدًا جميعًا ونَتْلَةَ كلُّها وبني الربابِ
وأخوالاً لها مِن آلِ لامٍ أُحِبُّهمُ وطرَّ بني جنابِ [٢]

خبر الأبيات :

وللأبيات التي قيلت في السيدة سكينة عليها السلام والرباب حكاية يرويها لنا صاحب الأغاني بسنده عن مالك بن أعين ، قال : سمعت سكينة بنت الحسين تقول : عاتب عمي الحسن أبي في أمي فقال:

لعمرك إنني لأُحبُّ دارًا تكونُ بها سُكينةُ والرَّبابُ
أُحبُّهما وأبذُلُ جُلَّ مالي وليس لعاتبٍ عندي عتابُ [٣]

وقفة مع الأبيات :

لا شك ولا ريب أن الإمام الحسين عليه السلام لهو الكمال المتجسد ، وهو الخلق

---

(١) نسب قريش : ٥٩ .

(٢) تاج العروس ٢/ ١٠ ، أنساب الأشراف ٢/ ٤١٧ .

(٣) الأغاني ١٦/ ١٤٦-١٤٧ .

القويم والفضيلة ، ولاغرو أن تكون علاقته بزوجته الرباب وابنته السيدة سكينة عليهما السلام علاقة ودٌ وتراحم ، فهو مصداق قول الرسول صلى الله عليه وآله : ((خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي)) [١] ، وليس من العيب أن يصرِّح المرء بحبِّه لزوجه وابنته في محيطه الأسري، ولكن أن يذكرهما دون غيرهما بأبيات شعرية يتناقلها الرواة ففي ذلك ألف تأمل ونظر ، خاصة في ذلك المجتمع وتلك الظروف .

وقد يقول قائل : وماذا يعني أن يذكر الرجل حليلته في أبيات ويُعبّر عمّا يكنُّه لها ولابنتها من مشاعر ؟

البيئة الاجتماعية والسياسية :

إذا استعرضنا البيئة الاجتماعية الرافضة لمثل هذا التصرف ، والبيئة السياسية المتربصة بالإمام الحسين عليه السلام في ذلك الزمان لما قبلنا أن يذكر الإمام الحسين عليه السلام على جلالة قدره زوجته وابنته في أشعاره (وهو يعلم بطبع الحال أنه ستسير به الركبان ، ثم يُبثُّ ذلك بين الناس ، فتلوكه الأشداق حتى يغني به المغنّون في منتديات البطر ومجتمعات الفجور) [٢]،فقد أورد صاحب الأغاني البيتين ، ثم قال : الشعر للحسين بن علي بن أبي طالب ، والغناء لابن سريج رَمَل بالبنصر ، وفيه للهذلي ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق [٣] .

إن تشبيب الرجل بامرأته لا يجوز في أهل المروءة فضلاً عن الإمام الحسين عليه السلام ولا عُرف ذلك قبله ولا بعده عند أهل المروءة فضلاً عن أهل

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣/٥٥٥ .

(٢) السيدة سكينة ،المقرم : ١٢٠ .

(٣) الأغاني ١٦/١٤٣ـ١٤٤ ، وما ورد (رمل ، بنصر ، ثقيل ...) مصطلحات خاصة بالألحان الغنائية في ذلك الزمان .

العصمة وآية التطهير .

أغراض الشعر التقليدية :

إن الأبيات المنسوبة للإمام الحسين ﷺ فيها تصريح بالحب يتنافى مع المروءة والقيم ،حتى أنك لتجد في كلام فقهاء المسلمين وبحوثهم ما يشير إلى الخلاف في ردِّ أو قبول شهادة المشبِّب بزوجته وأمته [١] .

ولعل معترضًا يقول : أن ما ورد في الأبيات لا يعدُّ تشبيبًا ولا غزلاً ، فإذا كان الأمر كذلك فليصنف لنا الأبيات ضمن الأغراض التقليدية التي عرفها الشعراء في ذلك العصر، من مدح وهجاء وفخر ورثاء وحكمة ...

(فتشبيب الشعر ترقيق أوله بذكر النساء ... وشبب بالمرأة قال فيها الغزل والنسيب)[٢] ، (ويقال : شبَّب الشاعر بفلانة أي عرَّض بحبها ، وذكر حسنها والمراد ترقيق الشعر بذكر النساء)[٣] .

ولكي نقف على أبعاد ذلك سنتناوله في جنبتيه الاجتماعية والسياسية .

أبعاد التشبيب :

١) الجنبة الاجتماعية :

وردفي كتب الأدب والتاريخ كثير من الأخبار الرافضة للتشبيب بالنساء، وما ذلك إلا لكون المجتمع يتمتع بمجموعة من القيم والعادات تحكم تصرفاته وأقواله ، وسنورد هنا بعض الشواهد الدالة على رفض المجتمع للتشبيب ، وقد راعينا فيها المرحلة الزمنية التي عاشتها السيدة سكينة ﵍ والسابقة لها واللاحقة إذ هي مدار البحث .

---

(١) راجع جواهر الكلام ٤١/٤٩ ،مصباح الفقاهة ٣١٥/١ ، روضة الطالبين ٢٠٧/٨ .

(٢) لسان العرب ٤٨١/١ .

(٣) فتح الباري ٣٧٣/٨ .

❖ إن رسول الله ﷺ أمر بقتل كعب بن زهير بن أبي سلمى وقطع لسانه لأنه كان قد تشبَّبَ بأم هانئ بنت أبي طالب [(١)] ، ولكعب هذا ابن شاعر اسمه عقبة ولقبه المُضَرَّب لأنه شبب بامرأة فضربه أخوها بالسيف ضربات كثيرة فلم يمت[(٢)]

❖ مما جاء في ترجمة سحيم وهو شاعر عاش أواخر أيام عثمان : شاعر رقيق الشعر كان عبدًا نوبيًا أعجمي الأصل ، قتله بنو الحسّحاس ، وأحرقوه لتشبيبه بنسائهم [(٣)] .

❖ أما في عصر السيدة سكينة عليها السلام فإننا نقف مع كثير عزة والعشق العذري الذي سطره التاريخ والأدب بشيء من الإعجاب، فقد ورد في البداية والنهاية: أن عبدالملك بن مروان أراد أن يزوِّج كثيرًا من عزة ، فأبت عليه وقالت : يا أمير المؤمنين،أبعد ما فضحني بين الناس وشهرني في العرب ! وامتنعت من ذلك كلَّ الامتناع[(٤)] ، وقد جاء في تاريخ مدينة دمشق قولها : بعدما شهرني في العرب وشبب بي فأكثر ذكري ، ما إلى هذا سبيل [(٥)] .

❖ إذا ابتعدنا قليلاً عن المشرق العربي الأكثر تشددًا إلى المغرب (الأندلس) حيث المجتمع أكثر تحررًا ، فإننا نجد أن أبا مروان - وهو شاعر من أهل الأندلس - كان يودُّ خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافري ، فظهر له تشبُّب بها فغار لذلك إخوتها وفرَّقوا بينهما ، واشتهر أبو مروان هذا فقتله إخوتها [(٦)] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٢٧٦/٢ هكذا ورد في المصدر وإلا فهناك أسباب أخرى .

(٢) خزانة الأدب ١٥٥/٩ .

(٣) الأعلام ، الزركلي ٧٩/٣ .

(٤) البداية والنهاية ٢٨٣/٩ .

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٢٨١/٦٩ .

(٦) الوافي بالوفيات ١٨٤/١٣ .

رفع شُبهة :

هذه نماذج تؤكّد على رفض المجتمع للتشبيب ، ولعلك قد تعجّلت علينا بإشكال مفاده : أن ما ورد من نماذج كان في تشبيب الأجنبي بالأجنبية وأن الرفض الاجتماعي لهذه الظاهرة ينحصر في هذا الإطار ولا يتعدّاه إلى تشبيب الزوج بزوجه .

لذا كان لزامًا علينا رفع هذا الاشتباه بنموذج من العصر الأموي الذي عاشته السيدة سكينة عليها السلام وهو نموذج يشير إلى مراحل تطور الغزل وقد أورده المستشرق بروكلمان حيث جاء : أن أول من انحرف بأشعار الغزل إلى المجون مرداس بن خذام الكوفي وشبب بزوجته [(١)] ، فقد اعتبر بروكلمان ذلك انحرافًا إلى المجون لم يعهده المجتمع من قبل .

اكتمال عناصر الصورة:

ولكي تكتمل عناصر الصورة فإنه لا يمكن تجاوز الأبيات التي جاءت في شرح إحقاق الحق ، حيث أضيف للأبيات السابقة مع تغيير يسير بيت رابع جدير بالتأمُّل والوقوف :

لَعمرُك إنني لأُحبُّ دارًا ... تكونُ بها السُّكينةُ والرَّبابُ
أُحبُهما وأبذُلُ جُلَّ مالي ... وليس لعاذلٍ عندي عتابُ
ولستُ لهمْ وإنْ عَتَبُوا مُطيعًا ... حيَاتي أوْ يُفنّيني التُّرَابُ
كأنَّ الليلَ موصولٌ بليلٍ ... إذا زارت سكينة والرّبابُ [(٢)]

وقد وقف مع البيت الأخير أستاذنا صاحب (عبق من السيرة الحسينية)

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ١/٢٥٦ .

(٢) شرح إحقاق الحق ١٩/٤٢٦ ، ونسب الزبيدي في تاج العروس البيت مفردًا للإمام الحسين عليه السلام :١٨/٢٩٠ ، وقد ذكره السهيلي في الروض الأنف ١/٢٧٧ ، كما أورده الزمخشري في الفائق في غريب الحديث دون أن ينسبه للإمام الحسين عليه السلام ٢/ ١٠٢ .

فذكر أن : (البيت الرابع يكشف عن العلاقة التي تربط الشاعر ، ومن ورد ذكرهما في الأبيات ، فهي علاقة عشق وحب وغرام ، وليست علاقة حبِّ أبٍ لابنته أو زوجته .

فهو يعبِّر عنها بأنها زائرة له ، والرجل المتزوج لنساء عدة يكون هو الزائر لإحداهن ، وليس العكس كما صوَّرته الأبيات .

وإنّ ذكره لزيارة المرأتين له ليلاً وتطاول الليل لزيارتهما علامة واضحة على أنها تحكي مغامرة غرامية قد قامتا بها .

ومن له ذوق أدبي يعرف أن الأب لا يُعبِّر بتعبير يجمع فيه بين الزوجة والبنت بهذا الأسلوب)[١].

وبعد استعراض بعض الشواهد التاريخية والأدبية أظنك بدأت تَطّلع على عظيم تلك الفرية والكذبة التي ألصقت بسيدنا ومولانا الإمام الحسين عليه السلام والتي لا تنسجم مع القيم والأخلاق فضلاً عن الخلق والمُثُل الرسالية .

٢) الجنبة السياسية :

كان الشعر في ذلك العصر من أهم وسائل الإعلام ، لذا اتخذ الفرقاء السياسيون من الشعر وسيلة لبثِّ أفكارهم والترويج لها ، واستُخدمت تقريبًا جميع أغراضه من هجاء ، ومدح ، ورثاء ، وفخر ... لهذا الغرض ، بل تعدَّى ذلك بأن سُخِّر الغزل لذلك أيضًا ، فالمتتبع لمسيرة الغزل يعلم بأن العرب استخدمته لتشنيع الخصوم ، فراح الشعراء يتغنون بنساء الفرق المعادية لا للغزل ذاته ، أو أن هناك علاقة ربطت بين الشاعر والمشبَّب بها ، بل كان وسيلة من وسائل الحرب بين تلك الفرق سواء أكانت سياسية أو عقدية.

وقد مرّ علينا أن الرسول صلى الله عليه وآله : أمر بقتل كعب بن زهير بن أبي سلمى

(١) عبق من السيرة الحسينية : ٣٠١.

وقطع لسانه لأنه كان شبب بأم هانئ بنت أبي طالب [1] ، ولا يمكن تفسير هذا التشبيب إلا ضمن السياق السياسي الهادف للنيل من الخصم .

وهذا عبدالرحمن بن حسان بن ثابت (كان يهاجي عبد الرحمن بن الحكم الأموي ، ويتعرض لنساء بني أمية ، وكان ممن تعرَّض لهن رملة بنت معاوية ، إذ تغزّل بها غزلاً مفحشًا ، وبذلك كان أول من اتخذ الغزل سلاحًا للهجاء السياسي)[2] .

وجاء أن : العرجي شاعر يسلك مسالك عمر بن أبي ربيعة وشبَّب بجيداء أم محمد بن حسان المخزومي ، وقيل إنه لم يكن يحبها ، ولكن أراد أن يفضح ابنها[3] .

وهنا يجب التنبيه أن الأمثلة السابقة عن تحوّل الغزل من غرضه إلى غرض آخر بدافع سياسي يُحتّم على متعاطيه النظر في تلك الملابسات ، فإذا ما وضعنا الإمام الحسين عليه السلام في موقعه السياسي والاجتماعي اللائق به، بل اللائق بمن هم دونه من أهل السيادة والشرف ، فلا يمكن قبول صدور هذه الأبيات منهم ، وإن نُسبت هذه الأبيات وغيرها لمثل الإمام الحسين عليه السلام فيُعلم أنها ما خطّت إلا بأيدي السياسة الآثمة للنيل منه عليه السلام.

العلاقة المتشنجة بين السبطين عليهما السلام :

ومما يدلّل على تدخُّل اليد السياسية ، الخبر الموضوع لبيان مناسبة هذه الأبيات ، والذي يشير إلى عتاب الإمام الحسن عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام على

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/٢٧٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي ، شوقي ضيف : ٢٥٩ ، ولعلّه عنى أن عبدالرحمن بن حسان أول من اتخذ الغزل سلاحًا في العصر الإسلامي بين المسلمين ، وإلا فهو مسبوق بنموذج كعب .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ١/٢٥٦ .

حبه للرّباب ، فما كان منه إلا أن أنشأ هذه الأبيات! (فهذه القضية تقع ضمن سلسلة من المحاولات لرسم علاقة متشنجة بين أهل البيت عليهم السلام ، وقد تعددت مسارح هذه الأكاذيب ، فتارة تكون بين علي والزهراء عليهما السلام ، وأخرى بين علي والحسن عليهما السلام ، وثالثة بين الحسن والحسين عليهما السلام)[١].

محاولة لجعل أهل البيت عليهم السلام شخصيات مختلفة يحملها الهوى والميل ويركب بها كل مركب ، فيتفقون ويختلفون تبعًا للمحرك والظروف ، وهذا جهل بحركة المعصوم المبنية على رضا الله وامتثال أمره فقد ورد أن جابر بن عبدالله قال للإمام الحسين عليه السلام : لا أرى إلا أنك تصالح ، كما صالح أخوك ، فإنه كان موفّقًا راشدًا . فقال لي : يا جابر ، قد فعل أخي ذلك بأمر الله وأمر رسوله ، وإني أيضًا أفعل بأمر الله وأمر رسوله [٢].

استراحة على شاطئ الحقيقة:

وهنا لا بُد لنا من استراحة على شاطئ ، لعله شاطئ الحقيقة ، فتتنفّس بعض عليله بعد طول عناء ، فالأبيات التي نُسبت للإمام الحسين عليه السلام لا تكاد تعدو مجاراة لأبيات قالها خالد بن يزيد بن معاوية في رملة بنت الزبير إن صحت فهي به وبها أليق، ولكنها محاولة لصرف الأنظار عن تلك البيوتات المعادية لأهل البيت عليهم السلام وإلصاقها بالبيت المحمدي :

فلا تُكْثروا فيها الملامَ فإنني   تخيّرتُها منهمْ زبيريةً قلبَا
أحبُّ بني العَوّامِ طراً لِحُبِّها   ومن أجْلها أحْببتُ أخوالها كَلْبَا[٣]

---

(١) عبق من السيرة الحسينية : ٣٠٢ .

(٢) الثاقب في المناقب : ٣٢٢ .

(٣) الكامل في اللغة والأدب للمبرد: ٤٥٠ .

خبر السيدة سكينة عليها السلام في زواج أختها :

من الأخبار التي تشير للسيدة سكينة عليها السلام قبل كربلاء خبر زواج أختها السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام ، ويمكن تصنيف ذلك الخبر في ثلاثة نماذج :

١) النموذج الأول :

جاء في نسب قريش للمصعب : كان الحسن بن الحسن خطب إلى عمّه الحسين بن علي ، فقال له الحسين : ((يا بن أخي ! قد انتظرت هذا منك . انطلق معي !)) فخرج به حتى أدخله داره ، ثم أخرج إليه بنتيه فاطمة وسكينة ، فقال : ((اختر !)) فاختار فاطمة ، فزوَّجه إيَّاها ، فكان يقال : إن امرأة مردودتها سكينة لمنقطعة القرين في الحسن [(١)] .

نموذج يرويه مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري (١٥٦-٢٣٦ هـ) في نسب قريش مرسلاً ، وبين ولادته واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام أكثر من تسعين سنة وهو المتَّهم في نقله .

ولعله أقدم من ذكر خبر الزواج وأشار إلى أن الإمام الحسين عليه السلام أخرج وأبرز بنتيه لابن عمهما ، وأن الحسن ابن الإمام الحسن عليه السلام هو من اختار السيدة فاطمة .

٢) النموذج الثاني :

(خطب الحسن بن الحسن إلى عمِّه الحسين ، وسأله أن يزوِّجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين : اختر - يا بُنيَّ - أحبَّهما إليك ، فاسْتَحْيَى ، ولم يحر جوابًا .

فقال له الحسين : فإني قد اخترت لك ابنتي فاطمة ، فهي أكثرهما

---

(١) نسب قريش للمصعب : ٥١ .

شبهًا بأمي فاطمة)[١].

ويشير هذا النموذج إلى أن الإمام الحسين عليه السلام لم يبرز ابنتيه السيدة فاطمة والسيدة سكينة ، وأنه من اختار لابن أخيه السيدة فاطمة ، كما أنه وسمها بوسام ، وأي وسام إذ قال بأنها أكثرهما شبهًا بسيدة نساء العالمين فاطمة بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله .

٣) النموذج الثالث :

(أن الحسن بن الحسن بن علي خطب من عمِّه الحسين إحدى بنتيه فاطمة أو سكينة ، فقال : اختر لي إحداهما . فقال الحسين : اخترت لك ابنتي فاطمة ، فهي أكثرهما شبهًا بأمي فاطمة بنت رسول الله ، أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار ، وأما في الجمال فتشبه الحور العين، وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل)[٢].

قد يكون هذا النموذج مغايرًا للنموذج السابق بما حواه من تفصيل في الجنبة الروحية لأهل البيت عليهم السلام ، فالسيدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام أكثر شبهًا بسيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام من أختها ، وهي تقوم الليل وتصوم النهار ، نموذج بشري للتعلُّق بالله ، وتربية روحية في بيوت هي مهبط الوحي والتنزيل ،وأما السيدة سكينة عليها السلام فغالب عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل .

---

(١) مقاتل الطالبيين : ١٢٢ ، الإرشاد ٢٥/٢ ، إعلام الورى بأعلام الهدى ٤١٧/١ ، الفصول المهمة ٧٥٠/٢ ، كشف الغمة ٢٠٢/٢ ، الدر النظيم : ٥١٩ .

(٢) الكنى والألقاب ٤٦٥/٢ نقلاً عن مشارق الأنوار والفصول المهمة ، إسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأبصار : ٢٠٢ ، تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطايب : ٢٧ .

ملامح من شخصية السيدة سكينة عليها السلام :

بغض النظر عن صحة النماذج السابقة والمآخذ عليها ، وقبول بعض منها ورفض البعض ، فإنه يمكن لدارس التاريخ أن يستفيد من مجموع تلك المرويات ما يعينه على التعرُّف على بعض ملامح شخصية السيدة سكينة عليها السلام ، وسنشير إلى بعضها :

١) تقارب سن السيدة فاطمة والسيدة سكينة عليهما السلام ، بحيث كانت السيدة سكينة عليها السلام قبل كربلاء قد بلغت مبالغ النساء ، وإلا فما المسوغ للتخيير بينهما عليهما السلام ، ثم ما المسوِّغ لوصفها بالاستغراق مع الله وهي بعد لم تُكلَّف .

٢) شَبَهُ السيدة سكينة عليها السلام بسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فاطمة عليها السلام ، ويستفاد ذلك من صيغة أفضل (اخترت لك فاطمة فهي أكثرهما شبهًا بأمي فاطمة) فالسيدة سكينة عليها السلام تشبه سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام لكن السيدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام أكثر شبهًا .

٣) إن صحَّت رواية الاستغراق ، وأن السيدة سكينة عليها السلام لا تصلح لرجل[1] فهي ناظرة لتلك الفترة التاريخية من عمرها لا مجمل حياتها الشريفة ، إذ الأخبار الواردة تفيد زواجها من ابن عمّها عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام في حياة والدها الإمام الحسين عليه السلام ، وإن صحَّت هذه الرواية التي نقلها العامة فهي تنسف كل ما تمَّ إلصاقه بالسيدة سكينة عليها السلام من .

(١) مما أجابنا به المرجع آية الله السيد محمد صادق الروحاني ـ دام ظلُّه ومتَّعنا ونفعنا بطول بقائه ـ عبر موقعه الإلكتروني بخطه الكريم مذيَّلاً بختمه الشريف : ليست الكتب التي نقل منها الحديث (صاحب الكنى والألقاب) من كتبنا بل من كتب العامة . أضف إلى ذلك أن سكينة لم تكن في الاستغراق مع الله في حدٍّ فاطمة صلوات الله عليها ولا في حدِّ السيدة زينب سلام الله عليها وهما قد تزوجا ، فليست هذه الجملة صادرة عن الإمام الحسين عليه السلام قطعًا .

لهو ومجون وعبث وأنها كانت مزواجة .... إذ كل ذلك يتنافى مع الاستغراق مع الله وأنها لا تصلح لرجل .

٤) لو لم تصح رواية الاستغراق مع الله ، فإنها تعكس نظرة العامة للسيدة سكينة عليها السلام وما شاهدوه منها ، فقالوا بأنها مستغرقة مع الله .

٥) بالإضافة لما يتمتع به أهل البيت عليهم السلام من تكامل في الجنبات الروحية ، فقد بلغوا الكمال في الجنبات الجسدية ، فهم النموذج البشري الكامل ، جلال في الروح ليس له مثيل ، وجمال منقطع النظير ، هكذا يُعَبّر عن مردودة السيدة سكينة عليها السلام فاطمة بنت الحسين عليهما السلام ، فيقال : هي في الجمال تشبه الحور العين .

بين الوراثة والتربية :

لا توجد أخبار بين أيدينا تُشير إلى نشأة السيدة سكينة عليها السلام وكيفية تربيتها ، وقد وقفنا على خبر واحد يلمح إلى شيء من علاقتها بوالدها في مجتمع عُرف عنه الجفاء مع الأبناء فضلاً عن البنات ، وهذا الخبر يرويه جعيد همدان حين أتى الإمام الحسين عليه السلام وكانت سكينة على صدر والدها ، فسأله الإمام عليه السلام عن أحوال الأمة [(١)].

فالنصوص التاريخية لا تسعفنا في معرفة أحوال السيدة سكينة عليها السلام وتربيتها ، ولكنه يمكن الوقوف على تلك النشأة الكريمة من خلال المقاييس التربوية العلمية القائلة بأن الطفل بين الوراثة والتربية .

فإذا تجاوزنا الوراثة تجاوز المُقِرّ ، وتتبّعنا كلمات الإمام الحسين عليه السلام وكلمات آبائه وأبنائه الطاهرين وجدنا منهجًا تربويًا نظريًا متكاملاً ، يبدأ باختيار الزوجة الصالحة ورعاية الحمل ، وإجراء سنن الولادة التي عُرِفت بهم ، واختيار الاسم .... إلخ . هذا المنهج الذي لازال التربويون ينهلون من مناهله التي لا تفنى فيعجزهم عن نضح مائه واستنزاف خيراته .

أما في الجانب العملي من التربية فسرِّح نظرك في علي الأكبر ابن الإمام الحسين عليهما السلام لتقف على جميل صفاته وكريم خصاله ، ثم أطلق العنان لفكرك في ميدان سيد الساجدين وزين العابدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام علّه يجول في بعض ميدانه ، ولا تحسبن تأثير سيد الشهداء عليه السلام يقف في حدود أسرته ، فدونك أصحابه الذين تطاولوا على النجوم عزًا وفخرًا ، فأعجزوا الوفاء بوفائهم يوم عاشوراء ، فسلام الله عليهم جميعًا وسلام الله على ذلك المربي الأبيِّ الغيور.

---

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد : ٣٦ .

فإذا كانت تلك المقدمات من تربية ووراثة ، فالنتيجة ستتبع المقدمات ، فلا عجب حين نقف على نصوص تاريخية تصف السيدة سكينة عليها السلام بالاستغراق ، وأنها بلغت من جهادها لنفسها أن سبحت في أمواج الفناء مع الله ، بل العجب أن تكون خلاف ذلك .

ولا يمرَّن في خلدك أنها وحدها من اتصفت بهذه الصفات بين النساء الهاشميات، فالتاريخ قد حفظ لنا ـ على تضييعه ـ الكثير من الأخبار الدالة على انقطاع أهل هذا البيت لله ، حيث لا يرون سوى الله في كل حركاتهم وسكناتهم، فاسأل التاريخ عن سيدة نساء هذا البيت الذي بسيادته سادت نساء العالمين فاطمة عليها السلام ينبئك عما استطاع حفظه من عبادة البتول .

ثم قف موقف الإجلال لتلك السيدة العظيمة وارثة أمها السيدة زينب بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام وتصفّح شيئًا من سيرتها العطرة ، ليذهلك قولها حين وقفت على مصارع أهل بيتها في يوم عاشوراء فصاحت : (اللهم تَقَبّل مِنّا هذا القربان) [1] .

وقد مرّ عليك أن أخت السيدة سكينة عليها السلام السيدة فاطمة بنت الحسين عليه السلام كانت تقوم الليل وتصوم النهار . هذه هي النماذج التربوية لخفرات الوحي من آل محمد صلى الله عليه وآله ، و هذه سيرتهم الجليلة .

لذا يحق لنا ألا نقبل كل ما من شأنه الإساءة إليهن مما ورد في بطون الكتب والصحف ، وإن لم نملك الدليل التاريخي لردّه ، فنحن لا نغالي ولا نبالغ إذا قلنا بأنهن كُنّ قاب قوسين أو أدنى من العصمة !

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ٢/٣٠١ .

تاريخها في كربلاء

ستر الهاشميات وخلط الرواة

علاقة السيدة سكينة عليها السلام بالإمام الحسين عليه السلام

دورها الكربلائي

ما يُنْسب لها من شعر

السيدة سكينة عليها السلام في أدب الطف

مكانتها

الوفاة

وقفة تاريخية في كربلاء

إذا ما تتبَّعنا سيرة السيدة سكينة عليها السلام في كربلاء ، فإننا نلاحظ سكوت كتب العامة عن مرحلة مهمة من حياة هذه السيدة الجليلة ، فكتب التراجم مع إسهابها في ترجمتها كوفيات الأعيان ، وتاريخ مدينة دمشق، والوافي بالوفيات ، وأعلام النساء ، إلا أنها تجاهلت أخبار كربلاء تجاهلاً ملحوظًا لكل من تصفحها ، وليت شعري أكان ذلك التجاهل من باب (فتنة طهَّر الله سيوفنا منها ، فلنطهِّر ألسنتنا منها)؟! فإن صحَّت هذه المقولة ـ وهي لا تصح ـ في حق الإمام الحسين عليه السلام فما ذنب ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله فيما جرى ؟! أم كان هذا التجاهل انتصارًا للسياسة على أجر الرسالة ، وثقل النبوة ؟ وإنه لمن أعاجيب التاريخ وغرائبه غضُّ الطرف عن قتل ذرية رسول هذه الأمة صلى الله عليه وآله ، وسبي نسائه كرامة لحكام الجور وسلاطين الدنيا .

وإذا تجاوزنا كتب التراجم إلى غيرها فإننا لن نجد سوى عبارات خجلى من قبيل : وكانت مع الحسين عليه السلام في كربلاء ، وكانت ممن دخل الشام أو مع السبايا ... ذكروها بعبارات وما كادوا يذكرون .

وقد حفظت لنا شوارد التاريخ بعضًا مما جرى على العترة الطاهرة من الظلم والجناية التي بقيت سُبَّةً في تاريخ هذه الأمة ، وكان لكتب المقاتل الدور الأبرز في هذا الحفظ ، وهي كتب متقدمة زمنيًا على بعض كتب التراجم التي ذكرت السيدة سكينة عليها السلام وتجاهلت تلك الفترة المهمة من حياتها.

وقد تعهَّدنا عدم الإطالة والإسهاب في هذا الفصل ؛ لأن مادته مجموعة في كتب المقاتل ، وسنشير إلى بعض منها لنتعرف على ملامح شخصية السيدة سكينة عليها السلام .

ستر الهاشميات وخلط الرواة:

إن سرَّحت نظرك نحو الركب الحسيني الخارج من المدينة المشرفة

بالنبي ﷺ إلى مكة المكرمة ، ودقّقت باحثًا عن السيدة سكينة عليها السلام ، فلن تجد إلا هوادج مجللة بالعفاف ، مكلّلة بفرسان بني هاشم ، يحدوها الصون والوقار ، فإذا ما استقر موكب الإباء في مكة فارجع البصر مرة أخرى ، ليعود بصرك وبصر التاريخ قاصرًا عن تمييز السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام ، فهي في لُمّة من الفاطميات لا تمتاز إحداهن عن الأخرى ، وقد ضرب عليهن جلباب الخباء والحجاب حاجزًا من الستر ، وهن مستغرقات مع الله في عبادتهن ، لا يشهد لهن بذلك إلا البيت العتيق والركن والمقام والحجر ، وتقرُّ لهن المشاعر بذلك [1] ، فإذا ما خرج الركب من مكة يوم التروية متوجهًا إلى العراق ، فلن تبصر رغم تدقيقك إلا ذات الصورة العفيفة ، إذ هم مصداق قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [2].

ولعلك قد استحضرت صورة خروجهن من كربلاء سبايا على أقتاب المطايا بعد أن هُتكت خدورهن ، فهنيئًا لك قلب تعلّق بحبِّهم ، وهنيئًا لك فكر استحضر مآسيهم ، وهنيئًا لك عين ذرفت مقدار جناح بعوضة حزنًا لهم ، فذاك بعض أجر الرسالة ، وذاك بعض مودتهم .

هذا الخدر والستر الفاطمي استدعى خلط الرواة بين الهاشميات ، مما جعل التاريخ غير قادر على التمييز بينهن ، فلعلك قد طالعت بعض الأخبار المنسوبة لأكثر من شخصية كربلائية على أنه حدث واحد غير مكرر ،

---

(١) أشارت بنت الشاطئ في كتاب سكينة بنت الحسين ص ٥٤ إلى أن التاريخ والأدب لم يرصد في هذا العام (٦٠هـ) لعمر بن أبي ربيعة بيتًا واحدًا في سكينة ، وهو الذي لم يدع ذات جمال إلا حياها في غزلية أو أكثر مستغلاً في ذلك مواسم الحج .

(٢) الأحزاب : ٥٩ .

وسنكتفي بنقل نموذجين للتدليل على ذلك :

النموذج الأول :

ما روي من دخول بنات الوحي والرسالة مجلس يزيد سبايا ،وقول السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟! [١]

ذات العبارة (أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟!) ينقلها الذهبي في سير أعلام النبلاء ويشير إلى أن السيدة سكينة عليها السلام هي من قالت تلك العبارة في مجلس يزيد [٢]، أما البري ـ من أعلام القرن السابع ـ فيذكر : أن أم كلثوم بنت علي عليه السلام من غير فاطمة قالت : يا يزيد ، بنات رسول الله سبايا أذلة !! فقال : بل كرام أعزّة [٣].

النموذج الآخر :

١) روي عن السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام أنها قالت : لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقّ لنا أول شيء وألطفنا ، ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إليه فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذه الجارية ـ يعنيني ، وكنت جارية وضيئة ـ فأرعبت وفرقت ، وظننت أنه يفعل ذلك ، فأخذت بثياب أختي ، وهي أكبر مني [٤] وأعقل ، فقالت : كذبت والله ولعنت ، ما ذاك لك ولا له . فغضب يزيد (لعنه الله) فقال : بل كذبت والله ، لو شئت لفعلته . قالت : لا والله ، ما جعل الله ذلك لك ، إلا أن تخرج من ملّتنا

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٣٥٥ ، الكامل في التاريخ ٤/٨٦ ، مقتل الحسين لأبي مخنف٢١٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٣٠٣ .

(٣) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله : ٤٥ .

(٤) لم ينقل لنا التاريخ أن للإمام الحسين عليه السلام بنتًا أكبر من السيدة فاطمة عليها السلام ولعله من خلط الرواة.

وتدين بغير ديننا ، فغضب يزيد (لعنه الله) ، ثم قال : إياي تستقبلين بهذا!؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك ، فقالت: بدين الله ودين أخي وأبي وجدي اهتديت أنت وجدك وأبوك ، قال (لعنه الله) : كذبت يا عدوة الله، قالت: أمير يشتم ظالماً ويقهر بسلطانه . قالت : فكأنه (لعنه الله) استحيى فسكت ، فأعاد الشامي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذه الجارية . فقال له: اغرب ، وهب الله لك حتفاً قاضياً[1] .

٢) في حين أن الحادثة تشير لمحاولة استرقاق إحدى بنات النبي ﷺ وهي السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام تشير أخبار أخرى إلى أن محاولة الاسترقاق تلك كانت في حق فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام[2] .

٣) أما صاحب مقاتل الطالبيين فيذكر أنها عقيلة الطالبيين زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام ، حيث يقول: ثم دعا يزيد - لعنه الله - بعلي بن الحسين عليه السلام فقال : ما اسمك ؟ فقال : علي بن الحسين ، قال : أو لم يقتل الله علي ابن الحسين ؟! قال : قد كان لي أخ أكبر مني يسمى عليا فقتلتموه . قال : بل الله قتله قال : علي: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[3] قال له يزيد: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن

---

(١) روضة الواعظين : ١٩١ ، وفي أمالي الصدوق : ٢٣١ أنها فاطمة بنت علي وأنها لاذت بأختها زينب ، وبذلك يوافق الخبر التالي ،أما صاحب الإرشاد ١٢١/٢ فيذكر أنها فاطمة بنت الحسين ويصرح بأنها لاذت بأختها زينب ، وفي الاحتجاج ٢٧/٢ يروي الخبر عن فاطمة بنت الحسين ويؤكد على أن المعني بالاسترقاق فاطمة بنت الحسين ، ثم يصرح بانها لاذت بأختها زينب ، ولعل ذلك من تصحيف الورّاق .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٥٣ ، تاريخ مدينة دمشق ١٧٦/٦٩ ، البداية والنهاية ٢١١/٨ ، مقتل الحسين لأبي مخنف : ٢١٤ ، بحار الأنوار ١٥٦/٤٥.

(٣) الزمر : ٤٢ .

كَثِيرٍ ﴾[١] فقال علي: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٢] قال : فوثب رجل من أهل الشام فقال : دعني أقتله فألقت زينب نفسها عليه ، فقام رجل آخر فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذه الجارية أتخذها أمة ، قال : فقالت له زينب : لا ولا كرامة ، ليس لك ذلك ولا له إلا أن يخرج من دين الله [٣].

٤) أما صاحب مقتل الحسين فيذكر أن (يزيد قال لسكينة : يا سكينة ، إن أباك نازعني في سلطاني وأراد قطع رحمي .

فبكت وقالت : يا يزيد ، لا تفرح بقتل أبي عليه السلام فإنه كان عبدًا لله دعاه إليه فأجابه وسعد بذلك ، وأمّا أنت فاستعدّ لنفسك جوابًا .

فقال لها يزيد : اسكتي ، ما كان لأبيك عندي حق ، ولكنه تعدّى عليّ فأعجزه الله ونصرني .

قال : فوثب إليه رجل من لخم ، وقال له : يا أمير هب لي هذه الجارية تكون خادمة لي ، يعني سكينة عليها السلام .

فانضمّت إلى عمتها أم كلثوم وقالت : يا عمتاه يريد أن تكون بنات الأنبياء خدمًا لأولاد الأدعياء) [٤].

تلك نماذج من الخلط التاريخي بين الشخصيات الهاشميات اعتادها كل من بحث في التاريخ، ولا يمكن هنا إغفال أهم أسباب هذا الخلط وهو ما امتاز به البيت النبوي من خدر، حيث كان النموذج الأكمل للحشمة

---

(١) الشورى : ٣٠ .

(٢) الحديد : ٢٢ .

(٣) مقاتل الطالبيين : ٨٠ .

(٤) مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء ، المشتهر بمقتل أبي مخنف:٢٠٨-٢٠٩ .

والصون والعفاف، لذا سنجد كثيرًا من أخبار كربلاء تنسب للسيدة سكينة عليها السلام ولغيرها ، وقد يكون هذا التكرار أحيانًا من قبيل تكرار الحدث وصدوره من أكثر من شخصية، إلا أن ما سبق من نماذج لا يمكن أن تكون من هذا القبيل إذ القرائن لا تسعفنا على تبنّي مثل هذا القول .

علاقة السيدة سكينة عليها السلام بالإمام الحسين عليه السلام :

بعيدًا عن الإنشائية والمبالغة سنترك لك تقدير عمق العلاقة المتبادلة بين السيدة سكينة عليها السلام والإمام الحسين عليه السلام من خلال اجتزاء بعض الروايات دون تدخُّل مخافة الإطالة :

١) عن جعيد همدان ، قال : أتيت الحسين بن علي وعلى صدره سكينة بنت حسين ، فقال : يا أخت كلب ، خذي ابنتك عني [١].

٢) ثم ودَّعَ (الإمام الحسين عليه السلام) النساء ، وكانت سكينة تصيح ، فضمَّها إلى صدره [٢].

٣) فضمَّ بنته سكينة إلى صدره ، وقبَّل مابين عينيها ، ومسح دموعها ، وكان يحبُّها حبًا شديدًا [٣] .

٤) قالت سكينة : لما قتل الحسين عليه السلام اعتنقته فأغمي عليَّ، فسمعته يقول :

شيعتي ما إنْ شَرِبْتم رَيَّ عَذبٍ فاذكروني

أو سمعتم بغريبٍ أو شهيدٍ فاندبُوني [٤]

---

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد : ٣٦ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣/٢٥٧ .

(٣) ينابيع المودة لذوي القربى ٣/٧٩ .

(٤) المصباح للكفعمي : ٧٤١ هكذا في المصدر ، ولعل كل شطر مما سبق هو بيت مستقل ، وهذا ما يؤكده صاحب مستدرك الوسائل ١٧/٢٦.

٥) ثم إن سكينة اعتنقت جسد أبيها الحسين عليه السلام ، فاجتمعت عدة من الأعراب حتى جرُّوها عنه [١] .

دورها الكربلائي :

سنضع بين يديك نماذج من كربلاء وما تبعها تعيننا على رسم صورة لدور السيدة سكينة عليها السلام ، وهي نماذج انتقائية لم نهدف فيها استقصاء جميع ما ورد عنها وإبراز دورها ، وإنما هي نماذج حاكية عن شخصيتها ومواقفها الدالة على تكامل تلك الشخصية النسائية .

المشهد الأول : (قل لصاحب هذا الرأس) :

روى صاحب المناقب بإسناده عن زيد عن آبائه أن سهل بن سعد قال : خرجت إلى بيت المقدس حتى توسَّطت الشام ، فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار ، كثيرة الأشجار ، قد علَّقوا الستور والحجب والديباج ، وهم فرحون مستبشرون ، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول ، فقلت في نفسي : لا نرى لأهل الشام عيدًا لا نعرفه نحن ، فرأيت قوماً يتحدَّثون فقلت : يا قوم ، لكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟ قالوا : يا شيخ ، نراك أعرابيًا ! فقلت: أنا سهل بن سعد قد رأيت محمدًا صلى الله عليه وآله قالوا : يا سهل ، ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف بأهلها ؟! قلت : ولم ذاك ؟ قالوا : هذا رأس الحسين عليه السلام عترة محمد صلى الله عليه وآله يهدى من أرض العراق ، فقلت : واعجباه ! يهدى رأس الحسين والناس يفرحون ؟! قلت : من أي باب يدخل ؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب ساعات قال : فبينا أنا كذلك ، حتى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضًا ، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان عليه رأس من أشبه الناس وجهًا برسول الله صلى الله عليه وآله فإذا أنا من ورائه رأيت نسوة

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٧٩ .

على جمال بغير وطاء ، فدنوت من أولاهم فقلت : يا جارية ، من أنت ؟ فقالت : أنا سكينة بنت الحسين . فقلت لها : ألك حاجة إليَّ ؟ فأنا سهل بن سعد ، ممن رأى جدَّك وسمعت حديثه ، قالت : يا سهل ، قل لصاحب هذا الرأس أن يقدم الرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ، ولا ينظروا إلى حرم رسول الله ﷺ قال سهل : فدنوت من صاحب الرأس فقلت له : هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمائة دينار ؟ قال : ما هي ؟ قلت : تقدِّم الرأس أمام الحرم ، ففعل ذلك فدفعت إليه ما وعدته ، ووضع الرأس في حقّة ، ودخلوا على يزيد ، فدخلت معهم وكان يزيد جالساً على السرير، وعلى رأسه تاج مكلَّل بالدّر والياقوت ، وحوله كثير من مشايخ قريش ، فلما دخل صاحب الرأس وهو يقول :

أوقِرْ ركابي فِضةً أو ذهبَا ... أنـا قتلـتُ السّيدَ المحجّبَا

قتلتُ خيرَ النّاسِ أمّاً وأبَا ... وخيرهمْ إذ ينسبونَ النّسبَا

قال : لو علمت أنه خير الناس لم قتلته ؟ قال : رجوت الجائزة منك ، فأمر بضرب عنقه فجزَّ رأسه [(١)].

المشهد الثاني : (نحن سبايا آل محمد ﷺ) :

فلما دخلنا دمشق أدخل بالنساء والسبايا بالنهار مكشفات الوجوه ، فقال أهل الشام الجفاة : ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء ، فمن أنتم ؟ فقالت سكينة بنت الحسين عليها السلام : نحن سبايا آل محمد . فأقيموا على درج المسجد حيث يقام السبايا ، وفيهم علي بن الحسين عليهما السلام ، وهو يومئذ فتى شاب [(٢)].

---

(١) بحار الأنوار ٤٥/١٢٧ .

(٢) أمالي الصدوق : ٢٣٠ ، قرب الإسناد للحميري القمي : ٢٦ ، روضة الواعظين للفتال النيسابوري:١٩٠ .

المشهد الثالث : (رؤيا السيدة سكينة عليها السلام) :

ورد أن السيدة سكينة بنت الحسين عليهما السلام قالت : يا يزيد ، رأيت البارحة رؤيا إن سمعتها مني قصصتها عليك ، فقال يزيد : هاتي ما رأيتي ، قالت : بينما أنا ساهرة وقد كللت من البكاء بعد أن صلّيت ودعوت الله بدعوات، فلما رقدت عيني رأيت أبواب السماء قد تفتَّحت ، وإذا أنا بنور ساطع من السماء إلى الأرض،وإذا أنا بوصائف من وصائف الجنة ، وإذا أنا بروضة خضراء ، وفي تلك الروضة قصر ، وإذا أنا بخمس مشايخ يدخلون إلى ذلك القصر وعندهم وصيف،فقلت : يا وصيف ، أخبرني لمن هذا القصر ؟ فقال : هذا لأبيك الحسين ، أعطاه الله تعالى ثوابًا لصبره فقلت : ومن هذه المشايخ ؟ فقال : أما الأول فآدم أبو البشر ، وأما الثاني فنوح نبي الله ، وأما الثالث فإبراهيم خليل الرحمن ، وأما الرابع فموسى الكليم ، فقلت له: ومن الخامس الذي أراه قابضا على لحيته،باكياً حزيناً من بينهم؟ فقال لي : يا سكينة ، أما تعرفينه ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا جدك رسول الله ، فقلت له : إلى أين يريدون ؟ فقال : إلى أبيك الحسين ، فقلت : والله لألحقن جدي وأخبره بما جرى علينا ، فسبقني ولم ألحقه ، فبينما أنا متفكرة وإذا بجدي علي بن أبي طالب ، وبيده سيفه ، وهو واقف ، فناديته : يا جداه ، قتل والله ابنك من بعدك ، فبكى وضمَّني إلى صدره ، وقال : يا بنية صبرًا والله المستعان ، ثم إنه مضى ولم أعلم إلى أين ، فبقيت متعجبة كيف لم أعلم به ، فبينما أنا كذلك إذا بباب قد فتح من السماء، وإذا بالملائكة يصعدون وينزلون على رأس أبي ، قال : فلما سمع يزيد ذلك، لطم على وجهه وبكى ، وقال : مالي ولقتل الحسين ؟

وفي رواية أخرى : إن سكينة قالت : ثم أقبل عليَّ رجل درِّيُّ اللون ، قمريُّ الوجه ، حزين القلب ، فقلت للوصيف: من هذا ؟ فقال : جدك رسول الله ﷺ فدنوت منه وقلت له : يا جداه ، قتلت ـ والله ـ رجالنا ،

وسفكت والله دماؤنا ، وهتكت ـ والله ـ حريمنا ، وحملنا على الأقتاب من غير وطاء نساق إلى يزيد ، فأخذني إليه وضمني إلى صدره ، ثم أقبل على آدم ونوح وإبراهيم وموسى ، ثم قال لهم : ما ترون إلى ما صنعت أمتي بولدي من بعدي؟ ثم قال الوصيف : يا سكينة ، اخفضي صوتك فقد أبكيتي رسول الله ﷺ ثم أخذ الوصيف بي فأدخلني القصر وإذا بخمس نسوة قد عظّم الله خلقتهن وزاد في نورهن ، وبينهن امرأة عظيمة الخلقة ، ناشرة شعرها ، وعليها ثياب سود ، وبيدها قميص مضمخ بالدم ، وإذا قامت يقمن معها ، وإذا جلست يجلسن معها ، فقلت للوصيف : ما هؤلاء النسوة اللاتي قد عظم الله خلقتهن ؟ فقال : يا سكينة هذه حواء أم البشر ، وهذه مريم ابنة عمران ، وهذه خديجة بنت خويلد ، وهذه هاجر ، وهذه سارة ، وهذه التي بيدها القميص المضمَّخ وإذا قامت يقمن معها وإذا جلست يجلسن معها هي جدتك فاطمة الزهراء ، فدنوت منها وقلت لها : يا جدتاه ! قتل ـ والله ـ أبي ، وأؤتمت على صغر سني ، فضمَّتني إلى صدرها وبكت شديدًا ، وبكين النساء كلهن ، وقلن لها : يا فاطمة يحكم الله بينك وبين يزيد يوم فصل القضاء ، ثم إن يزيد تركها ولم يعبأ بقولها [1].

---

(١) بحار الأنوار ٤٥/١٩٤ـ١٩٦ ، كما أشار لهذه الرؤيا مستدرك الوسائل ٣/٣٢٧ و جامع أحاديث الشيعة ١٦/٦٩٩ .

ما يُنْسَب لها من شعر[1] :

إذا ما قلّبت الصفحات بحثًا عن أبيات تُنسب لهذه السيدة الجليلة ، فلن تجد إلا نماذجًا من أبيات متعلقة بكربلاء لا تخرج من دائرة الرثاء ، تُعبّر عن ألم المصاب ، وعظيم ما جرى على عترة الرسول ﷺ (وهي أبيات لا تكفي لعدِّها شاعرة)[2] .

ولعل دارسي الأدب والنقد الحديث وضعوا مناهج لدراسة شخصية الشاعر من خلال أبياته، لذا سنتلّمس الأبيات المنسوبة للسيدة سكينة عليها السلام للوقوف على شيء من ملامح تلك الشخصية ،وأول ما يلفت انتباهنا أن الشعر المنسوب لها ينصبُّ في باب واحد من أبواب الشعر وهو الرثاء ، وإذا تجاوزنا موضوع الشعر للمحتوى ، فلن نجد إلا أبياتًا يمكن تلخيصها في أنها أبيات بكائية استحضرت من خلالها السيدة سكينة عليها السلام من الألفاظ والعبارات ما يدل على شخصية إيمانية . هذان الخطان (الموضوع والمحتوى) كاشفان عن شخصية السيدة سكينة عليها السلام ، وسنضع بين يديك جميع ما استطعنا جمعه من نماذج شعرية تنسب لها لتقف من خلال تلك النصوص والنماذج على أبعاد تلك الشخصية العظيمة :

النموذج الأول :

حينما عاد فرس الحسين عليه السلام خاليًا منه ، أخذ يصهل صهيلاً عاليًا ، وتوجَّه إلى الخيمة ، وقالت أم كلثوم : يا سكينة ، إني سمعت صهيل فرس أبيك ، أظن قد أتانا بالماء ، فاخرجي إليه ، فخرجت سكينة فرأته

---

(١) ظاهرة أدبية تستدعي التأمل وهي نسبة كثير من الأبيات لأهل بيت النبوة ، فإذا ما وضع بعضها على منصة النقد في إطار عصر الأبيات ، فلن يقبلها الناقد لضعف ينوء بالخلل والعلل .

(٢) سكينة بنت الحسين لبنت الشاطئ : ٢١٨ .

خالياً من راكبه ، فهتكت خمارها ، وصاحت : واقتيلاه ، وامحمداه ، واعلياه ، وأبتاه ، واحسيناه ، وافاطماه ، واحمزتاه ، واجعفراه ، واعقيلاه ، واعباساه ، وهي تنشد وتقول :

مَاتَ الإمامُ ومَاتَ الجُودُ والكرمُ
واغْبَرّت الأرضُ والآفاقُ والحرَمُ
وأغْلَقَ اللهُ أبْوَابَ السَّمَاءِ فَلَمْ
تَرَ لنَا دَعْوة تُجْلى بها الغُمَمُ
يا عمّتِي انْظُري هذا الجوادَ أتَى
يُخْبركَ أنَّ ابن خَيرِ الخَلقِ مُخْتَرَمُ
غابَ الحُسينُ فَوا لَهْفِي لمصْرَعهِ
فصَارَ يَعْلُو ضِياءَ الأمَّةِ الظُّلَمُ
يا مَوتُ هلْ مِنْ فدىً يا موتُ هل عوضٌ
اللهُ ربّي مِنَ الكُفّارِ يَنتقمُ
يَا أُمةَ السّوءِ لا سُقْيًا لرَبْعِكُمُ
يا أمَّةً عجبتْ مِنْ فِعلِها الأمَمُ [1]

النموذج الثاني :

لقَدْ حَطّمَتنا في الزّمانِ نَوائبُهْ
ومزّقَنا أنْيَابُه ومَخَالبُهْ
وأخنى عليَّ الدّهرُ في دارِ غُرْبَةٍ
وَدبّت بمَا أخْشى عليّ عَقَاربُه

---

(١) ينابيع المودة لذوي القربى ٣/٨٥ ، وقد نُسبت في إحقاق الحق للسيدة زينب عليها السلام دون ذكر للبيت الثالث ٣٣/٧٥٨ .

وأفْجَعَني بالأقربينَ وشتّتَتْ
يداهُ لنا شملاً عزيزًا مَطَالبُه
وأودى أبي والمنتقى لنوائبي
فجلّتْ رزاياه وطمّت مصائبُه
حسينُ أبي أمسى لهُ التُّربُ مَشْرِقًا
وأظلمَ من دينِ الإلهِ مذاهبُه
لقد حلّ بي فيه الذي لو نشرْتُه
أناخَ على رضوى تداعتْ جوانبُه
وكيف يُعزّى فاقدٌ شطرَ نفسه
فجانبُه حيٌّ وقد ماتَ جانبُه
تُمزّقُنا أيْدي الزّمانِ وجدُّنا
رسولُ الذي عمَّ الأنامَ مواهبُه
ولم يبقَ لي ركنٌ ألوذُ بظلّهِ
إذا غالبَنّي الأمْرُ ما لا أُغالبُه [١]

النموذج الثالث :

لا تعذليه فهَمٌّ قاطعٌ طَرَقَهْ
فعينُه بدموعٍ ذُرَّفٍ غَدِقَه
إنّ الحسينَ غداةَ الطّفِّ يرشقُهُ
ريبُ المنونِ فما أن يخطئ الحدقَهْ
بكفِّ شرِّ عبادِ اللهِ كلِّهمُ
نسلِ البغايا ، وجيشِ المُرَّقِ الفَسَقَه

---

(١) شرح إحقاق الحق ٧٥٨/٣٣ ، وذكر منها القندوزي في ينابيع المودة أربعة أبيات٣/٨٦ .

يا أمَّةَ السوءِ هاتوا ، ما احتجاجُكمُ
غدًا ، وجُلُّكمُ بالسيفِ قد صَفَقَه
الويلُ حَلَّ بكم ، إلاَّ بمن لَحِقَه
صيّرتموه لأرماحِ العدا دَرَقَه
يا عينُ فاحتفلِي طولَ الحياةِ دمًا
لا تبكِ وُلْدًا ، ولا أهلاً ولا رَفقه
لكنْ على ابنِ رسولِ اللهِ فانسكبي
دمًا وقَيْحًا ، وفي إثرَيهما العلَقه [(١)]

النموذج الرابع :

ورد في وفيات الأئمة بيتان أنشأتهما السيدة سكينة عليها السلام يوم الأربعين دون ذكر للمصدر الذي استقى منه الكتاب هذين البيتين :

ألا يا كربلا نُودِعكِ جسمًا ... بلا كفنٍ ولا غُسلٍ دَفِينَا
ألا يا كربلا نودعكِ روحًا ... لأحمدَ والوصيِّ معَ الأمِينَا [(٢)]

النموذج الخامس :

بيتان نسبا للسيدة سكينة عليها السلام في رثاء زوجها المزعوم مصعب بن الزبير لما قتل ، وسيكون لنا معهما وقفة:

فإن تَقتلوه تَقْتُلُوا الماجدَ الذي ... يَرى الموتَ إلاَّ بالسيوفِ حَرَامَا
وقَبلَك ما خاضَ (الحسينُ) مَنيّةً ... إلى السيف حتى أوردوه جِمَامَا [(٣)]

---

(١) شرح إحقاق الحق ٤٩٢/٢٧ ، بنت الشاطئ سكينة بنت الحسين : ٢١٧ ، أمالي الزجاج : ١٠٩ .

(٢) وفيات الأئمة ،من علماء البحرين والقطيف (معاصر) : ١٦٨ ، ولم أوفق للوقوف على غيره من المصادر .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢٠٧/٦٩ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣٧٢/٧ .

السيدة سكينة عليها السلام في أدب الطف :

باب بحره لجيٌّ وتشعُّباته كثيرة ، ولا يمكننا تجاهل الأدب كمصدر من مصادر التاريخ ، ولكننا سنعتمد هنا على النصوص المتقدمة زمنيًا ، أي في القرن الأول الهجري ، وهي أبيات تنسب للأسرة المحمدية ، اعتنت برثاء الإمام الحسين عليه السلام وجاء ضمنها ذكر للسيدة سكينة عليها السلام.

وهذه النصوص قليلة نادرة ، وقد جاء في كلام أبي الفرج الإصفهاني بيان لذلك ، حيث قال : وقد رثى الحسين بن علي عليهما السلام جماعة من متأخري الشعراء ... وأما من تقدم فما وقع إلينا شيء رثي به ، وكانت الشعراء لا تقدم على ذلك مخافة من بني أمية وخشية منهم[(١)] .

وجاء في أعيان الشيعة : لم يكن يجسر أحد من الشعراء على المجاهرة برثاء الحسين عليه السلام في ملك بني أمية عدا شاذ يقول الأبيات المعدودة غير مجاهر بها ، ثم تنقل عنه ، بل في بعض أدوار ملك بني العباس كان الحال كذلك أو أشد ، ولكن في أوائل الدولة العباسية وفي أواخرها وبعد انقراض الدولتين تبارى شعراء الإسلام في رثائه ، وقالوا فأكثروا وأجادوا[(٢)].

ورغم تلك الأطواق الأمنية والمحاذير السياسية التي اقتضتها تلك الأوضاع والظروف ، والتي حالت دون وصول كثير من الأشعار إلينا ، إلا أننا وجدنا السيدة سكينة عليها السلام حاضرة في أدب الطف منذ أول أيامه ، بل وعلى لسان سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وهذا مما يدلنا على عظيم منزلتها ومكانتها بين الفاطميات ، وسنكتفي بنقل نموذجين يعيناننا على فهم شخصية السيدة سكينة عليها السلام والتعرُّف على بعض ملامح تلك

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٨١ .

(٢) أعيان الشيعة ١/٦٢٢ .

الشخصية الجليلة، أحدهما يُنسب للإمام الحسين عليه السلام ، والآخر يُنسب لأم كلثوم عليها السلام.

أبيات تُنسب للإمام الحسين عليه السلام :

سَيطُولُ بَعْدي يا سكَينةُ فاعْلَمي
مِنكِ البُكاءُ إذا الحِمَامُ دَهَاني
لا تَحْرِقي قَلْبي بدَمْعِكِ حَسْرةً
مَا دَامَ مِنّي الرُّوحُ في جُثْماني
فَإذا قُتِلْتُ فَأنتِ أولى بالذي
تَأْتِينَهُ يا خَيْرَةَ النِّسْوانِ (١)

أبيات تُنسب لأم كلثوم :

وإذا سرنا مع الركب المحمدي المسبيِّ على يد أمَّته جزاءً لرسالته ! وتنقَّلنا معه من بلد إلى بلد ، على نياق بلا غطاء ولا وطاء حتى يصل بنا ركب الخالدين إلى مدينة جدِّهم النبي محمد صلى الله عليه وآله ، سنجد أم كلثوم تبكي وتقول في بكائية طويلة اقتطفنا منها مخافة الإطالة :

مدينةَ جدِّنا لا تَقْبلينا فبالحسراتِ والأحزانِ جينَا
ألا فاخبرْ رسولَ اللهِ عنَّا بأنَّا قد فُجعنا في أبينَا

إلى أن تقول بعد مخاطبتها للرسول وفاطمة والحسن صلوات الله عليهم أجمعين ، وتعداد ماجرى عليهم من المآسي والأهوال :

لقد هَتكوا النّساء وحمّلوها على الأقتابِ قهرًا أجمعينا

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢٥٧/٣ ، ينابيع المودة لذوي القربى ٧٩/٣ ، شرح إحقاق الحق١١/٦٣٣.

وزينبُ أخرجُوها من خِباها وفاطمُ والـهٌ تُبدي الأنينا
سُكينةُ تشتكي من حرٍّ وجدٍ تُنادي الغوثَ ربَّ العالمينا[1]

شخصية مُعظّمة في أدب الطف :

رغم التكتم والحذر في رثاء الإمام الحسين عليه السلام فقد وجدنا السيدة سكينة عليها السلام حاضرة بين ثنايا أبيات الرثاء ، فهي في أدب الطف في القرن الأول وبعد كربلاء شخصية معظَّمة لا يمكن تجاهلها فإذا ما ذكرت النساء الفاطميات كانت في الطليعة ، وهذه المكانة ما كانت عليها السلام لتستحقَّها إلا بما تمتلكه من ملكات خاصة ، فهي خيرة النساء ، وهي الباكية لما جرى على العترة الطاهرة ، وعلى رأسهم والدها عليه السلام ، وهي التي قاست آلام السبي والذلة ، وهي المستغيثة بالله الشاكية له ما ألَمَّ بها . هذه مجموعة انطباعات يمكن أن نخرج بها بعد قراءة الأبيات السابقة .

الرمزية في أدب الطف :

إذا ما انتقلنا مع أدب الطف عبر العصور ، فسنجد أن السيدة سكينة عليها السلام قد تحولّت إلى رمز كربلائي تفنَّن الشعراء في توظيفه ، فمتى ما ذُكِر هذا الرّمز استحضر المتلقّي في ذهنيته علاقتها بالإمام الحسين والعباس وإخوتها عليهم السلام ،وهي رمز لعلاقة الأخت بالأخ الصغير ، وهي رمز لليتم في حداثة السن ، وهي رمز للندبة والبكاء ، وهي رمز لعطش الأسرة المحمدية الممنوعة من الماء .... فلعنة الله على ظالميهم ، وعلى من سمع بذلك فرضي به .

وقد برز ذلك جليًا في شعر ابن حماد من شعراء القرن الرابع ، حيث

---

(١) ينابيع المودة لذوي القربى ٣/٩٤ـ٩٥ ، بحار الأنوار ٤٥/١٩٧ـ١٩٨ ، العوالم ،الإمام الحسين : ٤٢٣ـ٤٢٤ .

استطاع تصوير مشهد من مشاهد كربلاء المروية ، بصورة قصصية أفعمها بالحوار ، إذ يقول :

ولقد عَجِبتُ من الإلهِ وحِلمهِ ... في الحالِ جلّ جلالُه وتعالى
كفروا فلم يخسفْ بهمْ أرضًا ... فعلوا وأمهلهمْ به إمهَالا
وغدا الحِصانُ من الوقيعةِ عاريًا ... ينعى الحسينَ وقد مضى إجفالا
متوجِّهاً نَحْوَ الخيامِ مُخضَّبًا ... بدمِ الحسينِ وسَرجُه قد مالا
وتقولُ زينبُ : يا سكينةُ قد أتى ... فَرسُ الحسينِ فناظري ذا الحالا
قامتْ سكينةُ عاينته مُحَمْحِمًا ... مُلْقى العنانِ فأعولتْ إعوالا
فبكتْ وقالتْ: واشماتةَ حاسدي ... قتلوا الحسينَ وأيتموا الأطفالا
يا عمّتا جاء الحِصانُ مُخضَّبًا ... بدمِ الشهيدِ ودمعُهُ قد سَالا
لـمَّا سَمِعنَ الطّاهراتُ سكينةً ... تنعى الحسينَ وتُظهرُ الإعوالا
أبرزنَ من وَسطِ الخدورِ صوارخًا ... يندُبنَ سِبْطَ مُحمَّدٍ المفضالا(١)

الجرس والإيحاءات :

أكثر الشعراء من ذكر السيدة سكينة عليها السلام واستخدامها الرمزي في الشعر ولعل سبب ذلك بالإضافة لمكانتها ومواقفها الجرس الموسيقي لذات الاسم (سكينة)، مع إمكانية تصريف (سكينة) بأجراس موسيقية أخرى مثل (سُكن ، سُكين) . فإذا ما وضعنا في اعتبارنا الدلالات والإيحاءات التي يحملها اسم سكينة من وداعة وهدوء وسكون إضافة للعَلَمِيّة ، كان ذلك كاشفًا من ناحية فنية عن أسباب بروز اسم سكينة على لسان الشعراء منذ القرن الأول وحتى يومنا ، وهذا ـ طبعاً ـ ناظر إلى الجنبة الفنية الأدبية لذات الاسم دون غيرها من الجوانب الأخرى . كقول

---

(١) العوالم ، الإمام الحسين : ٥٦٧ ، بحار الأنوار ٤٥/ ٢٦٤ .

الشاعر سيف بن عميرة النخعي الكوفي وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام:

وسكينةٌ عَنْها السَّكينةُ فارقت لـمَّا ابْتَدَيْتَ بفرقةٍ وتغيّرِ
ورُقيَّةٌ رقَّ الحسودُ لضعْفها وغدا ليعذرَها الذي لم يَعْذُرِ
ولأمِّ كلثوم يجدُّ جديدُها لثمّ عقيبَ دموعها لم يكررِ
لم أنسها وسكينةً ورقيّةً يبكينه بتحسُّرٍ وتزفّرِ
يدعون أمّهُمُ البتولةَ فاطمًا دعوى الحزينِ الوالهِ المتحيّرِ
يا أمّنا هذا الحسينُ مجدَّلاً مُلقىً عفيرًا مثلَ بدرٍ مُزهرِ [1]

وكقول ابن العرندس من شعراء القرن التاسع [2]:

وسَروا بنسوتهِ السّراةُ بلا ملاً حسْرى يُلاحظُهنّ ألحاظُ الملا
وغدوا بزينِ العابدين السّاجدِ الحِبرِ الأمينِ مقيَّدًا ومُغلّلا
وسُكينةٌ أمْستْ وسَاكِنُ قلبِها متحرِّكٌ فيه الأسى لن يَرْحلا
وَبدَالِ دَمعِ العينِ منها غرَّقَتْ صَادَ الصَّعيدِ وأنبتتْ كَافَ الكَلا

(١) المنتخب للطريحي ، المجلس التاسع من الجزء الثاني : ٤٤٧ ، ولعل هذا النص الثابت لصاحبه - حيث ختم القصيدة بذكر اسمه - من أقدم النصوص التي تذكر السيدة رقية عليها السلام ، كما أن في القصيدة ما يشير إلى انحدارها من السيدة البتول فاطمة عليها السلام بالإضافة لتلازمها في الأبيات مع السيدة سكينة عليها السلام مما يشعر على أقل تقدير بوجود بنت للإمام الحسين عليه السلام أغفل ذكرها التاريخ وهي السيدة رقية عليها السلام .

(٢) موسوعة الغدير ٧/٧ .

مكانة السيدة سكينة عليها السلام :

رغم كل ما ألصق بالسيدة الجليلة العابدة من زيف وافتراء ، فقد رشح التاريخ بعبارات تدل على عظم مكانتها ، فقيل : إنها عقيلة قريش[١] وسيدة نساء عصرها[٢] ، ولن نستقصي في هذا الباب أقوال الأعلام ، بل يكفينا أن نُذكّر بالأبيات المنسوبة للإمام الحسين عليه السلام والتي تصف السيدة سكينة عليها السلام بـ (خيرة النسوان)[٣] ، وسنحاول قراءة مكانتها من خلال المحاور التالية :

١) الكمُّ الهائل من التزييف في حياتها :

لا يمكن أن يكون هذا الكمُّ الهائل من الأباطيل والكذب على السيدة سكينة عليها السلام إلا دليلاً على مكانتها ، فكيف تستهدف دون غيرها بهذا الكمِّ ؟.

لعل بين أيدينا إشارات تاريخية لشخصية متعارضة مع مصالح السلطة فهي المبرزة لمظلومية أهل بيتها من خلال البكاء على عترتها وإقامة المآتم،وهي الواقفة في وجه السلطان ، المعترضة على سبِّ جدها أمير المؤمنين علي عليه السلام[٤] ، وهي القائلة لهشام بن عبدالملك (على ذمة التاريخ): والله يا أحول ، لقد أصبحت تهكم بنا ، أما والله ما أبرزنا لك إلا يوم

---

(١) الكامل في التاريخ ٣٣٣/٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٣٩٤/٢ ، الوافي بالوفيات ١٨٢/١٥.

(٣) شرح إحقاق الحق ٦٣٣/١١ ، ينابيع المودة لذوي القربى ٧٩/٣ ، وردت الأبيات في مناقب آل أبي طالب ٢٥٧/٣ مع اختلاف يسير في ألفاظ صدر الرواية .

(٤) تذكر لها حادثة مع ابن مطيرة في الأغاني ١٥١/١٦ ، ومع مروان بن الحكم في: تاريخ مدينة دمشق ٢٠٦/٦٩ ، وتاريخ الإسلام ٣٧١/٧ ، الوافي بالوفيات ١٨٢/١٥ .

الطف ، قال : أنت امرأة كثيرة الشر[١] ، وهي الراوية لأحاديث طالما حاولت السلطة إخفاءها ، مما جعل السلطة الحاكمة تؤخر دفنها تنكيلاً[٢] .

٢) روايتها للحديث :

عدّها ابن حبّان في الثقات[٣] ، فنُقل عنها حديث جدها رسول الله ﷺ بواسطة والدها[٤] وتقبّل أهل الحديث روايتها ، وهذا ما يتعارض مع الصورة المجونية التي رسمها لنا التاريخ عن تلك السيدة الجليلة ، حيث عُرف عن منهج أهل الحديث تشدُّده فيمن يأخذ عنهم .

ولن نجمع في هذا العنوان مروياتها ومن نقل تلك المرويات ، ويكفينا أن نشير لطبيعة تلك الروايات المتعارضة مع السلطة الحاكمة ، وعلى طليعة تلك المرويات أخبار فاجعة كربلاء ، وقد سجّلت كتب المقاتل تلك الروايات .

وأضف لروايات كربلاء روايتها لاحتجاج السيدة الصديقة فاطمة عليها السلام على ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بحديث الغدير وحديث المنزلة[٥] ، وطالما سعت السلطة لإخفاء هذا النوع من الاحتجاج ومحاربة القائلين به .

ونختم هذا العنوان بهذه الرواية الكاشفة عن طبيعة تلك الروايات : حدَّثنا محمد بن علي بن الحسين ، قال : حدَّثني أحمد بن زياد بن جعفر ،

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢١/٧٠ .

(٢) الأغاني ١٨١/١٦ .

(٣) الثقات لابن حبان ٣٥٢/٤ .

(٤) تهذيب الكمال للمزي ٣٩٧/٦ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧١/٧ .

(٥) موسوعة الغدير ١٩٧/١ راجع مصادره من كتب العامة .

قال : حدَّثني أبو القاسم جعفر بن محمد العلوي العريضي ، قال : قال أبو عبدالله أحمد بن محمد بن خليل ، قال: أخبرني علي بن محمد بن جعفر الأهوازي قال : حدثني بكر بن أحنف قال : حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليهما السلام ، قالت : حدَّثتني : فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر عليهما السلام قلن : حَّدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد عليهما السلام قالت : حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي عليهما السلام قالت : حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين عليهما السلام قالت: حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي عليهما السلام عن أم كلثوم بنت علي عليه السلام عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درة بيضاء مجوَّفة ، وعليها باب مكلَّل بالدرِّ والياقوت ، وعلى الباب ستر فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب " لا إله إلا الله ، محمد رسول الله عليٌّ وليُّ القوم " ، وإذا مكتوب على الستر "بخٍ بخٍ من مثل شيعة علي ؟" فدخلته فإذا أنا بقصر من عقيق أحمر مجوَّف ، وعليه باب من فضة مكلَّل بالزبرجد الأخضر ، وإذا على الباب ستر ، فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب : " محمد رسول الله ، عليٌّ وصيُّ المصطفى " ، وإذا على الستر مكتوب : " بشِّر شيعة علي بطيب المولد " ، فدخلته فإذا أنا بقصر من زمرد أخضر مجوَّف لم أر أحسن منه ، وعليه باب من ياقوتة حمراء مكلَّلة باللؤلؤ ، وعلى الباب ستر ، فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الستر : "شيعة علي هم الفائزون " فقلت : حبيبي جبرئيل ، لمن هذا ؟ فقال : يا محمد ، لابن عمِّك ووصيِّك عليِّ بن أبي طالب عليه السلام ، يحشر الناس كلُّهم يوم القيامة حفاةً عراةً إلاَّ شيعة علي ، ويدعى الناس بأسماء أمهاتهم ما خلا شيعة علي عليه السلام فإنهم يدعون بأسماء آبائهم ، فقلت : حبيبي جبرئيل ، وكيف ذاك؟ قال : لأنهم أحبُّوا عليًا فطاب مولدهم"[1].

---

(١) بحار الأنوار ٧٦/٦٥ .

٣) عناية المتشرّعة بفعلها :

ورد عند العامة والخاصة: أن سكينة بنت الحسين رمت الجمرة، ورجل يناولها الحصى، تكبّر مع كل حصاة ، فسقطت حصاة فرمت بخاتمها [١].

وبعيدًا عن النظر في صحة الرواية وعدم الصحة فإن مناقشة المتشرّعة في كتب الفقه وتصحيحهم لفعل السيدة سكينة عليها السلام [٢] وجعله محل عناية لدليل على سموّ مكانتها عند الفقهاء .

٤) تواتر تقدير المسلمين لها :

ويمكن قراءة ذلك من خلال تشييد مقاماتها وزيارة تلك المقامات من العامة والخاصة جيلاً بعد جيل في مصر والشام المعاندة المعادية ، ولعل وجود مقامها في الشام أبلغ من كل مقال .

٥) ادعاء بعض القبائل الانتساب لها :

لا يمكن قراءة هذا التهافت والاستماتة من بعض قبائل السواكن المنتشرة في الوطن العربي [٣] على الانتساب للسيدة سكينة عليها السلام إلا دليلاً على مكانتها عليها السلام. وإن كان لازم دعواهم أن يكونوا من قريش إذ أن أزواجها (على ذمة التاريخ) كلهم من قريش ،. وهذا ما لا يقول به كل من حاول الانتساب من تلك القبائل للسيدة سكينة عليها السلام.

---

(١) تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ١/٣٧٦ و ٨/٢١٥ ، المغني لعبدالله بن قدامة٣/٤٤٦ ، الشرح الكبير لعبدالرحمن بن قدامة ٣/ ٤٥١ .

(٢) حيث إن فصّ الخاتم من حجارة الأرض ، راجع منتهى المطلب للعلامة الحلي٢/ ٧٣٠.

(٣) راجع منتديات أبناء ليبيا موسوعة القبائل العربية ، وكتاب على الشبكة العنكبوتية بعنوان (لمحات من تراث خليل الرحمن) إعداد المهندس تحسين عبدالنبي النتشة : ٨ .

الوفاة :

لم تسلم حياة السيدة سكينة عليها السلام من التحريف حتى في موتها فجعلوا الإمام علي بن الحسين عليه السلام حاضرًا في عام وفاتها ١١٧هـ وهو المستشهد عام ٩٤ أو ٩٥هـ حيث ورد: أنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبدالملك ، فآذنوه بالجنازة وذلك في أول النهار في حر شديد فجعل يماطلهم إلى أن صُلِّيت العشاء ولم يجئ ، فجعلوا يصلُّون عليها جمعًا جمعًا وينصرفون ، فأمر علي بن الحسين من جاء بطيب ، وإنما أراد خالد فيما ظنَّ قوم أن تنتن، وأتي بالمجامر فوضعت حول النعش ، ويذكر الخبر أن من جاء بالطيب هو ابن اختها محمد بن عبدالله العثماني [(١)] ، ثم بعده بسطور يصبح من جاء بالطيب عبدالله بن الحسن المثنى [(٢)]. وقد ورد قبل هذا الخبر أنه لم يصلِّ على أحد بعد الرسول ﷺ بغير إمام إلا سكينة [(٣)] .

عام الوفاة :

ذهب جملة من المؤرخين إلى أن وفاة السيدة سكينة عليها السلام عام ١١٧هـ ولم يختلفوا في عام وفاتها ، بل حدَّد بعضهم يوم الوفاة بالخامس من ربيع الأول [(٤)]. وقد سبق وأن أشرنا إلى أن جملة من المتأخرين حدَّد عمرها

---

(١) تزوَّجت السيدة فاطمة بنت الحسين عليه السلام ـ على ذمة التاريخ ـ بعبدالله العثماني المتوفى عام ٩٦هـ أي قبل وفاة زوجها الأول الحسن المثنى المتوفى عام ٩٧ هـ بعام ، وهو ما لا يصح فراجع ما كتبه صاحب عبق من السيرة الحسينية : ٣٥٥ .

(٢) الأغاني ١٨٢/١٦ .

(٣) الأغاني ١٨١/١٦ .

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩٦/٢ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣٧٣/٧ ، تاريخ مدينة دمشق ٢١٨/٦٩ ، تاريخ خليفة بن خياط: ٢٧٤ ، الثقات لابن حبان ٣٥٢/٤ ، تاريخ اليعقوبي ٣٢٠/٢ ، سير أعلام النبلاء ١٠١/١ ، شذرات الذهب ٨٢/٢ ، مرآة الجنان١٩٩/١ ، تذكرة الخواص : ٢٣٥ ، تهذيب الأسماء واللغات للنووي : ٢٤٦ .

الشريف حين وفاتها بسبعين عامًا أو خمسة وسبعين عامًا ، ولكننا لم نقف على ذلك عند المتقدمين فلم يصح لدينا عمرها الشريف وبالتالي سنة ولادتها .

مكان دفنها :

ظاهرة جديرة بالتأمل أن لا يُعلم للنساء الهاشميات إلا ما ندر قبر على وجه التحديد والتعيين ، وخلوُّ الجزيرة العربية من مشاهد لتلك الأجساد الطاهرة ، وتسابق الحواضر الأخرى على تشييد أماكن شاخصة يشار إلى أنها أماكن حوت تلك الأجساد تعود إلى أزمنة مغرقة في القدم ، فإن علم سبب إخفاء قبر الشهيدة الصديقة سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام ، فإنه لا يعلم على وجه التحديد سبب لتعدد موضع قبر السيدة زينب عليها السلام بين المدينة والشام ومصر ، فما أبعد تلك الأقطار !

كما أنك إن بحثت عن قبر للسيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام فسيضنيك البحث دون الوصول لقبر معين شاخص ، ولعل مكان دفن السيدة سكينة عليها السلام يمثّل أعلى تلك النماذج بتعدُّد أماكن مدفنها.

وقد جمع صاحب أعيان الشيعة طرفًا من أماكن دفنها[1] ، وزاد عليه صاحب عبق من السيرة الحسينية[2] فأوفى الكيل، ونحن على إثرهما مقتفون :

المدينة :

وإذ لم يختلف المؤرخون في عام وفاتها فقد اختلفوا في مكان دفنها وإن رجَّحوا أنها توفيت بالمدينة المشرفة ، وفي ذلك يقول اليافعي : هكذا ذكر

---

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ٣/٤٩١ .

(٢) عبق من السيرة الحسينية ، عارف آل سنبل : ٣٩٢-٣٩٦ .

موتها بالمدينة في كل تاريخ وقفت عليه[١] ، ويقول النووي : والصحيح وقول الأكثرين أنها توفيت بالمدينة[٢] .

وقد دل على ذلك بعض الإشارات التاريخية حيث ذهب الذهبي في تاريخه إلى أن إقامتها ووفاتها بالمدينة[٣] ، كما أشار غير واحد لوجود منزل لها في المدينة[٤] ، وحدَّد بعضهم مكان منزلها في وادي العقيق وأنها كانت تسكن قصرًا[٥] .

وقد بحثت عن قبر شاخص لها في جنَّة البقيع فأعياني الطلب ، فقلت في نفسي : لعلها مضطجعة بين عمِّها والد زوجها الإمام الحسن عليه السلام وأخيها الإمام زين العابدين عليه السلام ، فأدمت النظر ، فلم أجد سوى قبور شاخصة تصرخ بظلامتهم على مرّ العصور .

وقد تردَّد في خاطري مقولة : وطيب تراب القبر دلّ على القبر ، وأنّى لمثلي وقد تلبَّسته الذنوب أن يصل لتلك المقامات ، فأخذتني رجلي نحو قبر السيدة الجليلة أم البنين ، فتردَّد في خاطري صوت آخر يقول : إن السيدة سكينة عليها السلام قد دفنت عند أم البنين لتستريح بين أحضانها ، وتبثها آلام كربلاء وفواجع الشام ، وتقيم معها مأتم الدهر، وأخيرًا عجزت عيني أن

(١) مرآة الجنان ١/١٩٩ .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي : الأسماء/٢٤٦ .

(٣) تاريخ الإسلام ٧/٢٧٣ .

(٤) تاريخ المدينة لابن شبة ١/٢٥٨ ، موسوعة التاريخ الإسلامي ٢/٣٧ .

(٥) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي ٣ /١٩٧ ،وهذا ما يتعارض مع ما جاء في المغانم المطابة في معالم طابة للفيروز آبادي : ٢٥٢ ؛ إذ قال : وكان بنو أمية يمنعون البناء في عرصة العقيق ضنًا بها بينهم ، وأن سلطان المدينة لم يكن يُقطع بها قطيعة إلا بأمر الخليفة حتى خرج خارجة بن حمزة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن العوام ، إلى الوليد بن عبدالملك يسأله أن يقطعه موضع قصر فيها .

ترى لها قبرًا شاخصًا ، وما ذاك إلا لأن مدفنها في قلبي ، فالحمد لله على أول النعم .

وقد أشار بعضهم إلى مواضع أخرى ضمَّت جسدها الطاهر إلا أنهم رجَّحوا وصحَّحوا مدفنها في المدينة ، ومع ذلك لا يمكن تجاهل تلك القبور الشاخصة في البقاع الأخرى ، وإن لم يُثبت التاريخ أنها مثوى الطاهرة سلالة الأبرار فهي مقامات تدل على جلال من نُسبت إليه وكفى بذلك شرفًا .

مكة أو طريق العمرة :

جاء في تذكرة الخواص : قال ابن سعد : توفيت بالمدينة ... وأما غير ابن سعد فإنه يقول : توفيت بمكة[١] . أما اليافعي - المتوفى عام ٧٦٨هـ - فبعد أن ذكر أنها توفيت بالمدينة قال : هكذا ذكر موتها بالمدينة في كل تاريخ وقفت عليه خلاف ما يقوله العامة من أنها مدفونة خارج مكة في القبة التي في الزاهر في طريق العمرة[٢] . وفي معجم البلدان أن الزاهر هو وادي فخ[٣] وفيه حدثت واقعة فخ المشهورة .

مصر[٤] :

(هناك من يذكر أن سكينة عليها السلام قد جاءت مع عمتها زينب عليها السلام إلى مصر ، وأقامت في دار بالقرب من دار عمتها السيدة زينب حتى توفيت ودفنت بها ، وبالتالي أقيم في هذه الدار ضريحها الموجود حاليًا بالمسجد الذي يحمل اسمها .

---

(١) تذكرة الخواص : ٢٣٥ .

(٢) مرآة الجنان ١/١٩٩ .

(٣) معجم البلدان ٤/٢٣٧ .

(٤) نقلاً عن صاحب عبق من السيرة الحسينية بتمامه وكماله وبهامشه : ٣٩٤ .

وقد أيَّد هذا الرأي الشعراني في طبقاته والمناوي والحلبي ، كما أكَّد ذلك ابن زولاق ، واعتبرها أول من دخل مصر من ولد علي عليه السلام.

وذكر النسابة العبيدي أن السيدة سكينة صحبت عمَّتها السيدة زينب في خروجها إلى مصر حين أدرك يزيد خطر مقامها بالمدينة ، فأمر أن يفرِّق بينها وبين الناس حتى لا تكون فتنة .

وتُعلِّق بنت الشاطئ على ذلك فتقول : وإذا صحَّت الرواية فلعل السيدة سكينة قد عادت إلى الحجاز بعد وفاة عمتها زينب سنة ٦٢هـ .

وأما مقامها فاعتبرته من المقامات التي تبنى بسبب رؤيا يراها راءٍ فتؤخذ مأخذ التقديس[١] .

وكلا القولين لبنت الشاطئ مفتقران للدليل ، وإنما هي استحسانات لا تضفي على الموضوع أي إضاءة ، فتظل مفتقرة للمؤيدات أو المفندات).

الشام :

جاء في تهذيب الأسماء للنووي المتوفى عام ٦٧٦هـ : ويقال : عادت إلى دمشق وأن قبرها بها ، والصحيح وقول الأكثرين أنها توفيت بالمدينة[٢] .

كما جاء في تاريخ ابن عساكر المتوفى عام ٥٧١ هـ : فأما قبر سكينة بنت الحسين فيحتمل ، لأنها تزوَّجت بالأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان الذي كان بمصر ورحلت إليه فمات قبل أن تصل إليه ، فيحتمل أنها قدمت دمشق وماتت بها ، والصحيح أنها ماتت بالمدينة[٣] . كما ذكر في موضع آخر القول بوجود قبرها بدمشق ولكن يضعفه أهل العلم [٤] .

---

(١) راجع مقالين منشورين في الأنترنت للدكتورة سعاد ماهر وحنفي المحلاوي .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي : الأسماء/٢٤٦ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢/٤٢١ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٦٩/٢١٧ .

وأما موضع قبرها ففي مقبرة باب الصغير ، وهو الموضع المعروف والمزار (يقع في مقبرة باب الصغير بتربة القلندرية ، وسط المقبرة داخل قبة ، وقيل مسجد فيه بئر وله منارة لطيفة ، على القبر تابوت خشبي قديم محفور عليه بالخط الكوفي ما يشير إلى اسمها ، طوله ثلاثة أمتار وعرضه متر ونصف وارتفاعه متر . صنع أيام العباسيين حين توليهم الحكم)[١].

وقد جاء في أعيان الشيعة : أما القبر المنسوب إليها بدمشق في مقبرة الباب الصغير فهو غير صحيح ، لإجماع أهل التواريخ على أنها دفنت بالمدينة، ويوجد على هذا القبر المنسوب إليها بدمشق صندوق من الخشب كتبت عليه آية الكرسي بخط كوفي مشجَّر رأيته ، وأخبرني الثقة العدل الورع الزاهد العابد الشيخ عباس القمي النجفي - الذي هو ماهر في قراءة الخطوط الكوفية - بدمشق في رجب أو شعبان سنة ١٣٥٦هـ أن الاسم المكتوب بآخر الكتابة التي على الصندوق سكينة بنت الملك ، بلا شك ولا ريب ، وكسر ما بعد لفظة الملك ، فالقبر إذًا لإحدى بنات الملوك المسمَّاة سكينة[٢].

وقد تفرَّد ابن بطوطة المتوفى عام ٧٧٩هـ بقوله إن قبر السيدة سكينة بنت الحسين بن علي عليهما السلام بالقرب من السيدة زينب عليها السلام في حي الست[٣].

طبرية :

وهنا أنبِّه إلى أن المصادر التي ذكرت مواضع قبرها الشريف هي مصادر قديمة ، لا كما يدعيه البعض من أنها من مخترعات الشيعة الحديثة ، حيث جاء في معجم البلدان للحموي المتوفى عام ٦٢٦هـ : وفي ظاهر طبرية

---

(١) مشاهد ومزارات ومقامات آل البيت عليهم السلام في سورية ، هاشم عثمان : ٣٥ .
(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ٤٩٢/٣ .
(٣) رحلة ابن بطوطة : ٩٩ .

قبر يرون أنه قبر سكينة ، والحق أن قبرها بالمدينة ، وبه قبر يزعمون أنه قبر عبيدالله بن عباس بن علي بن أبي طالب[١].

الكوفة :

ولعله مما تفرد به أيضاً ابن بطوطة المتوفى ٧٧٩هـ حيث أشار إلى آثار مسجد الكوفة ثم قال : (وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يُصعد إليه ، فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبمقربة منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة بنتي الحسين عليه السلام)[٢].

الخلاصة :

إذا ما وضعنا الروايات التاريخية لكربلاء في كفّنا ، والنصوص الأدبية منها في كفنا الأخرى ، وأمعنّا النظر فيما احتوته الكفان ، أعشى بصرنا إكبار التاريخ لسيرة السيدة سكينة عليها السلام ، وأذهب بنوره إجلال النصوص الأدبية لتلك الشخصية الفاطمية حفيدة النبي محمد صلى الله عليه وآله مجمع الكمالات ومصدرها ، هكذا رسمها التاريخ وأرباب المقاتل ، وهكذا أبرزها أدب الطف في تلك المرحلة التاريخية من عمرها الشريف ، فما عدا مما بدا ، حتى تكون بعد كربلاء امرأة مشينة ، متهتكة ماجنة مزواجة ، تألف مجالس البطالين من شعراء ومغنين ، أما كانت تسمع أخاها الإمام زين العابدين عليه السلام يناجي ربَّه ويقول : (من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً ، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً)!؟[٣] ، أم أنها ما تلت في تلك المرحلة التاريخية التي كانت توصف فيها بالعبادة والقرب من الله ،

(١) معجم البلدان للحموي ١٩/٤ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ٢١٩ .

(٣) الصحيفة السجادية ، مناجاة المحبين : ٢٤٧ .

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾[١] فإن لم تكن تتلو كتاب الله في مرحلة وصفت فيها بالاستغراق مع الله ، أما سمعت في أبيات الوحي يتلى قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[٢] فإذا كانت سمعت ووعت كل ذلك ، فما سرُّ الانقلاب ـ ولا أقول التغيير ـ في شخصيتها ؟! أحسب كل تلك الافتراءات شنشنة نعرفها من أخزم .

(١) النساء : ٢ .

(٢) إبراهيم : ٢٨

ما بعد كربلاء

المدينة بعد الإمام الحسين عليه السلام

أهم سمات عصر السيدة سكينة عليها السلام

أسباب الوضع العامة والخاصة

مناهج الرّد

ردُّ المفتريات في كلمة

ما بعد كربلاء

المدينة بعد الإمام الحسين عليه السلام :

تهيَّأت مدينة الرسول ﷺ قبل وصول سبايا آله ﷺ بنصب المآتم على سيد الشهداء عليه السلام ، فكان رسول الله ﷺ أول الباكين وهو المُعَزَّى ، فقد روي عن ابن عباس رضوان الله عليه أنه قال : رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار ، وهو قائم أشعث أغبر ، بيده قارورة فيها دم ، فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين وأصحابه ، ولم أزل ألتقطه منذ اليوم ، فأحصينا ذلك اليوم ، فوجدوه قتل في ذلك اليوم(1) .

ولم يكن هذا المأتم هو المأتم الوحيد الذي أقامه الرسول ﷺ في ذلك اليوم ، بل أقام مأتمًا آخر عند أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، فقد أورد الترمذي في سننه بسنده عن رزين ، قال : حدَّثتني سلمى ، قالت : دخلت على أم سلمة وهي تبكي، فقلت : ما يبكيك ؟ فقالت : رأيت رسول الله تعني في المنام، وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال شهدت قتل الحسين آنفًا (2) .

تلقَّت المدينة سبايا آل محمد ﷺ ، واحتضنتهم بعد فاجعة كربلاء ، فعاش البيت المحمدي بين باكٍ وباكية ، حتى أصبح النوح والبكاء وردهم

---

(1) مسند أحمد ٢٨٣/١ ، المستدرك ٣٩٨/٤، الإصابة ٧١/٢، تهذيب التهذيب ٣٠٦/٢، المعجم الكبير ١١٠/٣ و ١٤٣/١٢، الاستيعاب ٣٩٥/١، تاريخ مدينة دمشق ٢٣٧/١٤، أسد الغابة ٢٢/٢ ، سير أعلام النبلاء ٣١٥/٣ ، تاريخ الإسلام ١٧/٥، مجمع الزوائد١٩٤/٩ ، ذخائر العقبى : ١٤٨ ، إمتاع الأسماع ٢٤١/١٢ ، نظم درر السمطين : ٢١٧ ، البداية والنهاية ٢١٨/٨ وقال : تفرَّد به أحمد وإسناده قوي، شرح الأخبار١٦٨/٣ ، الملاحم والفتن: ٣٣٤ ، مثير الأحزان: ٦٢ ، بحار الأنوار ٢٣١/٤٥.

(2) سنن الترمذي ٣٢٣/٥ ، المستدرك ١٩/٤ ، المعجم الكبير ٣٧٣/٢٣ ، التاريخ الكبير ٣٢٤/٣ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٣٨/١٤ ، أسد الغابة ٢٢/٢ ، تهذيب الكمال٤٣٩/٦ ، سير أعلام النبلاء ٣١٦/٣ ، تهذيب التهذيب ٣٠٧/٢ ، البداية والنهاية ٢١٨/٨ .

وذكرهم ، فهذا الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إذا أخذ إناءًا بكى حتى يملأها دمعًا ، فقيل له في ذلك . فقال : وكيف لا أبكي وقد منع أبي الماء الذي كان مطلقًا للسباع والوحوش (١) .

وحُقَّ له روحي فداه ، فهو كما يروى عنه عليه السلام يقول : إن يعقوب كان له اثنا عشر ابنًا ، فغيَّب الله واحدًا منهم ، فابيضَّت عيناه من كثرة بكائه عليه ، واحدودب ظهره من الغمِّ ، وكان ابنه حيًّا في الدنيا ، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي ، فكيف ينقضي حزني (٢) .

هذا حال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام بعد كربلاء ،أما الرباب والدة السيدة سكينة عليهما السلام فقد أقامت مأتمًا وبكت وأبكت عليه النساء والخدم، حتى جفَّت دموعهن وذهبت (٣) ، بل عاشت بعد كربلاء واستشهاد سيد شباب أهل الجنة عليه السلام سنة ، لم يظلها سقف حتى بليت وماتت كمدًا (٤) .

وأما النساء الهاشميات فقد روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال : ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ، ولا رئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قتل عبيدالله بن زياد لعنه الله . وعن عبدالله بن محمد ابن أبي سعيد ، عن أبي العيناء ، عن يحيى بن راشد ، قال : قالت فاطمة بنت علي : ما تحنَّأت امرأة منا ، ولا أجالت في عينها مرودًا ، ولا امتشطت حتى بعث المختار رأس عبيدالله بن زياد (٥) .

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣/٣٠٣ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣/٣٠٣ ، اللهوف في قتلى الطفوف : ١٢٢.

(٣) الكافي ١/٤٦٦ ،الثاقب في المناقب : ١٢٢.

(٤) الكامل في التاريخ ٤/٨٨ ، تاريخ مدينة دمشق ٦٩/١٢٠ .

(٥) ذوب النضار : ١٤٤ ، بحار الأنوار ٤٥/٣٨٦ ، أعيان الشيعة ١/٥٨٧ .

هذا حال البيت المحمدي بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ، ولا أحسب أن السيدة سكينة عليها السلام لم تكن تحمل ذلك الحس الجماعي ، إذ هي صاحبة المصاب ، فالمذبوح أبوها وإخوتها وزوجها وأعمامها ، وأهل حزانتها من آل أبي طالب .

بل لم يكن قلب السيدة سكينة عليها السلام يسكن من نوح وبكاء ، قلب ملئ حبًا لوالدها عليه السلام ، وملئ حرارة إيمانية لا تبرد لقتل سيد الشهداء عليه السلام ، وقد ورد في الأغاني ، أنّ السيدة سكينة عليها السلام بعثت لابن سريج بشعر أمرته أن يصوغ فيه لحنًا يناح به ، وهو الآن داخل في غنائه ، والشعر :

يا أرضُ ويْحَكِ أكرمي أمْوَاتي ... فلقدْ ظفِرتِ بسادتي وحُمَاتي[1]

وقد ورد أيضًا أنها بعثت إلى ابن سريج بمملوك لها يقال له عبدالملك ، وأمرته أن يعلّمه النياحة[2] ، ثم إن عبدالملك كان ينوح في المآتم وتضرب دونه الحجب ، ثم ينوح فيفتن كل من سمعه[3] .

ولعل بكاءها قد قضَّ مضاجع القوم ، فلم يحلُ لهم ذلك البكاء والنوح المستمرُّ من البيت المحمدي ومن السيدة سكينة عليها السلام فعمدوا إلى مجالس النوح فجعلوها بقدرة الرواة والقصاصين مجالس غناء .

وليس غريبًا على القوم ما فعلوه ، فآباؤهم لم يحلُ لهم من قبل بكاء جدَّتها الصديقة السيدة فاطمة عليها السلام[4] فعمدوا إلى شجرة الأراك التي كانت تخرج وتبكي تحت ظلّها فقطعوا تلك الشجرة[5] .

---

(١) الأغاني ١/١٤٩ .

(٢) الأغاني ١/٢٥٠ .

(٣) الأغاني ٢/٢٥٤ .

(٤) بحار الأنوار ٤٣/١٧٧ .

(٥) حياة الإمام الحسين للشيخ باقر شريف قرشي ١/٢٦٩ .

على أنه لم يكن للسيدة سكينة عليها السلام شجرة فيعمدون لقطعها ! كما أن الباكين والموتورين هنا كُثر ، فماذا يصنعون لإسكات هذا البكاء ؟ أيقطعون الشجرة ؟ وبِمَ يقطعونها ؟ عذرًا هي أشجار وليست شجرة ، فلِمَ السيدة سكينة عليها السلام ؟

أسئلة سنحاول الوقوف عند بعضها ، بعد أن نقف على أحوال المدينة في ذلك العصر .

أحوال المدينة :

أ) الجانب السياسي :

إن المتتبع لمسيرة السيدين العظيمين عبدالمطلب وأبي طالب عليهما السلام وقيادتهما لقريش ، وبعد ذلك إذعان قريش للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ،لا يشك لوهلة أن أمر قيادة الأمة سيخرج من يد بني هاشم ، وهذا ما أكده النبي صلى الله عليه وآله ، وسعى لمنعه بتنصيب أمير المؤمنين علي عليه السلام بدءًا بيوم الإنذار ، ومرورًا بخيبر والغدير، وانتهاءً بحادثة الخميس قبيل وفاته صلى الله عليه وآله.

وبعيدًا عن الأدلة الشرعية ونصوصها في أحقية البيت الهاشمي ، فإن العارف بالنظام السياسي القبلي العربي في الزعامة والقيادة ، لا يكاد يشك في أن أمر القيادة سيخرج من بني هاشم ،فمما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع أنه أفاض إلى البيت فصلّى الظهر بمكة فأتى بني عبدالمطلب يسقون على زمزم فقال : ((انزعوا بني عبدالمطلب ، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم)) [1] وقد تمَّ استبدال هذا النظام السياسي القبلي في الفترة التي أُطلق عليها فترة الخلافة الراشدة، على أن هذا الاستبدال لم يدم طويلاً ، إذ جاء بأشكال مضطربة عُبّر عنها

---

(١) صحيح مسلم ٤/٤٢ ، السنن الكبرى ٤٦٠/٢ ، سيرة ابن كثير ٢٩٤/٤ ، فتح الباري ٣٩٣/٣ ، بحار الأنوار ٦٠٨/٣٠ .

بالشورى تارة ، وتارة بالتنصيب والوصية ، وأخرى بإمضاء أهل الحل والعقد ، ورغم هذا التنوع المستحدث في النظام السياسي القبلي ، إلا أنه لم يصمد وانتهى بقيام الدولة الأموية ، حيث عاد من جديد ذلك النظام السياسي القبلي ، وبعدها الدولة العباسية ، وحتى يومنا هذا ، وهو المشاهد في جُلّ بقاع الدول العربية ، رغم اختلاف أنظمتها ومسمَّياتها ، إلا أنها لا تكاد تخرج من تلك الدائرة القبلية السياسية .

ولم يغفل القوم عن ذلك النظام السياسي القبلي، فسعوا منذ عهد النبيﷺ لزحزحته عن مقرِّه الذي ارتضاه الله ، فكان ما أرادوا بعد أن أقصت قريش الأنصار خارج دائرة القيادة السياسية في يوم السقيفة على يد الحاكم الأول ، حيث تمَّ حصر الخلافة في قريش ، فتقلَّدت الأمور تيم ثم عدي وهما ليستا من أشراف قريش [١] ، ثم بنو حرب بعد ذلك ، فتطلَّعت قريش بجميع فروعها لقيادة الأمة ، فكان هذا التطلُّع مبعث رعب للحكام ، لذا راحوا يهيلون عليهم بالعطاء (فراحت العطايا تنحدر عليهم وخاصة حين دوَّن عمر بن الخطاب الدواوين وفرض الأعطيات الكثيرة ، كما كان الأمويون يغدقون عليهم إغداقًا ، استرضاءً لهم حتى ينصرفوا عن التفكير في الخلافة) [٢] .

هذا العطاء الباذخ بالإضافة إلى ما جلبه أهل الحجاز زمن الفتوحات من ذهب وفضة ومجوهرات ، والعنصر الأجنبي الذي أدخلوه بثقافاته المتنوعة

---

(١) هذا رأي أبي سفيان حين تمَّت بيعة الحاكم الأول ،حيث أقبل وهو يقول : أما والله ، إني أرى عجاجة لا يطفؤها إلا الدم ! يالعبدمناف ،فيم أبو بكر من أمركم؟! أين المستضعفان ؟ أين الأذلان ؟! يعني عليًا والعباس ، ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟! الكامل في التاريخ : ٣٢٦/٢ ، تاريخ الطبري ٤٤٩/٢ ، شرح نهج البلاغة ٢٢١/١ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، شوقي ضيف : ١٣٩ .

والمختلفة من عبيد وإماء، كل ذلك جعل مجتمع الحجاز يميل إلى الدعة والسكون ، وهذا ما أريد له من أول يوم تمَّ فيه زحزحة الخلافة عن مقرِّها.

فإذا ما استقر الأمر لبني أمية ، وتتبَّعنا حركات المقاومة والمعارضة زمن السيدة سكينة عليها السلام بعد كربلاء وما تلاها ، سنجد أنها بقيادات قرشية ، ولكن التعبئة والجيوش من خارج الحجاز ، وسنجد أن الحجاز لم تكن في يوم من الأيام جبهة قتال ، وإنما كانت دار إغارة في حادثتي : هدم الكعبة حين تحصَّن عبدالله بن الزبير بها ،وواقعة الحرة التي كان من نتائجها ما يخجل التاريخ أن ينقله للمسلمين ، فإن نقله فإنه ينقله على استحياء ، مشفوعًا بالتبرير للحاكم والعصبية المذهبية تأييدًا لسلطان الجور .

بعد كربلاء وهلاك يزيد بن معاوية ، حدث فراغ سياسي نتيجة الصراعات فعاشت الدولة الإسلامية في فوضى ، كان شاهدها الأجلى وساحتها الأوضح أرض العراق التي ما انفك ولاتها يُستبدلون ، ويستبدل ولاؤهم بين عشية وضحاها.

وأما الحجاز فقد تشكلت فيها قوى سياسية جديدة بقيادة عبدالله بن الزبير الذي دعا لنفسه مستغلاً واقعة كربلاء ، فاستقل بالحجاز ،وضم لها البصرة بعد ذلك، ثم جمع الحجاز والبصرة والكوفة تحت قيادته ، مما جعل الأمويين الجدد بقيادة مروان بن الحكم ، يستقلون بالشام ومصر، وبدأت بين الطرفين أصدقاء الأمس (واقعة الجمل) وأعداء اليوم، معارك طاحنة انتهت بغلبة المروانيين على الزبيريين ، بعد هلاك مصعب بن الزبير والي العراق للدولة الزبيرية عام ٧٢هـ ، على يد عبدالملك بن مروان، وانحسار الدولة الزبيرية في الحجاز حتى عام ٧٣هـ حيث قُتل عبدالله بن الزبير وانتهت دولته على يد الحجاج الثقفي قائد جيش عبدالملك بن مروان،

وتم له ذلك بعد أن هدم الكعبة وهتك حرمتها .

وفي هذه الأحداث المتلاحقة بعد كربلاء وقع أهل البيت عليهم السلام بين المطرقة والسندان ، فالثورات التي قامت ما فتأت تستغل الجماهير باسم الرضا من آل محمد ﷺ ، بل وبالدعوة للثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام .

وما إن ينتصر الثائر على الظالم ، حتى يتفرغ لأهل البيت عليهم السلام المغصوب حقهم في الخلافة ، فهم العدو الأول لكل دولة غاصبة لحقهم ، وهذا واضح في سيرة عبدالله بن الزبير ،(فما إن هلك يزيد حتى دعا لنفسه ، وترك الطلب بثأر الحسين عليه السلام ، وبدأ يكنُّ لهم العداء) [(١)].

ولم تكن ظاهرة محاولة استغلال البيت المحمدي وتعاطف الموحدين معهم، غير واضحة المعالم ، فمما يروى عن محمد بن الحنفية قوله: ((إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ، ويشيطوا دماءنا)) [(٢)] .

ب) الجانب الاجتماعي :

متى ما أردنا أن ننظر في أحوال المدينة الاجتماعية ، وجدنا عقبات تقف أمام رؤية واضحة المعالم لهذا المجتمع ، فالتاريخ الذي بين أيدينا في مجمله تاريخ حكام وسياسة ، لا تاريخ شعوب ، أضف إلى ذلك أن الرواية التاريخية تمثل الزاوية التي يرى منها المؤرِّخ ويسرد من خلالها أحداثه ، لذا ستجد كثيرًا من المتناقضات في ذلك المجتمع مرجعها للمصدر ، فكتب الأدب والتاريخ تصوِّر عصر السيدة سكينة عليها السلام على أنه عصر لا إيماني، بينما كتب الحديث والرجال تُقر وتؤكد بأن أفضل العصور هو عصر صحابة النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ...

فنظرة سريعة في كتاب الأغاني توقفنا على صورة لمجتمع فاسق ماجن،

(١) العوالم ، الإمام الحسين : ٦٧٥ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٤/٢٠٥ .

طوّر جميع إمكانياته ومعارفه وأدواته ،لكي يرقى بذلك الفكر المنحط الذي لا يعرف سوى الغناء والخمر والنساء ، لذا سنرى تطور الغناء وأدواته، وسيتبعه تطور الشعر ، ومجالس اللهو ، والتفنن في صنع الشراب، والمنادمة والملاهي والقيان ...

وفي الحقبة الزمنية ذاتها ، تنفّس وخذ لقطة تاريخية بين جنبات المدينة، وقف على معلم علمي شامخ خرّج أساطين العلم والعلماء، وكان هذا المَعْلَم برعاية الإمام محمد الباقر عليه السلام ، وبعده الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وإذا استطعت فمدَّ بصرك لذات الحقبة الزمنية وقبيل ما ذكرنا ، لترى ذلك الراكع الساجد ، العابد الباكي ، المناجي ربّه بانكسار وخشوع ، ذلك سيدي ومولاي - روحي لدمعته الفداء - زين العابدين وإمام الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام.

إن المتطلع لجميع تلك الأحوال لا يمكنه أن يقبل كل ما ورد في كتب الأدب على لسان القصاصين ، وأن المجتمع وصل إلى تلك المرحلة اللاأخلاقية ، وأنه مجتمع خالٍ من القيم والمثل ، ومع ذلك لا يمكن للباحث أن ينكر الانحراف الموجود في ذلك العصر . فإذا ما أسقطنا تلك الأحوال على جميع المجتمعات ، وجدنا أنها طبيعة اجتماعية منشؤها اختلاف الأفكار والأدوار والخطوط التي قد تفترق أحيانًا ، وتتقاطع في أحيانٍ أخرى .

أهم سمات عصر السيدة سكينة عليها السلام :

مع كل هذا التنوع السياسي والاجتماعي والعقدي ، يمكننا أن نقول بأن لكل عصر ومجتمع سمات أظهر من غيرها ، يعرف بعضها في نفسه، ويعرف بعضها الآخر بالمقارنة ، لذا يمكن أن نقول بأن عصر السيدة سكينة عليها السلام امتاز بميزات اجتماعية وسياسية وعقدية نوجزها في نقاط :

١-الاقتصاد المالي الباذخ ، واللعب بمقدرات الأمة ، فلك أن تراجع تركة الزبير لتقف على ضخامة الأموال التي دخلت المدينة من جراء إغداق السلطة على بعض الأفراد ، فهذا ابن حجر في فتح الباري باب بركة الغازي في ماله يقف على تركة الزبير و يذكر أن نصيب نساء الزبير - وهن أربع - تجاوز الألف ألف لكل واحدة ، وهذا يقتضي أن يكون الثُمْن أربعة آلاف ألف ، ويزيد على ذلك [1].

٢-الانحراف العلني ، والجهر بالفسوق ، وتسامح الساسة في ذلك ، حتى وصل الأمر إلى أن يقول صاحب الأغاني : إن الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم ، ولا يدفعه عابدهم [2].

٣-الاقتصاد المالي ، والانحراف وأسباب أخرى ، أوجدت مجتمعًا متخاذلاً متكاسلاً منشغلاً عن الأحداث السياسية ، وخاصة بعد مقتل عبدالله بن الزبير عام ٧٣هـ ، فلم يكن للمدينة كمجتمع وشعب وجمهور مشاركة في الحركات السياسية إلا على مستوى القيادات .

٤-الإرهاب السياسي الذي مارسه كل من تولّى ، وهذا مما لا يحتاج فيه إلى دليل ، ودونك سُنّة سَبّ الإمام علي عليه السلام على منبر ابن عمه صلى الله عليه وآله ،

---

(١) فتح الباري ١٦٣/٦.

(٢) الأغاني ٢٤٤/٨ .

ووالد زوجه وأبي سبطيه ، ونفسه بنص آية المباهلة .

٥-وجود مناخ أدبي أفرز العديد من الشعراء ، الذين اتخذوا مسالك مختلفة ، فبرز في عصر السيدة سكينة عليها السلام عمر بن أبي ربيعة والفرزدق وجرير وكثير عزة وجميل والأحوص ونصيب والعرجي ...

٦-الحركة العلمية التي ابتدرها الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ، ونمت في عهد الإمام محمد الباقر عليه السلام ،وآتت أُكلها زمن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

أسباب الوضع والافتراء :

لم أكن أعلم بحجم الوضع والافتراءات التي ألصقت بأهل البيت عليهم السلام قبل شروعي في هذا البحث ، وإن كنت مسبقًا لمن المسلمين بوجود ذلك الوضع ، لكنني تفاجأت وذهلت من حجم الافتراءات ، وتنوع أساليبها ، وطريقة تناولها ، وتجنيد جميع المعارف لكي تستقيم تلك الافتراءات ، ويقبلها الذوق العام ، ويمكننا القول بأن للوضع أسبابًا عامة يشترك فيها جميع أهل البيت عليهم السلام مع اختلاف الأزمنة والأمكنة والظروف المحيطة ، كما أن هناك أسبابًا خاصة بالسيدة سكينة عليها السلام والفترة الزمنية التي عاشتها .

أ) أسباب الوضع العامة :

١-العداء لأهل البيت عليهم السلام ،ومنشؤه الثأر والحقد والحسد ، وأن الطرف الآخر يعلم علم اليقين بأنه سارق ومغتصب لحق غيره ، وأنه معتدٍ على أصحاب الحق ، ولكن هي السلطة والسلطان ، لذا وضع القوم ما يبرِّر فعلهم تحت غطاء حاولوا إعطاءه صبغة شرعية ، وحسبك فدك والأدلة التي ساقها القوم شاهدًا ونموذجًا على ذلك .

ولنا فيما قالته السيدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام بعد فاجعة كربلاء في خطبتها بالكوفة دليلٌ حيث قالت : حسدتمونا ـ ويلاً لكم ـ على ما فضَّلنا الله ، ثم استشهدت ببيت للأعشى :

فما ذنبُنا أن جاشَ دهرُ بحورِنا وبحرُكَ ساجٍ لا يُواري الدَّعَامصا[1]

هذه المكانة لأهل البيت عليهم السلام عند الله ، وفي نفوس الناس ، كان لها الأثر في أن يَكِّن القوم لهم الحسد والبغضاء ، لذا كادوهم وترصَّدوا لهم،

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢/٢٨ ـ ٢٩ ، والدعموص: دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء.

فعن يونس بن حبيب النحوي ـ وكان عثمانيًا ـ قال : قلت للخليل بن أحمد : أريد أن أسألك عن مسألة فتكتمها عليَّ ؟ قال : إن قولك يدل على أن الجواب أغلظ من السؤال، فتكتمه أنت أيضاً ؟ قال : قلت : نعم ، أيام حياتك ، قال : سل . قال : قلت : ما بال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله ورحمهم) كأنهم كلهم بنو أم واحدة وعلي بن أبي طالب من بينهم كأنه ابن علَّة (الضرَّة) ؟ قال : من أين لك هذا السؤال ؟ قال : قلت : قد وعدتني الجواب ، قال : وقد ضمنت الكتمان ، قال: قلت : أيام حياتك، فقال : إن عليًا عليه السلام تقدَّمهم إسلامًا ، وفاقهم علمًا ، وبذَّهم شرفًا ، ورجحهم زهدًا ، وطالهم جهادًا ، فحسدوه ، والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم ، فافهم [1].

٢-إسقاط النموذج المثالي المتمثل في أهل بيت النبوة عليهم السلام ليتساوى مع النموذج المطروح لقيادة الأمة .

فكان من إفرازات تلك المحاولة ظهور أحاديث الفضائل ،التي حاولوا من خلالها مجاراة وزحزحة ما لأهل البيت عليهم السلام من فضائل ، ونسبتها لغيرهم، وشواهد ذلك كثيرة تطلب من أبواب الفضائل في كتب الحديث.

٣-الانتصار للفئة والقبيلة والخط الحاكم ، وتاريخنا يطفح بتلك الفضائح ، نشير هنا لشاهد تاريخي يتناول الفترة التاريخية التي نحن بصدد الحديث عنها ، فقد نقل ابن أبي الحديد أن : الزبير بن بكار ذكر في كتاب أنساب قريش من أخبار عبدالله بن الزبير وأحواله جملة طويلة نحن نختصرها ، ونذكر اللباب منها ، مع أنه قد أذنب في ذكر فضائله، والثناء عليه ، وهو معذور في ذلك ، فإنه لا يلام الرجل على حب قومه ،

(١) الأمالي للطوسي : ٦٠٨ .

والزبير بن بكار أحد أولاد عبدالله بن الزبير، فهو أحق بتقريظه وتأبينه[١].

هذا فيما يتعلّق بالأسباب العامة ، أما الأسباب الخاصة بالسيدة سكينة عليها السلام وفترتها التاريخية ، فنشير إلى بعضها على أنها تتقاطع مع الأسباب العامة آنفة الذكر .

ب) أسباب الوضع الخاصة :

إذا تأملت كل ما تم وضعه وإلصاقه بالسيدة سكينة عليها السلام من افتراءات وكذب ، وحاولت رسم صورة ذهنية لتلك الشخصية من خلال المعطيات التاريخية، فإني أكاد أجزم بأنك لن تجد لها نظيرًا بين النساء المتمرّدات على الأعراف والأديان في أيامنا هذه ، وهذا يدل على تعمُّد واضح للإساءة لنبي الأمة ﷺ، فمما روي عنه ﷺ : (ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي ، وإن كرشي (أي : عيالي) الأنصار ، فاعفوا عن مسيئهم ، واقبلوا من محسنهم)[٢].

فإذا كان الحال كذلك ، فما الذي ساعد على ذلك الكمِّ من الوضع؟ ولم السيدة سكينة عليها السلام ؟ سنحاول الوقوف على شيء من ذلك ، من خلال قراءة الفترة التاريخية التي عاشتها السيدة سكينة عليها السلام بعد كربلاء ، ونذكر بعضها في نقاط :

١- الضبابية التي اكتنفت شخصية السيدة سكينة عليها السلام ، إذا ما قورنت بغيرها من النساء الهاشميات كالسيدة زينب عليها السلام فهي شخصية واضحة المعالم قبل كربلاء وبعد كربلاء وإن لم تسلم من الوضع ، ويمكن إجمال أسباب تلك الضبابية في شخصية السيدة سكينة عليها السلام في:

أ- اجتماع الأسرة في منزل واحد يضمُّ عددًا من الأزواج والأبناء،

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠/١٠٧ .

(٢) سنن الترمذي ٥/٣٧٣.

بالإضافة للجواري ، مما جعل أهل النسب غير قادرين على ضبط أبناء الرجل الواحد ، وخير شاهد على ذلك الاختلاف في ضبط عدد بنات النبي صلى الله عليه وآله .

ب- الخدر الهاشمي وما استوجبه من خلط ، وقد أشرنا إلى ذلك في فصل كربلاء تحت عنوان (ستر الهاشميات وخلط الرواة) .

ج- استبدال اسم آمنة بلقب سكينة ، مع وجود أكثر من سكينة داخل البيت العلوي كسكينة بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام ، كما أن للإمام علي بن الحسين عليهما السلام مولاة اسمها سكينة[1] ،هذا في البيت العلوي وأما في الخط المقابل المعادي لأهل البيت عليهم السلام فقد وجدتْ أكثر من سكينة في ذات الفترة التاريخية ، وعرفن بالانحراف كسكينة بنت مصعب بن الزبير ، وسكينة بنت خالد بن مصعب[2] .

إن الباحث عن كل ما أثير حول السيدة سكينة عليها السلام من زيجات ، ولقاء بالمغنين والشعراء ، ولهو ومزاح ومجون ، يكاد لا يصدِّق أن كل ذلك اجتمع في شخصية واحدة كانت قادرة على لعب كل تلك الأدوار ، لذا قد يميل الباحث إلى وجود أكثر من سكينة ، وأن أهل التاريخ والأدب مخطئون في تصورهم أنها شخصية واحدة ، وهذا طبعًا حسن ظنٍ بواضعي التاريخ والأدب ، ولكن كل ذلك فرضية ، والحقيقة أن هناك سكينة واحدة أريد لها التشويه وهي حفيدة النبي صلى الله عليه وآله ابنة الإمام الحسين عليهما السلام .

٢- تشويه النموذج الكربلائي النسائي المسبي ، فهو نموذج يستحق ما جرى عليه من سبي وهتك لحُرَم الرسول صلى الله عليه وآله ، فإذا كانت سكينة هذه صاحبة سيرة مشينة ، وامرأة متهتكة ، ومستخفة بالحرمات ، فلا يمكن

---

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق ١/ ٤٥ .

(٢) الأغاني ١/ ١٧٥ .

إعطاء سبي بنات الرسالة بعد كربلاء ، وكشف خدورهن ، وإدخالهن المجالس بُعدًا لا يستحقه ، كما يفعل الشيعة ويتباكون عليه منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا .

على أن هذا التشويه للنموذج الكربلائي سيساعد في التخفيف من عقدة الذنب ، كما سيساعد في صرف النظر عن تصرفات النساء المنتميات للأطراف المقابلة لأهل البيت ﮹ ، وما شاع عنهن من مجون وتهتُّك ، وهذه كتب التاريخ توافيك بما نُجلّ القارئ عن ذكره وعرضه من نماذج سوَّدت صحائف التاريخ والأدب ، لذا حاول الوضاعون خلق نماذج تحاكيهن في المجون والتهتُّك ، فكان النموذج الإسلامي المحض المتمثل في أهل بيت النبوة ﮹ محط أنظارهم ، وكان للسيدة سكينة ﮹ نصيب الأسد من ذلك الوضع والكذب .

٣- كان لتنامي الحركة الأدبية في تلك الحقبة التي عاشتها السيدة سكينة ﮹ ، وظهور أبرز الشعراء كأمثال : عمر بن أبي ربيعة ، وكثير عزة ، وجميل ، والفرزدق ، وجرير ... دورٌ في رواج الأدب وما يتعلق بأدواته ، أضف إلى ذلك وجود خط موازٍ كان يتنامى بتنامي الشعر بل هو سابق له ، ألا وهو الغناء والطرب ، وما يتعلق به وأدواته ، فنحن نجد في ذات الحقبة الزمنية بروز أسماء المغنين مثل : ابن سريج ، ومعبد ، والغريض ،وعزة الميلاء ، وجميلة .

وفي قبال هذين الخطين المتوازيين الشعر والغناء ، كان هناك خط إسلامي صرف ، عني بتعاليم الدين المفارقة للغناء ولكثير من محتوى الشعر في ذلك العصر،كما أنه أخذ على عاتقه تفعيل الحركة العلمية التي نشطت في عصر السيدة سكينة ﮹ بقيادة الإمام محمد الباقر ﮻ ، والإمام جعفر الصادق ﮻ .

ونستشهد في هذا المقام بكلام للدكتور شوقي ضيف ، حيث يصف

تلك الفترة الزمنية فيقول : حين تنشأ المدن تنشأ معها أوقات فراغ ، يبعث أهلها على أن يملؤوها ، إمّا بالدرس والنظر العقلي ، وإما بلهو يختلفون إليه، وفعلاً نهضت دراسات دينية وعقلية مختلفة ، وكان لا بد أن ينشأ بجانبها نوع من أنواع الملاهي ، يجد فيه الفارغون من العمل تسليتهم[1] .

كل ذلك جعل الوضاعين يفتشون عن شخصيات في التيار المقابل ، ليلصقوا بها أكاذيبهم ، التي راحوا يتسامرون بها في مجالس البطالين التي ألفوها ، فكانت زاد مجالسهم وفاكهتها ، حيث راج ـ نتيجة لتنامي الحركة الأدبية ، ورفاهية المجتمع ـ بضاعة القصاصين التي ملأت تلك المجالس بما ترغب النفوس المترفة في سماعه من زيف وكذب ، وإن كان على لسان شخصيات لها مكانتها الاجتماعية وبعيدة كل البعد عما وصفت به ، بل كان ذلك مبعث أنس وإثارة وتشويق ، فراجت بضاعة القصاصين ، لتصبح فيما بعد جزءًا من التاريخ يعتمده من تعمّد الإساءة لأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف : ٢٤١ .

مناهج الردّ :

قبل أن نشرع في سرد وتفنيد تلك الأباطيل والأكاذيب التي ألصقت بالسيدة سكينة عليها السلام نوقفك ـ عزيزي القارئ ـ على المناهج التي اعتمدها كل من حاول الردّ والتصدي لتلك الافتراءات .

إن كل من تناول حياة السيدة سكينة عليها السلام وحاول دحض المفتريات زاوج بين كثير من المناهج العلمية التي تكفّلت بالرد على تلك المزاعم ، ولعل أبرز تلك المناهج :

١) منهج أهل الحديث:

وهذا المنهج يعتمد على النظر في سند الرواية ، فيفتش في رجالها ، فيضعهم في غربال الجرح والتعديل ، وبعد غربلتهم يقبل ما سلم سنده واتصل وكان رجاله عدولاً ، ويرفض ماعدا ذلك ، لذا ستجد كثيرًا مما ينقل عن السيدة سكينة عليها السلام داخلاً ضمن دائرة الرفض نتيجة لذلك المنهج، فسنجد رجالاً مجروحين ، وسنجد مرويات منفصلة ، وسنجد راويًا يفصله عن الحدث قرن أو أكثر .

وقد تأثّر دارسو التاريخ بهذا المنهج ، على أن أدوات البحث التاريخي مغايرة لأدوات البحث في الأحاديث ، ولو أسقطنا تلك الأدوات على البحث التاريخي لرفضنا كتب التاريخ جملة وتفصيلاً ، لعلمنا بمفارقتهم لأهل البيت عليهم السلام ، وأن الذي اختط هذا التاريخ إنما هو قلم السياسة ،والفئة الغالبة المتسلطة على رقاب المسلمين،وبالتالي فلا يمكن أن تكون حجة علينا.

٢) منهج عقدي:

يعتمد على أيديولوجية مسبقة لمكانة أهل البيت عليهم السلام الإلهية ، وما امتازوا به من كمالات ربانية ، ويدعمه النماذج الواقعية التي سطّرها أهل

البيت عليهم السلام ، وحفظها لهم التاريخ ، فهو منهج ينطلق من مكانة المعصوم الإلهية وقدراته وأدواره ، مستبعدًا ما يمكن أن يسيء لعصمته أويقتضي تقصيره في أدواره ،ونصب عينيه كثير من الافتراءات التي يختزنها في ذاكرته للتاريخ المتعمِّد للإساءة لمكانتهم والانتقاص من قدرهم . لذا فهو يصنِّف ما قيل في السيدة سكينة عليها السلام ضمن هذا الإطار .

٣) منهج فقهي :

يتناول الأحكام الفقهية ، ويرتبط بالمنهج العقدي المترسخ في الذهنية لمكانة أهل البيت عليهم السلام ورعايتهم للتشريع ، فينظر تارة لحكم التبرج وكشف الوجه ، وتارة لمجالسة الأجنبي ،ولحرمة الغناء ، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك ، فينظر في جواز الزواج من الناصبي من عدمه .

٤) منهج اجتماعي عُرفي :

يبحث واقع المجتمع في ذلك العصر وأعرافه، ثم يرصد ما نسب للسيدة سكينة عليها السلام من مخالفات اجتماعية وعرفية ، ليرفض تلك المخالفات بناء على واقع المجتمع الذي لا يسمح بمثلها ، وهو أكثر المناهج تأثيرًا في النفوس ، فالعقل يصدِّق الوجدانيات مما يراه ويسمعه ويعايشه من واقع عرفي للعادات والتقاليد في عصره ، ويقيس عليها ما كان عليه العرب من أعراف وتقاليد في ذلك الزمان ، ليقوم العقل باستبعاد ما نسب للسيدة سكينة عليها السلام مما يخالف تلك الأعراف بالقياس العقلي ، ويتصدَّر هذا المنهج سؤال مُلِحٌّ يتعدَّد بأشكال مختلفة مفاده : هل تتشرَّف بأن تكون هذه الشخصية النسائية ، وبتلك الصفات ضمن أفراد أسرتك ؟

٥) منهج تحليلي عقلي :

وهذا المنهج وما سبقه من مناهج هي متداخلة وليست أقسامًا منفصلة عن بعضها البعض ، إلا أننا حاولنا إبرازها كعناوين تعيننا على فهم ما

طرح من ردود لشبهات أُثيرت حول السيدة سكينة عليها السلام.

هذا المنهج يعتمد الربط والمقارنة والتحليل في المصدر الواحد ، دون اللجوء لمصدر آخر ، وهو بارز في الردود على تلك الافتراءات ، وقوام هذا المنهج مجموعة أسئلة يطرحها مثل : ما أسباب الوضع ؟ لماذا السيدة سكينة عليها السلام ؟ هل عدد أزواجها مقبول ؟ إذا كانت متعلقة بالشعر ، فلم لم تقل شعرًا ؟ لماذا تتزوج من مصعب مع عدائه لأهل بيتها ؟ لماذا لم يُعيّر أهل البيت بالسيدة سكينة عليها السلام من قبل أعدائهم ؟ وهل من الممكن...؟ وكيف....؟ إلى آخر الأسئلة المحفزة للبحث والتنقيب .

٦) منهج أدبي:

يبحث في نسبة الأبيات لصاحبها ، وكذلك نسبة النقد لصاحبه ، من خلال المعاجم الشعرية وأمهات الكتب الأدبية ،ثم يفتش في الدواوين المطبوعة ، ليقف على الأسماء الواردة ، وإمكانية اجتماعها ضمن الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية العرفية ، كما أنه يقارن بينها وبين غيرها ، ليرجِّح هذا على ذاك ، بناءً على المعطيات والقرائن والأدلة ، وهو منهج لا يمكن تجاوزه لكثرة مانسب للسيدة سكينة عليها السلام في الحقل الأدبي ، فهي إما أن تكون محط أنظار الشعراء،أو أن تكون ناقدة للشعر، حتى أصبحت فيما ينسب إليها مجمعًا للشعراء يفدون إليها ويجتمعون عندها .

٧) منهج تاريخي:

يستفيد من كل تلك المناهج ، إذ هي أساساته وأركانه ، فهي ذراعه في البحث عن الأسماء والأمكنة والأزمنة والعادات والأحكام الشرعية ، وبعد جمع كل تلك المواد يقوم بصياغة بنائه ، فيسقط بعض تلك المواد ويستبعد أخرى ، ويرجح هذا على ذاك .

ومع أن الباحث يخرج بنتائج إلا أن هذه النتائج قابلة للنقض في كثير من الأحيان ، وما ذاك إلاّ لأن المصادر التاريخية التي يعتمدها الباحث متناقضة مع بعضها البعض ، ومتناقضة أيضًا في ذاتها .

وبالتالي لا يمكننا الركون للنتائج التاريخية إلاّ إذا عاضدها كثير من القرائن والدلائل ، أو كانت أدلتها قاطعة تطمئنُّ وتذعن لها النفس ، على أن ذلك الاطمئنان مصدره الدليل والدليل فقط .

ردّ المفتريات في كلمة :

يمكننا القول بأن ما ورد من مفتريات إذا ما وضع تحت مبضع مناهج الرد السابقة استأصل ورمه وخبثه .

كما يمكننا رد كل تلك المفتريات في كلمة وهي : أن تلك المفتريات أوردتها كتب العامة دون الخاصة ، وبالتالي فهي ليست بحجة .

أهم مصادر المفتريات

أ) كتاب الأغاني

ب) رواة أخبار السيدة سكينة عليها السلام

ج) دور المحققين في تثبيت المفتريات

د) النظرة التاريخية الحديثة للسيدة سكينة عليها السلام

هـ) بنت الشاطئ نموذجًا

أهم مصادر المفتريات

أ) كتاب الأغاني :

صاحب الأغاني :

لعل جُلَّ ما ورد من كذب وافتراء على السيدة سكينة ﷺ كان مصدره كتاب الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد ، وهو عربي قرشي من بني أمية ، ينتهي نسبه إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. وقد كثُر الحديث عن شخصيته وانتمائه القبلي والمذهبي، وقد تضافرت الأخبار على كونه أمويَّ النسب شيعي الهوى ، وسأضع بين يديك رأيين أحدهما للسيد المقرم والآخر للسيد محمد علي الحلو .

الرأي الأول :

ما أورده السيد المقرم من إنكار تشيُّعه ، حيث قال : ولم يثبت تشيعه من طرق صحيحة وإن أرسله المؤرِّخون حتى انطلى على جملة من الشيعة فذكروه في رجالهم ، وذهب عنهم أن هذه الأكذوبة أمر دُبِّر بليل ، وإنما افتعلوها ليحمّلوا الشيعة أوزارًا مما أثبته من المنكرات ... ولكن النظرة الدقيقة في التاريخ تفيدنا أن الرجل كما أنه مرواني النسب مرواني النزعة[1].

وقد حشد السيد المقرم لإثبات هذا الرأي جملة من الأدلة جديرة بالتأمل والعناية ، ثم ختم حديثه بمقال للدكتور زكي مبارك في الأغاني .

الرأي الآخر :

تبنَّاه السيد محمد علي الحلو ، وابتدأه بمجموعة أسئلة وهي : لماذا كتاب الأغاني دون غيره يتفرَّد بذكر هذه الموضوعات ؟ وهل ثبت الكتاب لمؤلِّفه، أو ثبتت نسبة الوضع لصاحبها ؟ أم هي إحدى المحاولات التي

---

(١) السيدة سكينة ، المقرم : ٦١ .

مورست لتشويه الحقائق من قبل الأنظمة السياسية الحاكمة آنذاك، ثم تُحمل على الآخرين مسؤولية هكذا خروقات ؟

وقد أجاب السيد محمد علي الحلو على هذه التساؤلات باحتمالين أورد لهما مجموعة من الأدلة ضمن بحث في غاية البراعة، وأشير هنا للاحتمالين دون ذكر الأدلة التي ساقها مخافة الإطالة ، وهي أدلة جديرة بالعناية لما حوته من دقة عرض وطول استقصاء .

الاحتمال الأول :

يتلخَّص في التشكيك في نسبة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني داعمًا هذا التشكيك بجملة من الأدلة الاستقصائية.

الاحتمال الآخر :

يفترض فيه أن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني إلاّ أن قصة السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام وأمثالها هي محاولة تحريف يراد منها الطعن في أهل البيت عليهم السلام[1].

وبعد هذا العرض وهذا التشكيك في انتماء صاحب الأغاني العقدي ، أو التشكيك في نسبة الكتاب لصاحبه ، أو احتمال التحريف والزيادة على الكتاب ، لا نملك إلاّ أن نتعامل مع واقع مفروض ، وهو وجود هذا الكتاب بما احتواه واكتنفه بين دفتيه ، لذا يجب علينا تقييم المادة العلمية التي احتضنتها دفتا الكتاب بأجزائه ،بعيدًا عن شخصية صاحبه ، إذ يُعد كتاب الأغاني الذي بين أيدينا من أهم مصادر الأدب العربي .

أسانيد كتاب الأغاني :

إذا نظرنا لأسانيد الكتاب ، فيمكننا القول بين قوسين إنها أسانيد

(١) عقيلة قريش آمنة بنت الحسين ، للسيد محمد علي الحلو : ١٤٧ـ١٥٥.

أدبية ، لا ترقى لمستوى الإسناد في الحديث ، ولا حتى الرواية التاريخية ، فقد ضمَّت أسماء لا يمكن الركون إذ هي أسماء لمجروحين أو مجهولين، كما أنها في كثير من الأحيان أسانيد منقطعة ، أو منتهية إلى من لم يحضر زمن الحادثة ، وقد ردّ ابن خلدون في مقدمته على ما ورد في الأغاني استنادًا إلى أخبار القُصّاص الواهية [١].

وقد تتبَّع الدكتور عبدالله الخلف أسانيد أكثر من مائتي خبر خاصة بالمغنين فقط ، فأعطى أرقامًا تقريبية استقصى فيها الأسماء نوجزها لك مختصرة[٢] ، حيث جاءت بين أسانيد فيها رجال متهمون بالكذب وهي نحو خمسة وثلاثين خبرًا ، وأسانيد فيها رجال ممن ضعفّهم علماء الجرح والتعديل وذلك في عشرين خبرًا ، وروي نحو ثلاثين خبرًا بأسانيد فيها رواة مجهولون لم تُذكر أسماؤهم بل أشير إليهم بعبارات مثل : حدثني أشياخي أو نحو ذلك، وروي نحو ستين خبرًا بأسانيد فيها مغنون غير إسحاق الموصلي ، وقد روى إسحاق الموصلي من أخبار أولئك المغنين نحو خمسة وعشرين ومائة خبر.

مادة الكتاب :

أما مادة الكتاب فيذكر الدكتور الطاهر أحمد مكي أن صاحب الأغاني : (اهتمَّ بسرد الجوانب الإنسانية الضعيفة في حياة الشعراء ، وركّز على جانب الخلاعة والمجون في تصرفاتهم ، وأهمل الجادَّ الرزين المعتدل منها ، مما يوهم القارئ ـ وقد أوهم البعض فعلاً ـ بأن بغداد لم تكن أيامه غير مدينة نافقة بالمجان والخلعاء والقيان والسكارى) [٣].

---

(١) دراسة في مصادر الأدب ، الدكتور الطاهر أحمد مكي: ٢٦٧ .

(٢) مجتمع الحجاز في العصر الأموي : ٤٧٩ .

(٣) دراسة في مصادر الأدب ، للدكتور الطاهر أحمد مكي : ٢٦٦.

النتيجة :

إن أيَّ متصفّح لكتاب الأغاني يحمل بين جوانحه أبجدية البحث العلمي يمكن أن يخرج بنتيجة مفادها أن مادة الكتاب لا يمكن الركون أو الاعتماد عليها في البحث العلمي كمادة أساسية تكون أهم أركانه ودعائمه ، ولكن إذا بالغنا في الإنصاف فإنه يمكن الاستعانة بما ورد في الأغاني كشواهد ودلائل وقرائن داعمة ومقوّية للبحث لا أن تكون مادته هي أساس البحث .

ومع كل هذا لا يمكن تجاوز كتاب الأغاني إذا ما تعلّق الأمر بالشعر والشعراء ، حيث يُعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر الشعر العربي ، فلا يمكن لباحث في هذا المجال أن يتجاوزه ، هكذا يُصنّفه أهل اللغة والأدب، فهل حقيقةً يمكن الركون إليه وإلى غيره من مصادر الأدب فيما يتعلق بالشعر خاصة إذا كان المعنيُّ به السيدة سكينة عليها السلام ؟! هذا ما سنحاول الإجابة عليه في الفصل الخاص بالشعراء .

ب) رواة أخبار السيدة سكينة عليها السلام :

لم نشأ أن ننساق وراء منهج أهل الحديث في أخبار السيدة سكينة عليها السلام لكنه منهج لا مناص منه لمعرفة أحوال رواة تلك الأخبار وبالتالي تقييم مصادر تلك الأخبار ومعرفة من وراء تلك المفتريات .

وسنضع بين يديك أسماء جملة من رواة أخبار السيدة سكينة عليها السلام وسنشير لتوجُّهاتهم ، وسنذكر نزرًا من كلمات الأعلام في جرحهم دون إيغال وتفصيل ، وإلا فإن بعض تلك الأسماء حري بالدراسة وبحث الأثر الذي خلَّفته في كتابة التاريخ ، فإن المتصفّح في فهارس الأعلام لأمهات كتب التاريخ والأدب يكاد لا يصدِّق عدد ورود بعض تلك الأسماء في مجمل صفحات الكتب .

الرواة :

١) محمد بن سلام الجمحي :

مولده في البصرة سنة ١٣٩هـ ووفاته في بغداد سنة ٢٣١أو ٢٣٢هـ[١] لا يُكْتَبُ عنه الحديث رجل يرمى بالقدر ، وإنما يكتب عنه الشعر ، فأما الحديث فلا[٢] .

٢) عامر بن شراحيل المعروف بالشعبي :

ولد سنة ٢١هـ ومات سنة ١٠٥ هـ[٣] ، قال السيد التفريشي : هو المعروف بالشعبي المذموم عندنا ، وعلّق السيد الخوئي قائلاً : هو الخبيث الفاجر

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول مقدمة الكتاب : ٥٣ .

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ٥٦٨/٣ ، لسان الميزان لابن حجر ١٨٢/٥ .

(٣) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان : ١٦٣ .

الكذاب المعلن بعدائه لأمير المؤمنين عليه السلام[١] .

٣) المدائني : أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف :

كتب كتاب المردفات من قريش ، وذكر أخبارًا للسيدة سكينة عليها السلام ونقل عنه صاحب الأغاني الشيء الكثير ، علمًا بأنها أخبار موقوفة عليه دون إسناد ، وهو البعيد عن البيئة الحجازية (ولد سنة ١٣٥هـ وتوفي سنة ٢٢٥هـ بصري سكن المدائن ، ثم انتقل منها إلى بغداد ، فلم يزل بها حتى وافاه الأجل)[٢] كما أنه المولود بعد وفاة السيدة سكينة عليها السلام (١١٧هـ) بثمانية عشر عامًا .

٤) أشعب الطامع :

المتوفى في عام ١٥٤هـ[٣] ، وسنفرد له عنوانًا فيما سيأتي .

٥) مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام :

ولد عام ١٥٦هـ وتوفي عام ٢٣٦هـ وعنه تُنقل كثير من أخبار السيدة سكينة عليها السلام ، كان أبوه عبدالله من شرار الناس ، متحاملاً على ولد علي عليه السلام[٤] .

أما مصعب فينقل لنا التاريخ أنه على ضَلال والده ، فقد أورد ابن الأثير أنه : كان فقيهًا عالمًا إلا أنه كان منحرفًا عن علي[٥] . ونُقل هذا القول

---

(١) معجم رجال الحديث للخوئي ٢١٠/١٠ ، راجع أدلته على عداء الشعبي في البيان في تفسير القرآن : ٥٠٠ .

(٢) نوادر المخطوطات ،تحقيق عبد السلام هارون ، المردفات من قريش للمدائني : ٦٥.

(٣) الأعلام للزركلي ٣٣٢/١ ، لسان الميزان ٤٥٣/١ .

(٤) الفهرست لابن النديم : ١٦٠ طبعة مصر عام ١٣٤٨هـ ، راجع كتاب نسب قريش للمصعب، مقدمة الكتاب للمستشرق ليفي بروفنسال : ١٤ .

(٥) الكامل في التاريخ ٥٧/٧ .

أيضًا عن الجزري[١].

٦) الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير:

ولد عام ١٧٢هـ وتوفي عام ٢٥٦هـ[٢]، ومصعب المتقدم هو عمّ هذا وعنه أخذ علمه.

وورد في تاريخ ابن الأثير: (أن الزبير بن بكار قدم العراق هاربًا من العلويين، لأنه كان ينال منهم، فتهدّدوه فهرب منهم، وقدم على عمه مصعب بن عبدالله بن الزبير، وشكا إليه حاله وخوفه من العلويين)[٣].

(وقال أبو الفرج: وللزبير بن بكار في إدخالهم في قريش مذهب، وهو مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام وميله إليهم لإجماعهم على بغضه عليه السلام حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك)[٤].

أما الشيخ المفيد فيقول في حقه: لم يكن موثوقًا به في النقل، وكان متهمًا فيما يذكره، وكان يبغض أمير المؤمنين عليه السلام، وغير مأمون فيما يدّعيه على بني هاشم[٥].

خلاصة الكلام في رواة الأخبار وأسانيدها:

١) أسانيد أدبية تاريخية لا ترقى لمستوى القبول عند أهل الحديث.

---

(١) قاموس الرجال للتستري ١٠/٨٦، مستدركات علم رجال الحديث للشاهرودي ٧٦/٤٢٧.

(٢) نشرت ترجمة للزبير بن بكار في مجلة المنهل ٦/٥١٥-٥٢٣ شهر ذي القعدة سنة ١٣٦٥هـ، وراجع ترجمة محقق كتابه جمهرة نسب قريش وأخبارها: ٥٢.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/٥٢٦.

(٤) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٣/١٢٢ وكان ذلك في معرض حديثه عن نسب بني ناجية.

(٥) المسائل السروية: ٨٦، وكان ذلك في معرض ردّ خبر تزويج أمير المؤمنين عليه السلام ابنته من عمر.

٢) أسانيد موقوفة يرويها من لم تبصر عينه النور زمن الحادثة .

٣) عداء تلك الأسماء لأهل البيت عليهم السلام لذا أشار أكثر من باحث إلى أن خلف تلك الأخبار مصعب بن عبدالله الزبيري والزبير بن بكار[1].

(١) راجع السيدة سكينة للمقرم : ٤٩ .

ج) دور المحققين في تثبيت المفتريات :

آثرنا نقل النصوص كما هي ، واختزلنا بعضها بحذف ما لا يخدم الموضوع،لكي تتأمل معنا قضية مهمة وهي : أن كثيرًا من تلك المفتريات ذكرت سكينة دون نسبة ودون الإشارة لمن تكون ؟ فهل هي الطالبية أم الزبيرية أم غيرهما ؟

وقد أشار كل من بحث حياة السيدة الجليلة لتلك الظاهرة ، بل كان ذلك مدعاة لرفض تلك المفتريات التي تذكر سكينة دون تحديد من تكون .

وهنا نشير إلى ظاهرة متفرِّعة عن تلك ، وهي دور المحققين في نسبة تلك المفتريات للسيدة سكينة عليها السلام ، فإذا ما تأملنا فهارس التحقيق لأمهات الكتب التي أوردت شيئًا من تلك المفتريات وذكرت فيها سكينة دون نسبة وجدنا أنها تشير للسيدة سكينة بنت الحسين عليهما السلام.

ولعل المحققين بفعلهم هذا الغير مستند لدليل قد ساهموا بقصد أو بغير قصد في تثبيت تلك المفتريات وأن سكينة الواردة في الأخبار هي السيدة سكينة عليها السلام.

د) النظرة التاريخية الحديثة للسيدة سكينة عليها السلام :

إذا كان من خط تاريخ السيدة سكينة عليها السلام قد أسس أساس الظلم لصورة شوهاء منحرفة عكست مدى الحقد الذي يحمله تجاه بيت النبوة عليهم السلام ، فإن المتأخرين قد ساروا على دربٍ خطّه الآباء فأخذوا بحجزتهم حتى أركبوهم متاهات الضلال ، بل تجاوزوا الحدَّ إلى أن قال قائلهم : (ولم يكن بين أحفاد علي رجال بالمعنى الحقيقي بعد كربلاء ، أما النسوة فكان من بينهن اللواتي يحملن طابع الذرية والأصالة وخصوصًا سكينة بنت الحسين)[(١)].

وآخر راح يهذي ويهجر متحدِّثًا عن النساء المكيات المتحرِّرات ، فجعل السيدة سكينة عليها السلام المدنية نموذجًا لمقالته[(٢)] ، ولست أدري أكان خلطًا وغفلة أم عنادًا ؟

وبين هذا وذاك نقف مبهورين أمام الشخصيات الأكاديمية التي يفترض فيها امتلاك أدوات البحث ، فهذا الدكتور محمد حبش رئيس مركز الدراسات الإسلامية يقول : (أما السيدة سكينة بنت الحسين فسيذكر التاريخ أنها المرأة التي دفعت النساء إلى حقوقهن ، وعقدت عقدها بعبارتها ولم تشأ أن يكون الرجل عليها وليًا ، وفتحت صالونها الأدبي في قلب العاصمة دمشق لتستقبل الشعراء والأدباء والعلماء)[(٣)].

وليت شعري ماالذي استند إليه في كل ما قاله ؟! وهل محّص ما نقله

---

(١) الخوارج والشيعة ، يوليوس فلهوزن، ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي : ١٥٣ .

(٢) نساء مكّيات ، محمود عبدالغني الصباغ : جريدة الوطن العدد ٢٤٢٦السنة السابعة ، الثلاثاء ٥جمادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق ٢٢ مايو ٢٠٠٧م .

(٣) كلمة تقديمية للعدد السابع الخاص من مجلة النجمة المحمدية لسماحة الدكتور محمد حبش عضو مجلس الشعب السوري ورئيس مركز الدراسات الإسلامية .

التاريخ باعتباره دارسًا أكاديميًا؟ ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١] وأيُّ خلط ذاك الذي جعل السيدة سكينة عليها السلام تسكن الشام وتستقر في قلب العاصمة دمشق ، وليس بين أيدينا ما يشير إلى ذلك سوى القول بمدفنها هناك ، وهذا الذهبي يقول: كانت إقامتها ووفاتها بالمدينة[٢] .

هكذا سار الأبناء على خُطا الآباء في تشويه صفحات التاريخ ورسم صورة للسيدة سكينة عليها السلام لا تشبهها أي صورة لمرأة في أذهاننا ، رغم وفرة الصور المختزنة في ذاكرتنا لنماذج نسائية مختلفة ، مما جعل بنت الشاطئ تنكر على الدكتور زكي مبارك في كتابه (حب ابن أبي ربيعة) تلك الصورة التي رسمها ، ومما قالته : (فلو أن مثل هذه الصورة التي رسمها لسكينة نُشرت في مجتمع هوليود ومونمارتر لعدَّت دليلاً على مدى هبوطه وانحلاله)[٣] .

لكنه تيار جارف يتناول كل ما من شأنه الإساءة لبيت النبوة عليهم السلام دون فحص وتدقيق ، بل هو مغرق في الاستفادة من تلك النصوص والأخبار وتحويلها لحسابه الخاص كل حسب اختصاصه وميوله وشهواته .

المواقع الإلكترونية :

إن المتفحِّص للمواقع الإلكترونية - حيث لا يمكن إغفال هذه الظاهرة في تكوين وعي تاريخي حديث - يجد نفسه أمام (كل إناء بالذي فيه ينضح) فعلى سبيل المثال :

١) الصالونات الأدبية :

تصف السيدة سكينة عليها السلام بأنها رائدة النقد الأدبي ، فتجعلها ضمن

---

(١) ق : ١٨ .

(٢) تاريخ الإسلام ٧/٣٧١ .

(٣) سكينة بنت الحسين ، بنت الشاطئ : ٢٠٥ .

ذلك الإطار ، وتحشد كل ما ورد من أخبار لتثبيت هذه النظرة .

٢) المواقع المعنية بالغناء :

تبحث في تاريخ الغناء العربي فتجعل النوح من أقسام الغناء ، ولا تغفل السيدة سكينة عليها السلام في بحثها ، بل تصفها راعية لذلك النشاط .

٣) المواقع الاجتماعية والنسائية :

تصوِّرها على أنها شخصية اجتماعية استطاعت أن يكون لها حضور ضمن المجتمع الذكوري .

فهي امرأة تحرُّرية قيادية ، وقد تكون هذه النظرة هي مدار الرحى الذي دارت عليه كل تلك النظريات والرؤى .

فإن كانت تلك الأوعية المعلوماتية الإلكترونية لا يركن ويستند إليها لما عليها من تحفظات إلا أنها في يومنا هذا تمثل رافداً أو على أقل تقدير عاملاً مساعداً في تكوين رؤية تاريخية حديثة ، فإن تجاوزناها إلى غيرها وجدنا ذات الصورة المشوهة للسيدة سكينة عليها السلام.

شيء من الإنصاف :

مما يندى له الجبين أن تستهدف حفيدة المصطفى صلى الله عليه وآله فلا تجد من يرفع تلك الظلامة عنها ـ إذا استثنينا الشيعة ـ إلا النزر اليسير من الموحدين أمثال الدكتور عبدالله بن سالم الخلف في كتابه الذي دافع فيه عن مجتمع الحجاز في العصر الأموي وفق نظرية أفضل العصور عصر الصحابة ثم الذين يلونهم ... فشمل السيدة سكينة عليها السلام شيء من ذلك الدفاع باعتبارها واحدة من أفراد ذلك المجتمع .

وأما أكثر الدراسات إنصافاً فكانت على يد من لا يدينون بالإسلام ، وأعني المستشرقين الذين ملكوا أدوات البحث وأتيح لهم الاطلاع على مصادر الأدب والتاريخ في مكتباتهم العامرة بمؤلفات العرب ! أمثال

بروكلمان وبلاشير وفادية ، وتبعهم في ذلك أشخاص غير محسوبين على التيارات الإسلامية أمثال طه حسين وشوقي ضيف في ثنايا بحوثهم الأدبية . ويمكن القول إن أنضج ما كتب عن السيدة سكينة عليها السلام خط على يدي الدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن .

هـ) بنت الشاطئ نموذجًا للنظرة التاريخية الحديثة :

يعدُّ كتاب السيدة سكينة بنت الحسين للدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن بنت الشاطئ من أفضل النماذج التاريخية الحديثة التي خطَّها العامة ، فقد وقفت على حقائق تاريخية جليلة غير مسبوقة ، بل إنها فتحت باب التشكيك في كثير من القضايا المثارة حول السيدة سكينة عليها السلام. وإن اختلطت عليها بعض الأمور ، وعلى سبيل المثال قولها بولادة عبدالله الرضيع المقتول في كربلاء ظلمًا وعدوانًا قبل السيدة سكينة عليها السلام[1]، إلا أن الكَاتِبة وفّقت في كثير من الجوانب التاريخية غير المسبوقة .

أسلوب الكتاب :

كتاب جاء بحلّة قصصية تتضمَّن أحداثًا تاريخية ، يحسب لها فيه ذلك الأسلوب القصصي الشيق الذي يستميل النفوس ، وهو أسلوب تربوي راقٍ متى ما وضع في موضعه ، لكنه لا يتناسب مع الأحداث التاريخية الشائكة والمحاطة بالخلاف ، والتي تحتاج من الباحث إلى الدقة والأمانة في النقل .

ولعل الانغماس في الأسلوب القصصي ألجأ بنت الشاطئ إلى التقديم والتأخير، كما اضطرَّها الحوار القصصي لخلق أحداث بين الشخصيات دون مستند تاريخي ، أو لنقل من خلال إشارة تاريخية بسيطة مكذوبة مرَّت عليها دون التفات منها ،لكنها قامت بتضخيمها ، ليخرج لنا بعد ذلك كتاب أقرب للعمل الأدبي رغم احتوائه على كنوز تاريخية .

لذا جاء عملها صورة تاريخية مفتقدة للدِّقة ضمن حكايا صغيرة حاولت بنت الشاطئ ربطها مع بعضها بخيط رفيع دقيق أوهمت فيه القارئ بقصة

---

(١) سكينة بنت الحسين ، بنت الشاطئ : ٢٩ .

وحكاية كبيرة كانت البطولة فيها لشخصية اسمها سكينة .

نتيجة بحثها :

وفي المحصلة النهائية لهذا الكتاب القيّم الذي وقَفَت فيه بنت الشاطئ على خفايا لطيفة جعلتها ترفض الكثير من المفتريات ظلّت سكينة عندها كلمة مترادفاتها كثيرة متمثلة في المزاح والغناء والزواج والتحرر ضمن المجتمع الذكوري ... وقبل المشهد الأخير في كتابها والمصور لوفاة السيدة سكينة عليها السلام تعطي صفة الناقدة والأديبة ، وهو خلاصة ما أرادت أن تصل إليه بنت الشاطئ ، وأنت أعرف مني بالأسباب الكامنة وراء ذلك !

فبعد أن تذكر الأبيات التي رثت بها السيدة سكينة بنت الحسين عليهما السلام أباها تقول : إنها أبيات لا تكفي لعدّها شاعرة ! ثم تستطرد قائلة : لكني أكاد لا أرتاب في أن الرّواة قد أسقطوا لها شعرًا آخر في غير الرثاء ... إنهم قصروا المجال الفني للمرأة العربية على الرثاء ، وقل أن اعترفوا بها شاعرة غير راثية ... على أن التاريخ الأدبي وإن أسقط شعر سكينة في غير الرثاء ... فقد أقرَّ لها بالسيطرة الأدبية على عصرها في مجال النقد الأدبي[(١)].

(١) سكينة بنت الحسين ، بنت الشاطئ : ٢١٨ .

المفتريات :

١) كشف الوجه ومخالطة الرجال

٢) الطُّرَّة السُّكَيْنِية

٣) توظيف القصص والحكايا :

أ) ديباجة الحرم

ب) بُدْرَاقِس

٤) المزاح والشخصيات العبثية :

أ) حضن البيض

ب) وقفة مع أشعب

ج) مُلَح وطرائف

د) في الدار جلبة

هـ) الماجشون

المفتريات

سنحاول في هذا الباب استقصاء كل ما وقع بين أيدينا من افتراءات تمَّ إلصاقها بالسيدة سكينة عليها السلام بعد كربلاء ، وسنجعلها في عناوين تتناسب مع موضوعاتها ،كما أننا سنشير في ثنايا حديثنا إلى بعض أساليب الوضع التي استخدمت لتمرير تلك الأباطيل ، وهي أساليب متنوعة ، تمَّ فيها تجنيد جُلّ معارف عصر السيدة سكينة عليها السلام لكي تستقيم تلك الأباطيل ويقبلها الذوق العام .

١) كشف الوجه ومخالطة الأجنبي [١] :

لعل أول ما يطالعنا في ترجمة السيدة سكينة عليها السلام ، ما رواه صاحب الأغاني ، عن الزبير بن بكار عن عمِّه مصعب ، أنه قال : كانت سكينة عفيفة سلمةً بَرْزَة [٢] تجالس الأجلَّة من قريش ، وتجتمع إليها الشعراء [٣] .

فإذا تجنَّبنا الخوض في المنهج الفقهي ، وشرعية كشف الوجه ، وجواز مخالطة الأجنبي وما فيه من اختلاف بين الفقهاء العامة منهم والخاصة ، وضوابط ذلك وشروطه ، وأمعنا النظر في الرواية السابقة ذاتها ، وجدنا أن تلك الحالة كانت شاذة على المجتمع ، وإلا فما المسوِّغ لذكرها إذا لم تكن استثناء؟ فإذا ما راجعنا النصوص التاريخية الحاكية عن المجتمع وجدنا أن السيرة القائمة في المجتمع ستر الوجه .

وسنتجنَّب أيضًا الخوض في عموم المجتمع ، حتى لا نُجابه بأمثلة تاريخية كثيرة مشبوهة المصدر ، كما أنها تبقى في إطار الشذوذ الاجتماعي،

---

(١) هذا العنوان وما حواه مدين لكتاب مجتمع الحجاز في العصر الأموي ، للدكتور عبدالله الخلف، راجع قضية السفور والاختلاط :٤١٤ ـ٤٢٣ .

(٢) سلمة : مسالمة ، والبرزة من النساء التي ليست بالمتزايلة التي تزايلك بوجهها تستره عنك ... وقيل : امرأة برزة : تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدَّثون عنها ... وقيل : كَهْلَة لا تحتجب احتجاب الشواب ، لسان العرب ٥/ ٣١٠ ، تاج العروس ٨/ ١٠ .

(٣) الأغاني ١٦/ ١٥١.

لنقف على أدلة تاريخية تفيدنا أن السيدة سكينة عليها السلام كانت تحتجب عن الرجال ولا تجالسهم ، على أن إيراد تلك الأدلة من باب مقارعة الخصم، لا التسليم بكل ما ورد فيها ، وسيكون لنا وقفات مع بعضها.

أدلة تنقض الفرية :

١) أول تلك الأدلة حاكٍ عن حياتها الشريفة قبل كربلاء ، حيث ورد في خبر تزويج السيدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام من ابن عمّها الحسن المثنى ، أن الإمام الحسين عليه السلام أدخله الدار ، ثم أخرج إليه بنتيه فاطمة وسكينة ، فقال : اخترْ ! فاختار فاطمة[1] ، ولو كانت بنات الوحي برزات في تلك الفترة التاريخية لما كان هناك داعٍ لإخراجهن ، وتخيير أقرب الناس إليهن، وهو ابن عمّهن .

٢) قول السيدة سكينة عليها السلام للصحابي الجليل سهل : قل لصاحب هذا الرأس أن يقدّم الرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ، ولا ينظروا إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله [2] ، وهذ الخبر حاكٍ عن حالها في الفترة الكربلائية.

٣) كانت سكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة ، فتقوم بإزاء ابن مُطَيْرة وهو خالد بن عبدالملك بن الحارث بن الحكم ، إذا صعد المنبر ، فإذا شتم عليًا شتمته هي وجواريها ، فكان يأمر الحرس أن يضربوا جواريها[3].

فهل تحتاج المرأة البرزة التي تخالط الأجلّة من قريش في المسجد ، وبين الجموع المحتشدة للصلاة ، ومع انتفاء الموانع لأن تجيء في ستارة ؟!

٤) الخبر الوارد عن اجتماع الشعراء عند باب السيدة سكينة عليها السلام ،

---

(١) نسب قريش للمصعب : ٥١ .

(٢) بحار الأنوار ٤٥/١٢٨.

(٣) الأغاني ١٦/١٥١ .

فكان الرسول بينهم وبينها جاريتها [١].

والحال أنها غير محتاجة للرسول ، إذا كانت تجالس الأجلة من قريش، وتجتمع عندها الشعراء !

٥) خبر اجتماع الشعراء أيضًا في ضيافتها ، حيث ورد بألفاظ أخرى ، مسبوقًا بقولهم : فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم [٢].

إذا كان هناك خبرٌ ورد فيه : أن السيدة سكينة عليها السلام كانت لا تستر وجهها، وتجالس الأجنبي، فإن هناك أخبارًا تشير إلى غير ما ذهب إليه ذلك الخبر ، فلِمَ الإصرار على خبر لا ينسجم مع الوضع الاجتماعي، واستبعاد الأخبار الكثيرة ؟! أما كان في استبعاد هذا الخبر وتركه دليل على منهج علمي رصين ؟ أما كان في استبعاده دليل على خلق إسلامي رفيع، يُغضي فيه المسلم عن العيوب لينظر للمحاسن ؟ أما كان استبعاده يُجنّب ناقله الوقوف بين يدي صاحب الرسالة النبي محمد ﷺ يطلب شفاعته، وقد أوغل في الافتراء على أهل بيته ؟ لكني لا أجد وراء ذلك الخبر إلا شخصًا أراد إشاعة الفاحشة ،فكان مصداق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

ناقل الفرية :

(أمّا ناقل الخبر فهو الزبير بن بكار عن عمّه مصعب الزبيري ، وهو لم يعاصر سكينة بنت الحسين ، فإن بين ولادته (١٥٦هـ) وبين وفاة السيدة

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٠٩/٦٩ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢١٣/٦٩ ، الأغاني ١٧٠/١٦ .

(٣) النور : ١٩.

سكينة (١١٧هـ) نحو أربعين عامًا ، فهو قد نقل الخبر عن راوٍ لم يذكره لنا ، وهذا طعن في صحة الخبر)[1].

(١) مجتمع الحجاز في العصر الأموي : ٤٢٢ .

٢) الطُّرَّة السُّكَيْنِية :

إذا كانت السيدة سكينة عليها السلام تبرز للرجال وتخالطهم ، فإن من مستلزمات تلك المخالطة أن تهتمَّ بمظهرها الخارجي ، إذ هي محط أنظار الشباب ، الذين راحوا يقلّدونها في طريقة تصفيفها لشعرها ، حتى أن عمر ابن عبد العزيز إذا وجد رجلاً قد صفَّفَ جمّتَه السُّكينية جلده وحلقه[١] ، هكذا زعموا في كتب التاريخ والأدب .

دور المعاجم :

طرَّة الجارية أن يُقطع لها في مقدمة ناصيتها ، كالعلم ، أو كالطرَّة تحت التاج ... والطرَّة من الشعر سُمِّيت طرَّة لأنها مقطوعة من جملته[٢] .

ذلك المشهد السابق ورد في كتب المعاجم اللغوية ، وأجمعوا على أن للسيدة سكينة عليها السلام طريقة خاصة في تصفيف الشعر وهي الطرَّة السكينية وإليها تنسب[٣].

هكذا كان للمعاجم دور في نسبة هذه الفرية للسيدة سكينة عليها السلام ، وقد عاضدهم كتّاب التاريخ في تثبيت تلك الأكذوبة ، حيث ورد في كتب التاريخ والتراجم ذات العبارة (والطرَّة السكينية منسوبة إليها) [٤].

عُرفت الطُّرَّة السُّكَيْنِية قبل ولادتها :

إن هذه الطريقة من تصفيف الشعر كانت معروفة قبل أن تُولد السيدة

---

(١) الأغاني ١٦/١٥١ .

(٢) لسان العرب ٤/٥٠٠ .

(٣) الصحاح ٥/٢١٣٧ ، لسان العرب ١٣/٢١٨ ، القاموس المحيط ٤/٢٣٥ ،تاج العروس ١٨/٢٩٠

(٤) وفيات الأعيان ٢/٣٩٤ ، الوافي بالوفيات ١٥/١٨٢.

سكينة عليها السلام ،وهي من فعل النصارى[١] ، فقد نهى النبي ﷺ عنها ، إذ رُوي عن راشد بن سعد قال: (أمر رسول الله ﷺ بالفرق ، ونهى عن السُّكَينية)[٢] .

نعم نهى النبي ﷺ عن تلك الطريقة في تصفيف الشعر ، حين كانت السيدة سكينة عليها السلام في الأصلاب الشامخة، ولم ترَ عينها بعدُ نورَ الشمس، ولعل والدها الإمام الحسين عليه السلام كان في أحضان جده المصطفى ﷺ يلاعبه ويلثمه ويغذيه من ريقه ﷺ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[٣] ولكنها فرصة للوضاعين لكي يستغلوا المادة الأولية المُعْجمية من لقب السيدة آمنة بنت الحسين عليها السلام[٤] ، ويضيفوا للرصيد الهائل من الافتراءات رقمًا جديدًا .

---

(١) لسان العرب ٤٠/٩ ، تاج العروس ١٣١/١٢.

(٢) المصنف ٥٨/٦ ، الطبقات الكبرى ٤٣٠/١ ، تاريخ المدينة ٦٢٨/٢ ينقله بسند مختلف .

(٣) آل عمران : ٦٥ .

(٤) تفرَّد ابن قتيبة في المعارف : ٦٢٠ ، بنسبتها لسكينة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهي نسبة لا تصح لوفاة النبي ﷺ قبل ولادتها.

٣) توظيف القصص والحكايا :

احتاج ذلك المجتمع المتحوِّل من البداوة للحضارة ، وبما توفر له من أسباب الترف أن يملأ الفراغ الفكري الذي عاشه في مجالس اللهو ، فبرز القصَّاصون ببضاعتهم الهزلية كأحد تلك العناصر ، واستحسن الناس تلك البضاعة فكان لها رواجٌ بما امتازت به من تشويق وإمتاع للنفوس ، وقد حاول القصاصون محاكاة أهل الحديث في وضع الأسانيد وعنعنة قصصهم ،لإضفاء شيء من المصداقية عليها ، وهي أسانيد لا ترقى لمستوى القبول (لذلك فإنه لا يوجد كتاب واحد في الجرح والتعديل لرواة الأدب والأخبار)[1] ،وإن المتتبِّع للرواية الأدبية والتاريخية سيجد هذا التساهل في نقل الرواية إذ لا يتعلق بهذه المرويات حكم شرعي يُبنى عليها ، على أنها أخبار لا تثبت أمام العقل لأول وهلة ، فقد احتوت ما ينافي القيم والعادات السائدة في ذلك العصر ، بل في بعض الأحيان تضمَّنت خوارق العادات التي لا يقبلها العقل، وكان كل ذلك في قالب هزلي لا يخلو من الطرفة والمُلْحَةِ، وقد أوجدوا لهذه القصص أبطالاً من الشخصيات العامة المعروفة لإعطاء تلك القصص والملح بُعدًا آخر ، كما نجده في أيامنا هذه على لسان المشاهير والساسة .

(ولا شك أن كثيرًا من القصص والأخبار هي من قبيل الحكايات والشائعات التي تنتشر على ألسنة الناس ، ويتداولونها في مجالسهم دون أن يعرف لها أصل،ثم يتلقَّفها الرواة ويلقونها على من بعدهم من تلاميذهم ، حتى تدوِّنها أقلام المصنفين ، فتكتسب بذلك شيئًا من القوة والثبات . ولكن هناك حكايات اختُلقت لأغراض معينة ، أي أن هناك من كان

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ناصر الدين الأسد : ٢٨١ (دار المعارف الطبعة السادسة ١٩٨٢م)

يتعمَّد الكذب ، ويختلق الحكايات والقصص ليصل من وراء ذلك إلى أغراض معينة)[١] .

تلك الحكايا والقصص أثقلت كاهل التاريخ لا سيما في بدايات تدوين التاريخ الإسلامي (فقد ظلَّ القصّاص والأخباريون يردِّدون هذا النوع من القصص المبالغ فيها ، وهي لا تعتمد كثيرًا على توقيت تاريخي لما ترويه من أحداث ... وقد وفَّرت هذه القصص مادة للشعراء ، لكن لم يكن معقولاً أن يستمرَّ الحال على هذا المنوال بعد أن تعدَّدت أحداث الجزيرة العربية ، فأصبح الأمر يستلزم دقة أكثر وربطًا للأحداث وتركيزًا على الهام منها المرتبط بمصير العرب والدين)[٢] .

وقد تمَّ اختلاق كثير من تلك القصص على ألسنة شخصيات عبثية أمثال أشعب الطامع، وتمَّ إلصاقها بالسيدة سكينة عليها السلام ،(ولذلك كنّا نجد نساء فضليات كالسيدة سكينة بنت الحسين تُشَوَّش صورتها في الأغاني)[٣] ،ولا أعلم أكان للسياسة دور في ذلك ، فإن كان كذلك فما ذنب حرائر الوحي والتنزيل ؟! أكُنَّ بخدرهن وقرارهن في بيوتهن أطراف معارضة ؟ أم حملن السلاح ، وركبن الدوابَّ لمقارعة الحكام ؟ ولكنها جناية في حق الإسلام والموحدين ، أن يُساء لنساء بيت النبي صلى الله عليه وآله ، وأحسب أن الأمر بلغ من الجناية أن يُدوَّنَ ذلك في كتب المسلمين ويتناقله شخص يزعم أنه موحد ، وأن قلبه أُشرب حب النبي محمد صلى الله عليه وآله .

ومن أمثلة تلك الحكايا والقصص التي تمَّ تناقلها :

---

(١) مجتمع الحجاز في العصر الأموي : ٥٣ .

(٢) علم التاريخ للدكتور شوقي جمال : ٣٥ .

(٣) التطور والتجديد في الشعر الأموي ، د. شوقي ضيف : ٢٢٣ .

أ) ديباجة الحرم :

عن أشعب الطامع قال : كانت سكينة بنت الحسين بن علي عليه السلام عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، قال : وكانت أحلفته ألا يمنعها سفرًا ولا مدخلاً ولا مخرجًا ، فقالت : اخرج بنا إلى حمران من ناحية عُسفان ، فخرج بها فأقامت ، ثم قالت له : اذهب بنا نعتمر ، فدخل بها مكة ، فأتاني آتٍ ، فقال : تقول لك ديباجة الحرم ـ وهي امرأة من ولد عتّاب بن أسيد ـ لك عشرون دينارًا إن جئتني بزيد بن عمرو الليلة في الأبطح ، قال أشعب : وأنا أعرف سكينة وأعلم ما هي ثم غلب علي طباع السوء والشره، فقلت لزيد فيما بيني وبينه : إن ديباجة الحرم أرسلت إليّ بكيت وكيت ، فقال: عِدْها الليلة بالأبطح ، فأرسلت إليها فواعدتها الأبطح ، وإذا الديباجة قد افترشت بساطًا في الأبطح وطرحت النمارق ، ووضعت حشايا وعليها أنماط فجلست عليها ، فلما طلع زيد قامت إليه ، فتلقته وسلّمت عليه ، ثم رجعت إلى مجلسها ، فلم ننشب أن سمعنا شحيج بغلة سكينة، فلما استبانها زيد قام فأخذ بركابها ، واختبأتُ ناحية ، فقامت الديباجة إلى سكينة فتلقتها وقبّلت بين عينيها ، وأجلستها على الفراش ، وجلست هي على النمارق ، فقالت سكينة : أشعب ـ والله ـ صاحب هذا الأمر ، ولست لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرَّة ... فطلعت على أربع أصيح صياح الهرة ، ثم دعت جارية معها مجمر كبير فحفنت منه وأكثرت، وصبَّت في حجر الديباجة، وحفنت لمن معها فصبته في حجورهن ...[1].

المقاربة التاريخية :

يذكر الخبر أن الديباجة من ولد الصحابي عتَّاب بن أسيَّد ، فإن دل الخبر على أنها من نسله وليست منه مباشرة ، فأنت أمام شخصية مجهولة

---

(١) الأغاني ١٩/١٦٦ـ١٦٧ .

لا يمكن الوقوف على حالها .

وإن كانت الديباجة هذه بنت الصحابي عتّاب بن أسيد المتوفى عام١٣هـ[1] ، والقصة العبثية السابقة يفترض وقوعها بعد عام ٧٢ هـ إذا سلمنا جدلاً بأن السيدة سكينة عليها السلام تزوَّجت من زيد بن عمرو بن عثمان بعد مقتل مصعب بن الزبير مباشرة وإلا فالأخبار تشير إلى تحقق وقوع الزواج زمن الخليفة سليمان بن عبدالملك (٩٦ ـ ٩٩هـ)[2] .

فإذا كانت الديباجة قد ولدت عام وفاة والدها١٣هـ فعمرها زمن الحادثة لا يقل عن ستين عامًا ، ولك أن تقول ثمانين عامًا فأكثر ، بناءً على زمن زواج السيدة سكينة عليها السلام بزيد العثماني، ومع ذلك فهي امرأة عبثية وإن كانت من القواعد من النساء ، تُقَبِّل من هي في سنِّ ابنتها مابين عينيها إجلالاً وإكرامًا ، ورغم هذا التقدير إلا أن المسماة سكينة تصبُّ المجمر في حجرها وهي في هذه السن .

الحبك القصصي :

لا يملك المتطلّع لمثل هذه الأخبار إلا أن يصفّق لذلك الحبك القصصي الفكاهي ،الذي يُتَعمّد فيه الإساءة لحفيدة المصطفى صلى الله عليه وآله وكأن تلك الإساءة أصبحت سنة فهي بعض أجر الرسالة ، فلله درُّ حابكها إذ جعل من أشعب يخرج على أربع ليصيح مثل الهرة ، هذه الفكاهية التي تبلغ أوجها فيما أعتقد حين يكتشف الحضور القادمة عليهم من خلال شحيج بغلتها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، مصيبة ما أعظمها إن قبلها عقل الموحدين ، والأعظم من ذلك أن يتناولها ذوو الألباب ويقبلوها وهي تسيء

---

(١) الأعلام ، الزركلي ١٩٩/٤ .

(٢) سنأتي على ذكر المصادر عند الحديث عن زواجها المزعوم من زيد بن عمرو بن عثمان .

لحفيدة المصطفى ﷺ .

ب) بُدْرَاقِس :

لولا مخافة الإطالة لنقلت الحادثة بتمامها لإدخال السرور في نفسك من باب شر البلية ما يضحك ، إلا أنني أجتزئ منها ما يعينك على الوقوف على خطوطها العريضة ، فقد ورد في الأغاني .

قال هارون : وحدَّثني علي بن محمد النوفلي ، عن أبيه وعمه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين :

أن سكينة بنت الحسين عليه السلام خرجت بها سلعة (الغدة) أسفل عينها ... فأضجعها (خادمها بُدْراقس) وشقَّ جلد وجهها ... وسلخ اللحم ... فرفع الحدقة ... وردَّ العين إلى موضعها وعالجها ... وهي لا تتحرَّك ولا تئنُّ ... فبقي أثر تلك الجراحة ... فكان أحسن شيء في وجهها ، وكان أحسن على وجهها من كل حلي وزينة ،ولم يؤثر ذلك في نظرها ولا في عينها [1] .

لا نملك بعد هذا الخبر إلا أن نرفع أصواتنا بالصلاة على محمد وآل محمد ﷺ ،فهي كرامة من كرامات بدراقس ، جرت على يده لحفيدة النبي ﷺ ويعجز العلم أن يجد لها تفسيرًا علميًا حتى يومنا هذا.

تعارض القصة مع تاريخ الطب :

(فلو عرضنا الرواية على تاريخ الطب لرفضها ، لأن الخادم ـ وهو لم يكن طبيبًا معروفًا ـ قام بعملية جراحية للعين بلا تخدير ، ورفع الحدقة وجعلها ناحية ، ثم ردَّها إلى مكانها . لم يعرف تاريخ الطب العربي وخصوصًا في عهد السيدة سكينة على الأقل نوعًا متطورًا من هذه العمليات الجراحية ، فالرواية باطلة علميًا ، لأن فصل العضو من مكانه مميت للخلايا ، أما إعادة الحياة إلى الخلايا في زرع الأعضاء ، فهذا علم

---

(١) الأغاني ١٦/١٦٩.

حقّقه القرن العشرون فقط)[1].

كل تلك الأخبار والقصص لا تستحقُّ الوقوف والإطالة عندها ، فهي لا تصمد أمام أدوات البحث الأولية ، إذا ما نظرنا لمصادرها ، وأسانيدها ، وطريقة حبكها ، ولكننا آثرنا سردها ومناقشة بعضها ، ليقف القارئ على الكمِّ الهائل من تلك الافتراءات التي ألصقت بالسيدة سكينة عليها السلام ، وليتعرف على الكيفية التي تمَّ من خلالها تجنيد جميع الأدوات لبثٍّ مثل هذه الأخبار ، وكي تكون مقبولة على مرّ الدهور والأحقاب .

---

(١) الدكتور حسن عباس ،السيدة سكينة وافتراءات الوضاعين حولها ، مجلة نور الإسلام١٤١٣هـ .

٤) المزاح والشخصيات العبثية :

لعلّ هذا العنوان وما سيأتي من عناوين فروع للحكايا والقصص الموظفة لأغراض متعددة، تخدم في مُحَصِّلتها النهائية كل من أراد الإساءة لرسالة السماء من خلال استنقاص البيت المحمدي .

فمما ورد في كتاب الأغاني (كانت سكينة مزاحة)[1] خلافًا لهدي جدها المصطفى ﷺ، وتبعه في ذلك كتّاب الأدب والتاريخ ، وقد أوردوا لذلك شاهدًا على لسان السيدة سكينة عليها السلام إذ قيل لها : أختك فاطمة ناسكة ، وأنت تمزحين كثيرًا ؟ فقالت : لأنكم سمّيتموها باسم جدّتها المؤمنة ـ تعني فاطمة بنت رسول الله ﷺ ـ وسمّيتموني باسم جدّتي التي لم تدرك الإسلام . تعني آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ[2].

سبب وجيه طرحته سكينةُ هذه لمزاحها ! بل لإفراطها في المزاح ، إذ أشارت باستنقاص لجدّتها آمنة بنت وهب ! وأعتقد أن هذه الرواية كانت تهدف للنيل من مقام جدها النبي ﷺفيا لله من فرية ! جعلت من السيدة سكينة عليها السلام متصادمة مع الموحدين الذين يُجِلّون جدها ﷺ وآباءه وأمهاته بشتى طوائفهم ، فهو ﷺ المتنقل بين الأصلاب الطاهرة والأرحام المُطهرة .

ثم انهالوا بعدها بوابل من القصص المضحكة في ذاتها المبكية لما آل إليه الموحدون من جناية في حق عقولهم ، وتجنٍ على حرمات المصطفى ﷺ، وسنضع بين يديك نماذج لا تخرج من الإطار القصصي لتقف على أبعاد ما وصل إليه القوم،لتقيّم تلك النفوس الموغلة في الافتراء على بيت النبوة عليهم السلام ، ولتقدِّر تلك العقول التي تناقلتها بشيء من القبول ، وما كانت تلك العقول والنفوس لتقبلها لو كانت في ساداتها وأمرائها ، ولكنها في حق أهل بيت

---

(١) الأغاني ١٥٢/١٦.

(٢) الأغاني ١٤٩/١٦.

النبي ﷺ مقبولة تدخل السرور على النفوس الحاقدة ، التي تظن أنها تتقرب بذلك إلى الله ﷻ .

وكأنّما بكَ يا بنَ بنتِ محمدٍ ! قتلوا جهارًا عامِدينَ رسُولا
ويكبِّرون بأنْ قُتلتَ وإنّمَا قتلوا بكَ التّكبيرَ والتّهليلا (١)

وأظنُّك تعلم أن القوم أسرفوا في النكاية بأهل البيت عليهم السلام فكان جزاء الرسالة أن يُقتّلوا ويُنفوا من الأرض ! وشواهد التاريخ أكثر من أن تحصى . وأظنُّك تعلم أن القوم أسرفوا في الكذب عليهم ، فنماذج وأمثلة الكذب عليهم محفوظة في الأذهان ، ولكن قد يفاجؤك الكمُّ والكيفية التي استهدفت السيدة سكينة عليها السلام ، لذا سنضع بين يديك الغثُّ والسمين لتؤصِّل قناعات مسبقة ، وتؤكّد فكرة مزروعة رعاها أعلام الطائفة ، فأنبتت عقيدة راسخة لا تقبل مثل المفتريات الآتية والتي من خلالها استطاعوا أن يصفوا السيدة سكينة عليها السلام بالمزاح :

أ) حضن البيض :

الرواية الأولى :

ورد في الأغاني ما ملخَّصه : أن إبراهيم المهدي قال لابن أشعب الطامع : ما أحسب لك قرابة بالمدينة ، فقال : اللهم غفرًا ، لي بالمدينة قرابات وأيُّ قرابات ، قلت : أيكونون عشرة ؟ قال : وما عشرة ؟ قلت : فعشرين ؟ قال: اللهم غفرًا ، لا تذكر العشرات ولا المئات ، وتجاوز ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها ، قلت : ويحك ! ليس بينك وبين أشعب أحد ، فكيف يكون هذا ؟ ... فذكر ابن أشعب قصة عن أبيه تصلح لأن تكون مسرحية هزلية سرد فيها شيئًا من مغامرات والده ، التي أغضب فيها سكينة فعاقبته بأن صنعت له بيتًا من خشب ، وابتاعت بيضًا وتبنًا وسرجيناً ثم

---

(١) مما أنشده التابعي خالد بن معدان ، مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢ / ١٤٣.

أدخلت أشعب البيت ، يقول أشعب : فحلفت بجدِّها ألا أخرج من ذلك البيت حتى أحضن ذلك البيض إلى أن يَفْقُس ، ففعلت ذلك ، ولم أزل أحضنه حتى فقس كله ، فخرج منه الألوف ، وربيت في دار سكينة ، فكانت تنسبهن إليّ وتقول : بنات أشعب [١] .

الرواية الثانية :

بعثت سكينة إلى أبي الزناد فجاءها تستفتيه في شيء ، فاطّلَعَ أشعب عليه من بيت ، وجعل يقوقئ مثل ما تقوقئ الدجاجة ... فحلفت أن يحضن بيضًا في هذا البيت ، ولا يفارقه حتى ينقب ، فجعل أبو الزناد يعجب من فعلها [٢] .

الرواية الثالثة :

دخل رجل من قريش على سكينة بنت الحسين عليها السلام قال : فإذا أنا بأشعب متفحج جالس تحت السرير ، فلما رآني جعل يقوقئ مثل الدجاجة... [٣] .

الرواية الرابعة :

أن سكينة أجلست شيخًا فارسيًا على سلة بيض ، وبعثت إلى سليمان ابن يسار ، كأنها تريد أن تسأله عن شيء ، فجاءها إكرامًا لها ، فأمرت من أخرج إليه ذلك الشيخ جالسًا على السلة فيها البيض ، فولى يُسبّح [٤] .

تعارض القصة مع المنهج العقلي :

لعل تعدُّد تلك الروايات أحد أدلة وضعها ، وهي أوهى من بيت

---

(١) الأغاني ١٦/١٥٣ — ١٥٨.

(٢) الأغاني ١٩/١٧٧.

(٣) الأغاني ١٩/١٦٨ .

(٤) الأغاني ١٦/١٥٢.

العنكبوت ، إذ يكفينا أن نطرح بعض الأسئلة الملحة على عقل كل من يستمع لمثل هذه الروايات القصصية .

(فكيف يحضن رجل بيضًا فيمنحه الحرارة المطلوبة ؟ أيجلس عليه ، أم ينام ، أم يضعه في حجره ؟ ألا يهشِّمه بثقله ؟ إن احتضان أشعب للبيض... رواية عبثية نسجها خيال الوضاعين ، ونسبوها للسيدة سكينة بنت الحسين عليهما السلام لتأخذ هذه الرواية جزءًا من عقل سكينة وحكمتها وورعها)[1] .

تعمُّد الإساءة لبيت النبوة :

لم تكن تلك المرويات لتأخذ جزءًا من عقل السيدة سكينة عليها السلام وحكمتها وورعها فقط ، بل لتأخذ من مقام النبوة ، إذ طالما استوقفني افتراؤهم على لسان السيدة سكينة عليها السلام وأنها : (حلفت بجدِّها ألا أخرج من ذلك البيت حتى أحضن البيض إلى أن يفقس) .

ومما يؤكِّد ذلك المعنى الإشارة لفقر فقه أهل البيت عليهم السلام وفقهائهم؟! ذلك الفقر والنقص الذي أحوج السيدة سكينة عليها السلام أن تستفتي أبا الزناد مرة ، وأخرى تسأل سليمان بن يسار ،ولكنها مخيلة القصاصين التي لا تخلو من الظلامة والغمز والنقيصة في بيت النبوة عليهم السلام .

محاولة إساءة للبيت المحمدي يدلُّ عليها إصرار صاحب الأغاني على نقل مثل هذه الأخبار ، إذ يقول : وهذا الخبر عندنا غير مشروح ، ولكن هذا ما سمعناه، ونسخته على الشارح من أخبار إبراهيم بن المهدي[2] . فإذا كان الحال كذلك فلم الإصرار على الإساءة لبيوتات الله ورسوله؟! ﴿ فِي بُيُوتٍ

---

(١) مقال للدكتور حسن عباس (سكينة بنت الحسين وافتراءات الوضاعين حولها) مجلة نور الإسلام ، العددان ٢٩ و٣٠ السنة الثالثة محرم وصفر ١٤١٣هـ : ٤٥ .

(٢) الأغاني ١٩/١٦٨ .

أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ [١].

بمثل هذه الترهات حاولوا إثبات أن السيدة الجليلة سليلة النبوة والإمامة السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام كانت مَزّاحة !

ب) وقفة مع أشعب الطامع :

أوقفناك على شيء من أخبار أشعب وعبثه ، أما الآن فلا بد لنا من وقفة مع هذه الشخصية المجروحة [٢] حيث أراد أهل الأدب والتاريخ أن يكون لها ارتباط بتلك الشخصية المسماة سكينة توهينًا وازدراءً بمقام أهل البيت عليهم السلام ، وفي ذلك يقول المستشرق فاديه : (إن الحكايات التي تقوم فيها سكينة والمهرج أشعب بدور البطلين تشترك في الاتجاه الازدرائي ذاته) [٣].

محاولة إلصاقه ببيت النبوة :

ورد في أخبارهم أن أشعب مولى لسيدتي ومولاتي السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام حيث جاء : كان أشعب مولى فاطمة بنت الحسين ، وقال لرجل : سخن لي دجاجة ثم رَدّها فسُخنت ، ثم رَدَّها أيضًا ، فقال أشعب : هذه كآل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا ، فضربته مائة لهذا القول ، ووهبت له مائة دينار [٤].

ويروى هذا الخبر عن أشعب مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان وكان أبخل قرشي ، حين خرج حاجًا مع سكينة ، فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصًا ولا فاكهة إلا حملتها ... لكن زيد بن عمرو تعلّل برفع الدجاج حتى سُخّن أكثر من مرة ، فقال أشعب : أخبرني عن دجاجك هذا أمن آل

---

(١) النور : ٣٦ .

(٢) قال الأزدي : لا يُكتب حديثه ، ميزان الاعتدال ١/ ٢٥٨.

(٣) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير ، هامش: ٧٩٩ .

(٤) تاريخ الإسلام ٩/ ٣٧٦ ، ميزان الاعتدال ١/ ٢٦٠، لسان الميزان لابن حجر ١/ ٤٥٢ .

فرعون ؟ فهو يعرض على النار غدوًّا وعشيًا [١].

ويكفينا أن يُنقل الخبر عن أشعب الطامع ، وبصورتين مختلفتين تكون شاهدته في الأولى السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام ، وفي الأخرى السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام ، لنضع عليه أكثر من علامة استفهام .

ولاؤه وارتباطه :

مع ما تمتَّع به أشعب من سمعة سيئة ، فهل ربطته فعلاً علاقة ما بأهل البيت عليهم السلام وبالسيدة سكينة عليها السلام تحديدًا ؟ وهل كان مولى للسيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام ؟

أورد ابن عساكر خمس روايات مسندة إلى أشعب مولى عثمان ، وهو أشعب الطامع [٢]، كما نقل ابن عساكر والخطيب البغدادي أن ابنة عثمان ربّته وكفلته ، وكفلت معه ابن أبي الزناد [٣].

وأم أشعب أم حميدة ، وقيل : إن أمه جعدة مولاة أسماء بنت أبي بكر [٤] ، ثم نختم بأنه كان منقطعًا لسالم بن عبدالله بن عمر وكان يُغنِّيه [٥] .

هذا محيط أشعب الطامع الذي عُرف بخلاعته ومجونه ولهوه وغنائه ودناءة نفسه ، فإن قبل الموحدون أن تكون تلك الشخصية لصيقة ببيوت آل أبي بكر وعمر وعثمان فتلك مصيبة ، وإن لم يقبلوا ذلك وطهروهم من

---

(١) الأغاني ١٦/١٦٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٩/١٤٧ و١٤٨ و١٤٩ وج٧/١٩٦ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٩/١٤٩ ، تاريخ بغداد ٧/٤٢ ، ويذكر صاحب الأغاني أن اسمها عائشة ١٩/١٤٥.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٩/١٥٠ ، تاريخ بغداد ٧/٤١ ، إكمال الكمال لابن ماكولا ١/٩٠ .

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٩/١٥٣ و١٥٧ .

دنسه ، فالأولى دفعه عن بيت النبوة ومهبط الرسالة . ولا أعلم من خط التاريخ بكل تناقضاته وعجائبه ؟ أكان آل محمد ﷺ المقهورون والمغلوبون سياسيًا على مرّ التاريخ أم كان الغالب ؟ أم أن هناك أيدي خفية تعبث بتاريخ الأمة الإسلامية وهي لا تمتُّ للإسلام بصلة ؟ ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[١] .

ج) ملح وطرائف :

قد أردف خبر حضن بيض الدجاج صاحب الأغاني بملحة وطرفة وهي لا تخرج من دائرة القصص والحكايا ، فشاء أن تكون حليفة التقى والورع السيدة العفيفة سكينة بنت الإمام الحسين عليهما السلام بطلتها فقال : بعثت سكينة إلى صاحب الشُّرطة بالمدينة : أنه دخل علينا شاميّ ، فابعث إلينا بالشُّرَط ، فركب ومعه الشُّرط فلما أتى إلى الباب أمرت ففتح له ، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه بُرغوثاً ، فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا الشامي الذي شكوناه . فانصرفوا يضحكون[٢] .

ولا أعلم ما مقدار توافق السيدة سكينة عليها السلام مع السلطة الحاكمة بحيث تستنفر أجهزة الدولة فتبعث لها الدولة الشُّرَط تلبية لرغبتها ، وقد مرَّ عليك : أن السيدة سكينة عليها السلام كانت تجيء في ستارة يوم الجمعة ، فتقوم بإزاء ابن مُطَيْرة - وهو خالد بن عبدالملك بن الحارث بن الحكم - إذا صعد المنبر ، فإذا شتم عليًا شتمته هي وجواريها ، فكان يأمر الحرس أن يضربوا جواريها[٣] ، كما ورد في تاريخ مدينة دمشق : أنها وثبت على هشام بن عبدالملك فجبذت بردائه ، وقالت : والله يا أحول ، لقد أصبحت تهكم

---

(١) يوسف : ٤٣ .

(٢) الأغاني ١٦/١٥٣ .

(٣) الأغاني ١٦/١٥١ .

بنا ، أما والله ما أبرزنا لك إلا يوم الطف ، فقال : أنت امرأة كثيرة الشر[١].

تجاوزوا الحدّ:

ولم يكتفِ الوضّاعون من القصاصين بأن تكون ملحهم خارجة عن نطاق العقل والقبول ، بل تجاوزوا كل تلك الحدود ،بأن جعلوها خارج نطاق الأدب والعفة التي وسمت بها السيدة سكينة عليها السلام من قبلهم ومن قبل غيرهم ، حيث جاء في تاريخ مدينة دمشق عن محمد بن سلام عن أبيه قال: قالت جارية سكينة لسكينة : بالباب رجل يقول : لي حاجة ، قالت : ما حاجته ؟ فذهبت ثم عادت ، قالت : يقول : لي حاجة ، حتى فعلت ذلك مرة أو مرتين أو أكثر ، قالت : فلعلها حاجة الديك إلى الدجاجة [٢] .

وما كُنّا بحاجة لنقل مثل هذه الترهات عن ابن سلام [٣] وغيره ، إلا لتقف معنا على حجم تلك الافتراءات وما بلغته من جنايةٍ وتعدٍ على حُرَم رسول الله ﷺ إذ لا يمكن تفسير تلك الافتراءات إلا ضمن السياق السياسي، الذي أعزَّ فيه الله رسوله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام بالإسلام، وأذلَّ أقوامًا كانوا أعزَّة ، فلا يمكن بحال من الأحوال صدور مثل هذه المرويات وقبولها من موحد ، إلا أن يكون محجوب العقل ، أو مريض القلب ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴾[٤] . فإن ساغ للوضاعين وضع مثل تلك الافتراءات ، فلا مسوّغ لنقلها من أعلام الأمة

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢١/٧٠ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢٠٨/٦٩ .

(٣) ميزان الاعتدال ٥٦٨/٣ ، لا يُكتَب عن محمد بن سلام الحديث ، رجل يرمى بالقدر .

(٤) محمد : ٢٩ .

والتندُّر بها في أماليهم وكتبهم ، وقد بدا كِذْبها كالشمس الواضحة ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[(١)] لكنها أضغان وأحقاد توارت تحت الرَّماد ثم اتقدت ، ما هي إلا من إملاءات شياطينهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾[(٢)] .

د) في الدار جلبة :

آن لنا أن ننقل لكم مشهدًا كوميديًا من مشاهد المسرحية الهزلية بطلته سكينة وبنو هاشم وبنو زهرة ، هذا المشهد الذي يتحوَّل في ختامه إلى تراجيديا حيث يصاب فيه أكثر من مائة إنسان ، لتودّع فيه البطلة المسرح وقد سُحبت على بساط وهي تخاطب جاريتها وتقول : أن كل ما فعلته ما كان إلا مشهدًا تمثيليًا أردت منه إدخال السرور عليك .

حيث ورد في الأغاني : تنفست يومًا بنانة جارية سكينة وتنهدَّت ، حتى كادت أضلاعها تتحطم ، فقالت لها سكينة : مالك ويلك ؟! قالت : أحب أن أرى في الدار جلبة - تعني العرس - فدعت مولى لها تثق به ، فقالت له : اذهب إلى إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، فقل له : إن الذي كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه ، أنت من أخوال رسول الله ﷺ ،فاحضر بيتك .

قال : فجمع عدّة من بني زُهرة ، وأفناء قريش من بني جُمَح وغيرهم ، نحواً من سبعين رجلاً أو ثمانين ، ثم أرسل إلى علي بن الحسين ، والحسن ابن الحسن ، وغيرهم من بني هاشم ، فلما أتاهم الخبر اجتمعوا وقالوا : هذه السفيهة تريد أن تتزَّوج إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، فتنادى بنو

(١) محمد : ٢١ .

(٢) محمد : ٢٥ .

هاشم واجتمعوا وقالوا : لا يخرجن أحد منكم إلا ومعه عصا ، فجاؤوا وما بقي إلا الكلام ، فقال : اضربوا بالعصيّ ، فاضطربوا هم وبنو زهرة حتى تشاجّوا ، فشُجَّ بينهم يومئذ أكثر من مائة إنسان ، ثم قالت بنو هاشم: أين هذه ؟ قالوا : في هذا البيت ، فدخلوا إليها ، فقالوا : أبلغ هذا من صنعك؟ ثم جاؤوا بكساء طاروقيّ فبسطوه ، ثم حملوها ، وأخذوا بجوانبه ـ أو قال: بزواياه الأربع ـ فالتفتت إلى بنانة فقالت : يا بنانة ، أرأيت في الدار جلبة ؟ قالت : إي والله إلا أنها شديدة [1].

سمعتِ للناس خبرًا ؟

ثم إن هذه القصة تروى لسكينة هذه مع أم أشعب ، إذ قالت سكينة لها : سمعتِ للناس خبرًا ؟ فقالت : لا ، فبعثت إلى إبراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف فتزوَّجته ... فاقتتلوا حتى كثر الشِّجاج... ثم التفتت إلى أم أشعب وقالت : أترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر ؟ قالت : إي والله بأبي أنت وأميّ ، وأيُّ خبر ؟! [2].

قصة لإثبات زيجة مكذوبة :

رائحة القصاصين تفوح من تلك المشاهد ، وهي تريد إثبات زواج السيدة سكينة عليها السلام من إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، وهو زواج لا يصح لما سيأتي عند الحديث عن الأزواج ، وأحسب أن الخبر حاول أن يَرُدَّ خبرًا سابقًا ، حيث ورد في الأغاني : أن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف خطب السيدة سكينة عليها السلام ، فبعثت إليه : أبلغ من حمقك أن تبعث إلى سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تخطبها ؟ فأمسك عن ذلك [3].

---

(١) الأغاني ١٦/١٦١ـ١٦٠ .

(٢) الأغاني ١٦/١٦٦ .

(٣) الأغاني ١٦/١٦١ .

ط) الماجشون :

جنبة من جنبات المزاح المفترى على السيدة سكينة عليها السلام ومُكمِّلٌ من مكملات تلك الشخصية الهزلية ، حيث ورد : أنها كانت تُلقِّب الأشخاص بألقاب ، وأنها ما لقَّبت أحدًا قط بلقب إلا لصق به [١] .

فقد أورد صاحب الأغاني عن مصعب الزبيري ، قال : حدَّثني ابن الماجشون ، قال : نظرت سكينة إلى أبي فقالت : كأن هذا الرجل الماجشون ـ وهو صبغ أصفر تخالطه حمرة ـ فلقِّب بذلك [٢] .

ولتأكيد هذه الفرية ذكر صاحب الأغاني أنها نظرت إلى رجل من ولد عمر بن الخطاب ـ وكانت فيه غلظة ـ فقالت : هذا الرجل في قريش كالشيرج (دهن السمسم) في الأدهان! فكان ذلك الرجل يسمَّى : فلان شيرج حتى مات [٣] .

مثالان ساقهما صاحب الأغاني ولم نجد غيرهما على تقصير في البحث والتنقيب ، أحدهما ـ وهو الشيرج ـ لا يُعرف صاحبه إلا أنه من ولد عمر بن الخطاب ، والآخر هو الماجشون ، وهما لا يكفيان لكي يقال إنها ما لقَّبت أحدًا قط بلقب إلا لصق به .

لماذا لُقب بالماجشون؟

وعودًا إلى الماجشون فهو لقب غير مختص به ، فهو جارٍ عليه وعلى أهل بيته من بنيه وبني أخيه [٤] .

وقد ترجم له جمع من الأعلام ، ولم يشيروا إلى أنه لُقِّب من قبل السيدة

---

(١) الأغاني : ٢٤/١٥ .

(٢) الأغاني ٢٤/١٥ .

(٣) الأغاني ١٥ / ٢٤ .

(٤) وفيات الأعيان ١٦٧/٣ ، تهذيب الكمال ١٥٥/١٨ .

سكينة عليها السلام بل إن بعضهم أورد في سبب تلقيبه خلاف ما ذهب إليه صاحب الأغاني ، ومن جملتهم :

١) الذهبي في تاريخ الإسلام : يقال : لقّب بالماجشون لحمرة خدَّيه [(١)].

٢) البخاري في التاريخ الصغيري : قال هارون الماجشون بالفارسية المورد[(٢)].

٣) ابن الأثير الجوزي في اللباب في تهذيب الأنساب : الماجشون لحمرة خدَّيه وهذه لغة أهل المدينة ، والماجشون المورد[(٣)].

٤) ابن خلكان في وفيات الأعيان: قيل إن أصلهم من أصبهان ، فكان إذا سلّم بعضهم على بعض قال : شوني شوني ، فسمي الماجشون [(٤)].

وإذا كان الأمر كذلك فما الداعي لدخول السيدة سكينة عليها السلام في لقب يعقوب بن أبي سلمة دخول الجملة الاعتراضية ؟ لكي نجيب على هذا التساؤل المشروع كان لزامًا أن نتعرف على بعض ملامح شخصية الماجشون فقد ورد أنه : أول من علَّم الغناء[(٥)]، وأنه كان يعلم الغناء ويتخذ القيان ، وأمره في ذلك ظاهر مع صدقه في الرواية ، وكان يجالس عروة ويجالس عمر بن عبدالعزيز [(٦)]. ولمصعب الزبيري رأي خاص إذ يقول : كان الماجشون أول من علَّم الغناء من أهل المروءة [(٧)].

---

(١) ٢٨٠/١٢.

(٢) ٢٩٤/١.

(٣) ١٤١/٣.

(٤) ١٦٧/٣ .

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٥٤/٢٨ ، تاريخ الإسلام : ٧٥٦/٧ ،تهذيب الكمال ٤٨١/١٤ و٣٣٧/٣٢ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٣٧٠/٥ ، تهذيب الكمال ٣٧٧/٣٢ ، .

(٧) تاريخ الإسلام ٥٠٦/٧ .

نعم أول من علم الغناء ، لكنه من أهل المروءة ، ويتخذ القيان ، لكنه صادق فهو يجالس عروة وعمر بن عبد العزيز ، حري بشخصية كهذه أن تكون لها علاقة بسكينة تلك ، إذ هو وأمثاله من الشخصيات العبثية يجب أن يجد له كتّاب التاريخ ورواة الأدب دوراً في حياة السيدة سكينة ﷺ ، التي ما لقّبت شخصًا بلقب إلا لصق به ، عدا لقب واحد شذّ عن القاعدة إن لم تكن قاعدة عقلية ، وأبطلها إن كانت عقلية ، وهو اللقب الذي أعطته فيما يروى لعائشة بنت طلحة ، إذ لقّبتها بذات الأذنين [١] لعظم أذنيها ، لقب لقّبت به عائشة بنت طلحة على ذمة التاريخ ، ولم يلصق بها ، ولست أعلم سبب ذلك رغم أنها مالقبت أحدا قط إلا لصق به ، فما السبب ؟ أظنك أعلم بذلك مني .

---

(١) الأغاني ١٦/ ١٦٠ .

مع المغنين :

١) استبدال الاسم

٢) سوق حنين إلى منيته

٣) إيغال في القصصية

٤) نوح أم غناء ؟

مع المغنين

إذا ما تتبَّعنا مسيرة الغناء العربي عبر تاريخه ، وجدناه متوهجًا في العصر الأموي ، وكان للحجاز في هذا الميدان فرس السَبق ، إذ حوى أعلام تلك الفئة ، أمثال ابن سريج ومعبد والغريض وجميلة وعزة الميلاء ، هذا التوهج والحضور البارز للغناء في الفترة التي عاشتها السيدة سكينة عليها السلام لم يكن ليمرَّ على من دوَّن التاريخ والأدب دون أن يُستغل كوسيلة إعلامية للإساءة لحفيدة المصطفى ﷺ ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[1] .

(وبالرغم من كثرة الأخبار التي رويت عن الغناء والمغنين في الحجاز إلا أن من الصعب جدًا أن نصل إلى صورة صحيحة ودقيقة لحالة الغناء هناك ، لأن معظم تلك الأخبار أباطيل لفَّقها الرواة ، وحكايات لا يُعلم مصدرها الأصلي ، وأنها ذات أصول غير صحيحة غيّر فيها الرواة وبدّلوا ، حتى أصبحت مدلولاتها مختلفة عما دلت عيه أصلاً)[2] .

فوجدناهم تارة يستبدلون أسماء نسائهم في الأشعار ليتغنَّوا باسم سكينة وهو استبدال متعمد ، وتارة يقومون بتوظيف الحكايا والقصص لتكون السيدة سكينة عليها السلام ضمن ذلك الإطار الاجتماعي الماجن المتصادم مع القيم التي جاء بها جدُّها صاحب الشريعة المحمدية ﷺ ، بل سنجد في بعض تلك الحكايا والقصص أنها راعية وحاضنة لذلك المجتمع الماجن وأنها قِبْلَتُهُ ومحل ممارساته اللاشرعية .

أسانيد أخبار المغنين:

(ولو نظرنا في الأسانيد التي رويت بها أخبار أشهر المغنين ممن ترجم لهم الأصفهاني ... لوجدنا كثيرًا منها قد روي بأسانيد منقطعة ، لم يعاصر

---

(١) إبراهيم : ٤٦ .

(٢) مجتمع الحجاز في العصر الأموي للدكتور عبدالله الخلف: ٤٧٨ .

رواتها أصحابها ، ولم يعايشوا الأحداث التي أخبروا عنها ، وهذا يدل على أن أكثرها من قبيل الحكايات الشائعة التي لا يُعلم مصدرها الأصلي الذي قد يكون رجلاً كذابًا نشرها بين الناس لغرض من الأغراض)[١] .

(١) مجتمع الحجاز في العصر الأموي ، للدكتور عبد الله الخلف: ٤٧٨.

١) استبدال الاسم :

مرّ عليك فيما سبق أن الوضاعين استغلوا المادة الأولية المعجمية للقب آمنة بنت الحسين عليها وهو سكينة ، وكيف أنهم ألصقوا بها الطرَّة السُّكَيْنِية وأنها هي التي ابتدعتها رغم ورود نصوص عن جدها النبي الأكرم ﷺ ينهى فيها عن تلك الطريقة من تصفيف الشعر قبل ولادتها .

والآن نقف معك على طريقة أخرى من طرق الوضع ألا وهي استبدال أسماء نسائهم باسم السيدة سكينة عليها ، وهذا الاستبدال المتعمَّد كان ميدانه ومسرحه مجالس اللهو والغناء والطرب .

الخبر:

فقد ورد في الأغاني : كانت سعدى بنت عبدالرحمن بن عوف جالسة في المسجد الحرام ، فرأت عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت ، فأرسلت إليه : إذا فرغت من طوافك فأتنا ، فأتاها ، فقالت : لا أراك - يا بن أبي ربيعة - إلا سادرًا في حرم الله ! أما تخاف الله ؟! ويحك ، إلى متى هذا السَّفه ؟ قال: أي هذه ، دعي عنك هذا القول ، أما سمِعْتِ ما قلتُ فيك ؟ قالت : لا ، فما قلت ؟ فأنشدها قوله :

قالتْ سُعَيْدَةُ والدُّموعُ ذَوَارِفٌ ... منها على الخدَّيْنِ والجِلْبَابِ
ليت المغيريَّ الذي لم أجْزِهِ ... فيما أطال تصيُّدِي وطِلابي
كانت تردّ لنا المُنَى أيامَنا ... إذ لا نُلامُ على هوىً وتَصابي
أسُعَيْدُ ما ماءُ الفراتِ وطِيْبُه ... مِنّي على ظمأ وحُبِّ شرابِ
بألذَّ مِنكِ وإن نأيْتِ وقلَّما ... يَرْعَى النساءُ أمانةَ الغُيَّابِ

عروضه من الكامل ، غنَّاه الهذلي رَملاً بالوسطى ، عن الهشاميّ ، وغنَّاه الغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو .

فقالت : أخزاك الله يا فاسق ، ما عَلِم الله أني قلتُ مما قلتَ حَرْفًا ، ولكنك إنسانٌ بَهُوت .

في تتمَّة الخبر الشروق :

وهذا الشعر تُغنّي فيه :

قالت سكينة والدموع ذوارفٌ

وفي موضع :

أسعيد ما ماء الفرات وبرده

أسكَيْنُ ، وإنما غيَّره المغنّون [1].

بين يديك نص يشير إلى استبدال للأسماء ، وأن المغنين استبدلوا سعيدة بسكينة في نصٍ قاله عمر بن أبي ربيعة ، وقد ارتبط هذا النص بحادثة وشخصية مذكورة ، كما أن النص لا يشير إلى أن سكينة هذه هي الهاشمية حفيدة المصطفى ﷺ، ولكن الواضح أن هناك استبدالاً متعمدًا تمّ زمن المغني الغريض(ت٩٥هـ) أي زمن السيدة سكينة عليها السلام، هذا الاستبدال ما لبث إلا فترة زمنية يسيرة حتى تحوّل إلى حقيقة تاريخية راح يردّدها الشرفاء والوضعاء .

هارون الرشيد وتأييد الفرية :

ورد بعد هذا الخبر أن المغني إسحاق قال : غنّيتُ الرشيد يومًا بقوله :

قالتْ سُكَيْنَةُ والدُّموعُ ذَوَارِفٌ ... منها على الخدَّيْنِ والجِلْبَابِ

فوضع القدح من يَده وغضب غضبًا شديدًا ، وقال ، لعنه الله الفاسق ولعنك معه ، فسُقِط في يدي ، وعَرفَ ما بي ، فسكن ، ثم قال : ويحك ! أتغنيني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بنت عمّي ، وبنت رسول الله ﷺ !

(١) الأغاني ١٧/١٦١-١٦٢ .

ألا تتحفّظ في غنائك وتدري ما يخرج من رأسك ؟! عُدْ إلى غنائك الآن ، وانظر بين يديك . فتركت هذا الصوت حتى أُنْسِيته ، فما سمعه مني أحد بعده . والله أعلم[١] .

هكذا استبدل المغنون اسم سعيدة بسكينة عمدًا ، وهكذا تناقله المغنون جيلاً بعد جيل حتى وصل هذا الغناء محرّفًا إلى هارون الرشيد مُتسالمًا على أنه في السيدة سكينة بنت الحسين ﷺ ،أو قل : هي محاولة لإثبات التهمة من قبل هارون الرشيد ، إذ كيف يُتغنّى بابنة عمّه فيغضب ، وما أن يهدأ هارون حتى يتمّ إسحاق مجلس الغناء دون عقاب ؟ ولكن بمثل هذه الحكايا أكمل الوضّاعون عناصر تلك الصورة المشوهة ، حيث وفّر هارون الرشيد مادة للقصاصين لإثبات الفرية وأن ذلك الشعر في السيدة سكينة ﷺ.

هذا الإصرار على استبدال الشخصيات بالسيدة سكينة ﷺ سيرافقنا في أكثر من موضع ، مما يدل على أيدٍ آثمة عابثة كانت تهدف للنيل من مقامها .

وهنا لابُد أن نشير إلى أن خبر استبدال الاسم ، وخبر الرشيد مع إسحاق قد وردا في الأغاني متعاقبين ، ومع ذلك يتمُّ نقل حادثتين متعارضتين دون تعليق أو تصحيح أو حتى إشارة ، فإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على تعمُّد إلصاق التهمة بالسيدة سكينة ﷺ ، خاصة إذا علمنا أن صاحب الأغاني كان يصحِّح ويستبعد كثيرًا من الأخبار التي كان ينقلها ، ولم يكتفِ بأن يكون ناقلاً للأخبار دون تعليق أو ترجيح .

---

(١) الأغاني ١٧/١٦٢ـ١٦٣.

٢) سَوْق حُنَيْن إلى مَنِيّته :

لعل استبدال أسماء نسائهم باسم السيدة سكينة عليها السلام على لسان المغنين أمر لا يقدح في تلك الشخصية الجليلة فلا يضر السحاب نبح الكلاب ، ولكن التاريخ وأهل الأدب ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فجعلوا من بيت النبوة ومهبط الوحي والتنزيل مسرحًا للفجور والفسوق ، حيث جعلوا من دار السيدة سكينة عليها السلام حفيدة المصطفى صلى الله عليه وآله محلاً ومقصدًا يهوي إليه طالبو اللهو والغناء . جناية تاريخية أعظم بها من جناية في حق الدين وصاحب الديانة صلى الله عليه وآله! ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾[1].

الخبر :

ورد في الأغاني بسنده ، قال : حدثنا عبيد بن حُنَين الحِيْرِيّ قال :

كان المغنون في عصر جدي أربعة نفر ؛ ثلاثة في الحجاز ، وهو وحده في العراق ، والذين في الحجاز : ابن سريج والغريض ومعبد ، فكان يبلغهم أن جدي حنَيْنًا قد غنَّى في هذا الشعر :

هلاّ بكَيْتَ على الشبابِ الذّاهبِ ... وكَفَفْتَ عن ذمِّ المشيبِ الآئبِ
هذا ورُبَّ مُسَوِّفِينَ سَقَيْتُهُمْ ... من خمر بابلَ لذّةٍ للشّارِبِ[2]
بَكَرُوا عَلَيَّ بسُحْرَةٍ فصَبَحْتُهم ... من ذات كُوبٍ مثل قَعْبِ الحالِبِ[3]
بزجاجةٍ مِلْءِ اليَدَيْنِ كأنّها ... قِنْدِيْلُ فِصْحٍ في كَنِيسة راهِبِ[4]

قال : فاجتمعوا وتذاكروا أمر جدي وقالوا : ما في الدنيا أهل صناعة

---

(١) مريم : ٩٠ .

(٢) المسوفون : الصابرون .

(٣) القعب : القدح الضخم ، وهو يروي الرجل وقد يروي الاثنين والثلاثة .

(٤) الفصح : عيد فطر النصارى إذا أفطروا وأكلوا اللحم .

شرٌّ منّا ، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز ، لا نزوره ولا نستزيره .

فكتبوا إليه ، ووجَّهوا إليه نفقة ، وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وأنت وحدك فأنت أولى بزيارتنا ، فشخص إليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقّونه ، فلم يُرَ يومٌ كان أكثر حشرًا ولا جمعًا من يومئذٍ ، ودخلوا ، فلما صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد : صيروا إليّ ، فقال له ابن سريج : إن كان لك من الشرف والمروءة ما لمولاتي سكينة بنت الحسين عطفنا إليك ، فقال : مالي من ذلك شيء ، وعدلوا إلى منزل سكينة .

فلما دخلوا إليها أذنت للناس إذنًا عامًّا فغصت بهم الدار وصعدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها ، ثم إنهم سألوا جدي حنينًا أن يغنيهم صوته الذي أوله :

هلاّ بكيت على الشباب الذّاهبِ

فغنَّاهم إياه بعد أن قال لهم : ابدأوا أنتم ، فقالوا : ماكنا لنتقدمك ولا نغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت ، فغناهم إيَّاه ، وكان من أحسن الناس صوتًا ، فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه ، فسقط الرِّواق على من تحته ، فسلموا جميعًا وأُخرجوا أصحَّاء ، ومات حنين تحت الهدم ، فقالت سكينة ﷺ : لقد كدّر علينا حُنين سرورنا ، انتظرناه مدةً طويلةً وكأنّا والله كُنا نسوقه إلى منيته[1] .

وفاة أبطال القصة قبل وقوعها :

لقد ساقته سكينة هذه إلى منيته ! فوا أسفاه ! فعلى حُنين فلتذرف الدموع،وليبكِ الباكون ، فقد تَكدَّر الحفل حين سقط ومات ولم يمت غيره :

---

(١) الأغاني ٢/٣٤٨ـ٣٤٩ .

ألا قاتلَ اللّهُ المنايا ورميَها ... من القومِ حبّاتِ القُلوبِ على عَمدِ
توَخّى حِمامُ الموتِ أوسَط صِبيتي ... فللهِ كيف اختارَ واسِطَةَ العِقدِ[1]

فإنا للّه وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم ! فقد اختار الموت الأعمى واسطة العقد وزينة الحفل وبهجتها ، وسكينة هذه هي التي ساقته إلى منيته، فمات في منزلها الذي حوّلته إلى مسرح للّهو والمجون، وما ذاك إلا لشرفها ومروءتها وحسن خلقها، فتلك المؤهلات جعلتها تستضيف تلك الشخصيات العظيمة والمرموقة لشرف حسب الشخصيات ونسبها ، وأيضًا لعملها ، فتلك الشخصيات تمثل أقطاب الأمة في الغناء!!!

وقد جمع هذا الحفل المبارك من السيدة سكينة عليها السلام ـ كما يزعم من خط التاريخ ـ وفي دارها كلاً من : ابن سريج المتوفى عام ٩٨هـ[2]، والغريض عبد الملك المتوفى في نحو ٩٥هـ[3]، ومعبد المتوفى عام ١٢٦هـ[4]، أما زمن الحادثة التي توفي فيها حنين فقد كان عام ١١٠هـ[5].

فإذا ما تأمّلنا زمن وفاة كل منهم وجدنا أن شخصيتين من الشخصيات الأربع قد جاورتا ربًا غفورًا رحيمًا ، شديد العقاب.

عمر السيدة سكينة عليها السلام زمن الخبر :

أمّا السيدة سكينة عليها السلام فبناءً على عام وفاتها (١١٧هـ) تكون زمن سوق حُنين إلى منيته قد شارفت السبعين من عمرها الشريف ، ومع ذلك لم

---

(١) من أبيات لابن الرومي يرثي ابنه الأوسط محمداً ، أعيان الشيعة ٢٥٢/٨.

(٢) الأعلام ، الزركلي ١٩٤/٤ .

(٣) الأعلام ، الزركلي ١٥٦/٤.

(٤) الأعلام ، الزركلي ٢٦٤/٧ .

(٥) الأعلام ، الزركلي ٢٨٨/٢ .

يتورَّع الوضاعون عن رميها بهتانًا وزورًا بمثل هذه الأكاذيب، فجعلوها في هذه السن مهوى المغنين ، بل جعلوها تدير اجتماعاتهم وتستقطبهم في بيت النبوة الذي تحوّل بقدرة الرواة إلى مسرح أدّى فيه الممثلون مشهدًا قصصيًا مبتذلاً مخالفًا للأعراف والعادات والتقاليد ، ذلك المشهد القصصي الذي يُكذِّبه الواقع التاريخي القائل بوفاة شخصيتين هما : ابن سريج والغريض قبل زمن وقوع الحادثة .

٣) إيغال في القصصية :

سنضع بين يديك نموذجًا وشاهدًا على النزعة القصصية التي من خلالها حاول كتَّاب التاريخ رسم صورة شوهاء للسيدة الجليلة سكينة بنت الحسين عليها السلام ، وسنقتطف من هذا النموذج ما يحافظ على تلك الصبغة القصصية الهزلية التي نُقِلت على لسان أشعب الطامع .

الخبر :

فقد ورد في الأغاني : كان ابن سريج قد أصابته الريح الخبيثة ، وآلى يمينًا ألاّ يغنِّي ، ونسك ولزم المسجد الحرام حتى عُوفي ، ثم خرج وفيه بقية من العلة . فأتى قبر النبي ﷺ وموضع مصلاه ، فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة ، فكان أهل الغناء يأتونه مُسلِّمين عليه ، فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة ، فأقام بالمدينة حولاً حتى لم يحسَّ من علته بشيء ، وأراد الشخوص إلى مكة .

وبلغ ذلك سكينة بنت الحسين ، فاغتَّمت غمًا شديدًا وضاق به ذرعها ، وكان أشعب يخدمها ، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره ، وقالت لأشعب: ويلك ! إن ابن سريج شاخص ، وقد دخل المدينة منذ حول ، ولم أسمع من غنائه قليلاً أو كثيرًا ؛ ويعزُّ ذلك عليّ ، فكيف الحيلة في الاستماع منه ؟ ... فقال لها أشعب : جعلت فداك ! وأنّى لك بذلك والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه ؟ ... فأمرت بعض جواريها فوطئن بطنه (أشعب) حتى كادت أن تخرج أمعاؤه ، وخنقته حتى كادت نفسه أن تتلف ، ثم أمرت به فسحب ... وندم أشعب ... فأتى منزل ابن سريج ليلاً فطرقه ... ودخل .... فهاله وراعه فقال له: ما هذا ويحك ؟ فقصَّ عليه القصة . فقال ابن سريج : إنا لله وإنا إليه راجعون ... قال أشعب : ... هل لك حيلة في أن تصير إليها وتغنِّيها ... فقال ابن سريج : كلا والله لا يكون ذلك أبدًا بعد

أن تركته ... فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تمَّ على الامتناع (دبّر له حيلة من حيل الشيطان وأهل الفجور نجلُّ القارىء عن ذكرها) فوقع ابن سريج فيما لا حيلة له فيه ، فقال : امضِ لا بارك الله فيك ... فدخلا إلى سكينة فقالت : يا عُبيد ، ما هذا الجفاء ؟... ثم قال لها ابن سريج : أتأذنين بأبي أنت ؟ فقالت : وأين ؟ قال : المنزل ، قالت : برئت من جدي إن برحت داري ثلاثًا ، وبرئت من جدي إن أنت لم تغنِّ إن خرجت من داري شهرًا ، وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهرًا إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشرًا ، وبرئت من جدي إن حنثت في يميني أو شفّعت فيك أحدًا ، فقال عبيد (ابن سريج) : واسُخنة عيناه واذهاب دنياه ! وافضيحتاه ! ثم اندفع يغني ... [(١)] .

والخبر طويل ، فيه تفصيل للأبيات والأصوات التي غُنّيت بعد أن انضمَّت المغنية عزة الميلاء لابن سريج بأمر من سكينة هذه ، فغنَّت ليلتين بصحبة ابن سريج ، وانفرد ابن سريج بالليلة الثالثة ، بعد أن نال كل منهم العطاء الجزيل .

فلتات الخبر وقسماته :

ومن خلال هذا النموذج نُؤكد على تجنيد التاريخ للقصص والحكايا والشخصيات العبثية في رسم صورة للسيدة العابدة سكينة بنت الحسين عليهما السلام أقلُّ ما يقال عنها أنها شخصية ماجنة .

هذه الصورة الشوهاء التي لم يُقصد فيها الإساءة إلى السيدة سكينة عليها السلام وحدها فحسب ، بل كانت تهدف للإساءة من نبي الأمة صلى الله عليه وآله ودعوته وتعاليمه ،وحسبك دليلاً على ذلك إصرار من كتب هذه القصص والحكايا ،على تكرار براءة السيدة سكينة عليها السلام من جدها المصطفى صلى الله عليه وآله

(١) الأغاني ١٧/٤٥-٥٣ .

إن لم يفعل ابن سريج التائب لله مايخالف الشريعة المحمدية ، فجاء على لسان التاريخ فيما مضى أنها قالت : برئت من جدي إن برحت داري ثلاثًا ، وبرئت من جدي إن أنت لم تغنِّ إن خرجت من داري شهرًا ، وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهرًا إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشرًا ، وبرئت من جدي إن حنثت في يميني أو شفعت فيك أحدًا.

الغناء في عائشة بنت طلحة :

أما إذا تابعنا الخبر الذي نقله أشعب فسنجد أحد تلك الأصوات التي غُنّيت :

يا رَبْعَ بِشْرَةَ بالجَنابِ تَكَلَّمِ ... وأَبِنْ لنا خَبَرًا ولا تَسْتَعْجِمِ [1]

ما لي رأيتُك بعد أهْلِكَ مُوحِشًا ... خَلَقاً كحوضِ الباقرِ المتهدِّمِ [2]

تسقِي الضّجيعَ إذا النجومُ تغوَّرَتْ ... طوع الضّجيعِ وغايةِ المتوسّمِ

قُبُّ البطونِ أوانِسٌ شِبْهُ الدُّمَى ... يَخْلِطْنَ ذاكَ بعِفَّةٍ وتَكرُّمِ [3]

الشعر للحارث بن خالد ، وبشرة التي ذكرها أمة كانت لعائشة بنت طلحة وكان الحارث يُكني عن ذِكْر عائشة بها وله فيها أشعار كثيرة[4].

وعائشة بنت طلحة (على ذمة التاريخ) هي ضرَّة السيدة سكينة عليها السلام في زوجها المزعوم مصعب بن الزبير ، فإذا كان الحال كذلك ، أفكان المغنون يغنّون لها ويتغنَّون بأشعار تُذكر فيها ضَرّتها فتطرب لذلك بل وتكافئهم على ذلك، فتدفع لابن سريج دملجًا كان في عضدها وزنه

---

(١) الجناب : بالفتح اسم موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام .

(٢) الخلق : البالي ، الباقر : اسم جمع للبقر .

(٣) قبّ الخصر أو البطن : دقّ وضمر .

(٤) الأغاني : ٥٣/١٧ .

أربعون مثقالاً[1] ؟! ولِمَنْ ؟ لِمَنْ يذكر ضرَّتها ! ولعل قائلاً يقول : كان ذلك قبل أن يجمع مصعب بين عائشة وسكينة فنجيب على هذا التساؤل في العنوان التالي .

(١) الأغاني ١٧/٤٩ .

٤) نوح أم غناء[١] ؟

قد يرد على مسامعك كثير من القصص والحكايا تكون البطولة فيها للسيدة سكينة عليها السلام وابن سريج والغريض ، كقصة المفاضلة بين هذين المغنيين وقولها : ما أشبّهكما إلاّ بالجَدْيَيْنِ الحار والبارد لا يُدرى أيهما أطيب[٢]، أو قولها في خبر آخر : ما أشبّهكما إلاّ باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يدرى أيهما أحسن ![٣]

قصص يُرفع عن كذبها الستّار إذا ما علمنا أن ابن سريج والغريض عبدالملك كانا نائحين على ذمة التاريخ ،وقد تحوّلا من النوح إلى الغناء، ويهمُّنا هنا تحديد زمن هذا التحوّل ، لأنه سيُجيب على كثير من التساؤلات، ويدفع كثيرًا من التهم والافتراءات بناء على زمن هذا التحول ومقارنته بزمن الأحداث .

وقد أورد صاحب الطامات في أغانيه : كان الغريض مملوكًا لسكينة يقال له عبدالملك ، بعثته لابن سريج وأمرته أن يعلّمه النياحة ، فلم يزل يعلّمه مدة طويلة، ثم توفي عمها أبو القاسم محمد بن الحنفية عليه السلام وكان ابن سريج عليلاً علة صعبة ، فلم يقدر على النياحة ، فقال لها عبدالملك : أنا أنوح لك نوحًا أنسيك به نوح ابن سريج ، قالت : أو تحسن ذاك ؟ فقال : نعم ، فأمرته فناح ، فكان نوحه في غاية الجودة ، وقال النساء : هذا نوح غريض فلقّب عبدالملك الغريض ، وأفاق ابن سريج من علته بعد أيام ، وعرف خبر وفاة ابن الحنفية ، فقال لهم : من ناح عليه ؟ قالوا : عبدالملك

---

(١) لعل أول من أشار إلى هذه الحقيقة السيد محمد علي الحلو في عقيلة قريش آمنة بنت الحسين : ٩٢.

(٢) العقد الفريد ٧/ ٢٩ .

(٣) الأغاني ٢/ ٣٥٩ .

غلام سكينة ، قال : فهل جوّز الناس نوحه ؟ قالوا : نعم ، وقدَّمه بعضهم عليك ، فحلف ابن سريج ألا ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوح وعدل إلى الغناء ... قال : ولما عدل ابن سريج عن النوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه، فكان لا يغني صوتًا إلا عارضه فيه [١].

كما ورد في الأغاني أيضًا أن ابن سريج كان نائحًا ولم يكن مذكورًا حتى ورد الخبر مكة بما فعله مسرف بن عقبة بالمدينة ، فعلا على أبي قبيس وناح بشعر هو اليوم داخل في أغانيه وهو :

يا عينُ جودي بالدّموعِ السِّفاحْ وابكي على قتلى قريش البطاح

فاستحسن الناس ذلك منه ، وكان أول ماندب به [٢] .

تحديد زمن التحوّل إلى الغناء :

لن نبحث في مصداقية هذه الأخبار ودلالاتها ، ويكفينا أن نستفيد من الخبر السابق تحديد زمن تحوّل ابن سريج والغريض من النّوح والعدول إلى الغناء ، فالخبر يشير إلى أن التحول والعدول مرتبط بحادثة وفاة محمد بن الحنفية أي عام ٨١ هـ بعد مقتل مصعب بن الزبير عام ٧٢ هـ ، وبالتالي نرفع الإشكال السابق ونجيب عن السؤال ونؤكد أن حادثة غناء الغريض لسكينة تلك بأبيات الحارث بن خالد التي يذكر فيها ضرَّتها عائشة كانت بعد أن جمع مصعب بن الزبير بين عائشة وسكينة وكل ذلك على ذمة التاريخ !

وقد سبق وأن ذكرنا في فصل ما بعد كربلاء تحت عنوان المدينة بعد الإمام الحسين عليه السلام أنّه قد روي أن السيدة سكينة عليها السلام بعثت لابن سريج بشعر أمرته أن يصوغ فيه لحنًا يناح به ، وهو الآن داخل في غنائه ،

---

(١) الأغاني ١/ ٢٥٠ .

(٢) الأغاني ١/ ١٤٩.

والشعر:

يا أرضُ ويْحَكِ أكرِمي أمْوَاتي فلقدْ ظفِرتِ بسادتي وحُمَاتي [١]

وأن عبدالملك كان ينوح في المآتم وتضرب دونه الحجب ثم ينوح فيفتن كل من سمعه [٢].

الخلاصة :

نعم كانت سيدتي ومولاتي السيدة سكينة عليها السلام في نياحة دائمة بعد كربلاء ، إذ هي ضمن الإطار الاجتماعي الهاشمي الذي خيّم عليه الحزن بعد فاجعة كربلاء ، وكانت تتعبَّد ـ وهي العابدة المستغرقة ـ كما يتعبَّد الشيعة اليوم بالبكاء على والدها الإمام الحسين عليه السلام من بعد فاجعة كربلاء حتى بلوغها الأربعين من عمرها الشريف زمن وفاة عمها محمد بن الحنفية ، ولا أعلم كيف تحوَّلت بعد هذا العمر إلى الغناء كما تحوّل ابن سريج والغريض ؟ أم أن هناك نفوسًا لم يطب رقادها مع هذا النوح ؟

استغل الوضاعون هذا النوح والبكاء فحوّلوه إلى غناء ، فجعلوا النوح فرعًا من فروع الغناء ، بل إنهم لم يجوِّزوا النوح لا لذاته ، وإنما نكاية في مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي اصطبغ بتلك البكائية المندوبة والمستحبة ، وعلى ذلك قام الدليل الشرعي ، كما أن المتتبِّع التاريخي للنوح سيجده تقليدًا اجتماعيًا عرفته العرب قبل الإسلام واستمر بعد ذلك ،ولم ينكره المتشرعة من جميع الفرق الإسلامية إلاّ في زمن متأخر ، وأدلة ذلك ونماذجه التاريخية تطلب من الكتب التي عُنِيت بتاريخ النياحة .

---

(١) الأغاني ١/١٤٩.

(٢) الأغاني ٢/٣٥٤ .

الطعنة على الطعنة :

لم يكتف من خطَّ التاريخ بتحويل النوح إلى الغناء ، وقد كان نصب أعينهم الأخبار التاريخية والروائية الدالة على الحالة الهاشمية التي رفضت فيها النساء التحلي بمظاهر الزينة بعد فاجعة كربلاء إلى أن قتل عبيدالله بن زياد[١]. فأوردوا نصًا يخالف تلك النصوص ، حيث ورد في الأغاني : بعثت سكينة بنت الحسين عليها السلام إلى حبيش بن دُلْجة بغالية لأنه كان من أخوالها فلما وصلت إليه قال : فأين كانت عن الصَّياح ؟ يقدر أن الصياح أرفع من الغالية[٢].

وحبيش هذا من رؤساء جيش معاوية في حرب صفين[٣] ، قتل في الليلة التي قتل فيها عبيدالله بن زياد[٤]، فتأملْ .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢٥٩/٢ ، كامل الزيارات لابن قولويه : ١٦٧ ، ذوب النضار لابن نما الحلي: ١٤٤ .

(٢) الأغاني ١٥٢/١٦ ، والغالية والصيّاح ضربان من العطر .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط : ١٤٧ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٥٤/٧ .

الشعر والشعراء

الفصل الأول :

أ) رواج الشعر

ب) مفهوم الشعر

ج) المرأة والشعر

د) رأي أهل الأدب في الأخبار الأدبية المزعومة للسيدة سكينة عليها السلام

الشعر والشعراء (الفصل الأول)

أ) رواج الشعر :

راجت بضاعة الشعر في العصر الذي عاشته السيدة سكينة عليها السلام لأسباب اجتماعية وسياسية ، فبرز في تلك الفترة التاريخية أعلام الشعر في العصر الأموي أمثال : عمر بن أبي ربيعة وجميل وكُثير وجرير والفرزدق والأحوص ونصيب ... وقد مثّلت هذه الأسماء اتجاهات شعرية بما نظمته ، وانتماءات سياسية بما أملَت عليهم القبلية .

سمات شعرية :

إن المتتبِّع لسمات هذا العصر يجد أن القبلية في الشعر حاضرة ، والنّزعة الجاهلية موجودة ، رغم الدّور البارز للإسلام في تهذيب المجتمع والشعر ، حيث وجدنا في هذه الفترة من يفتخر بالإسلام والتمسُّك بمبادئه ، كما وجدنا هجاء للمبتعدين عن تلك المبادئ ، لكن هذا الصوت الشعري كان خافتًا خجلاً خاصة في أوائل الدولة الأموية وهي الفترة التي عاشتها السيدة سكينة عليها السلام ، وأمّا الصوت القبلي والنعرة الجاهلية فقد ظلت طاغية ، حيث الفخر بأيام العرب ووقائعهم ، وأوضح شاهد على ذلك شعر النّقائض بين جرير والفرزدق وما حمله من سِمَة جاهلية .

ب) مفهوم الشعر :

لم تكن العرب تقصد بالشعر الكلام الموزون المُقفّى فقط ، وإلا لعدّت بعض آيات القرآن الكريم الموزونة المقفاة من الشعر، بل ذهب بعضهم إلى أن الرّجز ليس بشعر [(١)].

كما ورد في الأغاني : (كانت العرب تُقرُّ لقريش بالتّقدُّم في كل شيء عليها إلا الشعر ، فإنها كانت لا تُقرّ لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة، فأقرّت لها الشعراء بالشعر أيضًا ولم تنازعها شيئًا) [(٢)].

لم تكن قريش قبل عمر بن أبي ربيعة فقيرة من الشعراء القادرين على إقامة الوزن ، كما أنهم لم يعدموا البيان والفصاحة وقد اشتهروا بهم ، فَلِمَ لم يُقرَّ لها بالشعر إلا مع بزوغ نجم عمر بن أبي ربيعة ؟ ومالذي يميِّزه عن سابقيه من شعراء قريش ؟

إن الكلام الموزون المقفى لا يعدُّ شعرًا إذا خلا من الصورة الشعرية ، وتَزْيين المعاني بالتخيلات الشعرية المرغّبة والمنفّرة الكاذبة ، والتي كلما أمعن فيها الشاعر كان الكلام أوقع في النفس ، لذا قالت العرب : أعذب الشعر أكذبه .

بناء القصيدة :

إذا ما استقصينا بناء القصيدة الجاهلية حتى عصر النبي ﷺ، وجدنا ذلك البناء المُقسّم للطّللية والتّشبيب والغزل والفخر والهجاء ، لذا لم تَعْرِف العرب ولم تَعْتَرف لشاعر لم ينهج هذا البناء في شعره حتى جاء العصر الأموي ، فلم يكن يُعدّ من ينظم الأبيات المعدودة خارج ذلك البناء الفني

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١١٨/١٢ ، وهو مذهب الأخفش والخليل .

(٢) الأغاني ٨٣/١ .

التقليدي من الشعراء .

التنزه عن قول الشعر :

إذا سلّطنا الضوء على جنبة أخرى وهي التلازم بين الشعر والإنشاد والغناء في تلك الفترة التاريخية استطعنا معرفة أسباب العلاقة المتشنجة بين الإسلام والشعر.

ولذا نزّه الله سبحانه وتعالى رسوله المصطفى ﷺ في معرض الرّد على من قال بأن القرآن شعر ، وأن النبي ﷺ شاعر بقوله جل جلاله ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾[١].

(وبه يظهر أن قوله : ﴿ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ في مقام الامتنان عليه بأنه نزهه عن أن يقول شعرًا ، فالجملة في مقام دفع الدخل ، والمحصَّل أن عدم تعليمنا إياه الشعر ليس يوجب نقصًا فيه ، ولا أنه تعجيز له ، بل لرفع درجته وتنزيه ساحته عما يتعاوره العارف بصناعة الشعر ، فيقع في معرض تزيين المعاني بالتخيلات الشعرية الكاذبة التي كلما أمعن فيها كان الكلام أوقع في النفس ، وتنظيم الكلام بأوزان موسيقية ليكون أوقع في السمع)[٢].

وبذلك وأمثاله يمكن فهم ما ورد من ردّ للسيدة زينب عليها السلام حينما خاطبها ابن زياد بعد خطبتها في الكوفة بقوله : كان أبوك خطيبًا شاعرًا ، فقالت : ما للنساء والشعر[٣].

---

(١) يس : ٦٩ .

(٢) الميزان ١٧/١٠٨.

(٣) الكامل للمبرد م٢/١١٨٦.

إن من الشعر لحكمة :

في مقابل ذلك نجد نصوصًا كثيرة مُرَغّبة تحثُّ على الشعر ، فمما روي عن النبي ﷺ قوله : (إن من الشعر لحكمة) [١]، كما روي عنه ﷺ قوله في هجاء شعراء الإسلام لمشركي قريش : (فوالذي نفسي بيده لكأنما ينضحونهم بالنبل)[٢]. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : (يا معشر الشيعة علّموا أولادكم شعر العبدي ، فإنه على دين الله) [٣]. وقد ذكر ابن رشيق أنه ليس من بني عبدالمطلب رجالاً ونساءً من لم يقل الشعر حاشا النبي ﷺ[٤].

القول الفصل :

لعل كل ما سبق محاولة تنظيرية أسهب فيها المتقدمون والمتأخرون لفهم العلاقة بين الشعر والإسلام لكن القول الفصل جاء في سورة الشعراء حيث يقول جل جلاله : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[٥].

إنّ أحد مصاديق الآية هم الشعراء بمعناهم المتعارف والمشهور، وقد قسّمتهم الآية لقسمين : قسم منهم ﴿ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ والقسم الآخر ﴿ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ وبناءً على هذا التقسيم فالإسلام ناظر للهدف والغرض من الشعر .

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣٧٩/٤ ، سنن ابن ماجة ١٢٣٥/٢ .

(٢) المجازات النبوية للشريف الرضي : ١٦٥.

(٣) شرح أصول الكافي ، للمازندراني ٢٨٧/١٢ .

(٤) العمدة : ٢٦ .

(٥) الشعراء : ٢٢٤ـ٢٢٧ .

فمما روي أن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أفاضوا في الشعراء وهم على مائدة الإفطار في شهر رمضان ، فلما فرغوا خطبهم وقال في خطبته : (اعلموا أن ملاك أمركم الدين ، وعصمتكم التقوى، وزينتكم الأدب، وحصون أعراضكم الحلم)[١].

وفي هذا المعنى يقول عبدالقادر الجرجاني صاحب دلائل الإعجاز : (ثم علينا أن ننظر إلى الغرض الذي له روي الشعر ، فروايته ليس فيها عيب ما لم يكن فيه انتصار لباطل أو إساءة لمسلم)[٢] .

---

(١) بحار الأنوار ٣٤٦/٣٤ .

(٢) نقلاً عن الأدب الإسلامي وتاريخه في عصوره ، صدر الإسلام ، للدكتور عابد توفيق : ٢٩/١.

ج) المرأة والشعر :

إن المتتبِّع للعصر الأموي الأدبي وأسماء الشعراء الغزليين يجد أن غالبية الشعر الأموي في عصر السيدة سكينة عليها السلام ينصبُّ في قالب لا يرتضيه الإسلام ، فإذا ما رجعت لتراجم الشعراء الذين ذُكروا وجدت ما يَخْدُش جُلّهم ، كما أنك إن تتبَّعت ما يفترونه على السيدة سكينة عليها السلام فستجده ينصبُّ في قالب واحد وهو الغزل ، فإذا أمعنت النظر وجدته غزلاً فاحشًا ، ثم وجدت امرأة هاشمية محمدية علوية فاطمية حسينية بين تلك الشعراء وبين تلك الأبيات المسرفة في الغزل والفحش والمجون ، فهل كانت المرأة في ذلك العصر منفتحة على الشعراء والشعر بحيث تُقِرّها القيم والأعراف الاجتماعية دون تحفُّظ ؟

النصوص الشعرية والأعراف لا تسعف القائلين بالانفتاح :

لقد أسرفت كتب مصادر الأدب والشعر في تلك الفترة التاريخية حين صوّرت المرأة تصويرًا قرّبها من الانحلال والمجون ، حتى انطبعت هذه الصورة في الذهنية العربية ، فوسمت بها المرأة الأموية زمن السيدة سكينة عليها السلام وساقوا لذلك مجموعة من القصص والحكايا داعمين تلك القصص بمجموعة من الأبيات الشعرية .

وقد تتبع الدكتور عبدالله الخلف النصوص الأدبية الشعرية بعيدًا عن تلك القصص المنسوجة ليخرج لنا وعلى لسان الشعراء أن المرأة كانت مصونة محتجبة بعيدة عن أعين الشعراء فضلاً عن أن تنادمهم وتجالسهم[1] . فقد كانت المرأة توصف على لسان شعراء ذلك العصر بالحياء والخفر ،

---

(١) مجتمع الحجاز في العصر الأموي ، تحت عنوان المرأة في الشعر الحجازي : ٣٤١ ، وقد ذكرنا بعض استدلالاته دون ذكر الأبيات مخافة الإطالة .

وأنها تستر وجهها ، فهي تُرى على حين غفلة منها ، ثم تتنبَّه إلى ذلك وتُسارع إلى الاستتار ، وأنها تشرف على الشعراء من بعد مخافة المجتمع ، كما أنها لا تبدي لشاعر إلا البنان والمعصم إن كانت عاشقة مريدة ، ولا يزورها إلا ليلاً بعد أن يتخطَّى الحرس والأعين ، وفي ذلك المجتمع الذي كان فيه لقاء الرجل بالمرأة محصورًا في أضيق نطاق وجدنا من يستغل مواسم الحج ليتغزَّل بالنساء ...

فإذا كان ذلك حال المرأة في العصر الذي عاشته السيدة سكينة عليها السلام فهل كانت السيدة الجليلة سليلة النبوة والإمامة خارجة عن ذلك الإطار الاجتماعي ؟ بحيث تكون بين الشعراء يتغزَّلون بها وتقدِّم لهم آراءها النقدية فيما ينظمون ، وتفاضل بينهم بحيث توصف بأنها ناقدة أدبية!

د) رأي أهل الأدب في الأخبار الأدبية المزعومة للسيدة سكينة عليها السلام :

يشير المستشرق الفرنسي بلاشير إلى أن هناك محاولة لإبراز ملامح متحررة للسيدة سكينة عليها السلام من مصدر معادٍ للشيعة يعلّل لنا الملامح المجونية تقريبًا والمنسوبة إلى سكينة [١]. ويذكر في موضع آخر أنها أصبحت هدفًا لتعريض المؤرّخين السيئ النية ، الأتقياء منهم أو المعادين لأبناء علي[٢] . كما يسجّل ارتيابه تجاه تلك الحكايا ، ويشير إلى أن مردّها لجهد الأخباريين العراقيين في التّخيُّل ، وهكذا تخيَّلوا في البصرة أو بغداد في أواخر القرن الثالث الهجري الثامن الميلادي دور سكينة بوصفها وصية على حركة تؤمن بنظرية الفن للفن [٣].

أما الدكتور شوقي ضيف فيُفرّق بين أن يكون المجتمع حُرًّا وأن يكون ماجنًا ، ويقرُّ بأن المرأة نالت شيئًا من الحرية في تلك الفترة إلا أن الرّواة وسّعوا الصورة ، وكادوا يجعلونها عبثًا خالصًا ، وفرق بين العبث والحُرّية لذلك كنّا نجد نساء فضليات كالسيدة سكينة بنت الحسين تشوَّش صورتها في الأغاني [٤].

أما بنت الشاطئ فتستنكر أن يكون المجتمع الإسلامي ترك عمر بن أبي ربيعة يُشهّر بشريفات بني هاشم وعقائل قريش وبنات الأئمة والخلفاء عن غير خصومة حزبية ، وأن يبيح له أن يجعل من بيوتهن ، بل من مخادعهن مجالاً لمغامراته ، ثم يطرب المجتمع إذ يسمع المغنين والمغنيات

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير: ٧٩٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير: ٧٩٨ .

(٣) تاريخ الأدب العربي (هامش) ، بلاشير : ٧٩٩ .

(٤) التطور والتجديد في الشعر الأموي ، الدكتور شوقي ضيف : ٢٢٣ .

يشدون بهذا الغزل الماجن[١] .

بعد الشك والرفض إقرار :

لعل فيما ذكرناه مما خطّته أقلام المختصين في الأدب كفاية لدرء ما وسمت به السيدة سكينة عليها السلام من كونها ناقدة أدبية ، لولا أن أهل الاختصاص ـ ورغم ارتيابهم وشكوكهم فيما تناقلته مصادر الأدب ـ ما لبثوا أن أقرُّوا تلك التهمة لكثرتها وشيوعها .

فالمستشرق الفرنسي بلاشير ـ رغم ما يسجله من ارتياب وعدم قبول لتلك الروح المجونية ـ يقول بعد ذلك : يحقُّ لنا أن نعتبر أن هذه السيدة احتلّت مكاناً من الدرجة الأولى في الحركة الشعرية الحجازية[٢] . وأما بنت الشاطئ فتذكر : أنّ عصر السيدة قد أقرّ لها في مجال النقد الأدبي ، حين فرضت عليه شخصيتها الفريدة ، وبهرته بذوقها الفني الأصيل الذي هيّأ لها أن تكون ذات بَصَرٍ دقيق بفنِّ القول ، وفقه لأسرار العربية في الأداء[٣] .

لذا كان لزامًا أن نستقصي كُل ما وقع بين أيدينا مما أثير حول السيدة سكينة عليها السلام فيما يتعلّق بالشعر والشعراء ،لنقف على حقيقة علاقتها بالشعراء ،وهل كانت فعلاً ناقدة أدبية ؟ وقد عنونّا مواضيع هذا البحث باسم الشعراء ، وختمناه بخبر اجتماع الشعراء عند المسمّاة سكينة.

---

(١) سكينة بنت الحسين للدكتورة عائشة عبدالرحمن : ١٩٨.

(٢) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير : ٨٠٠ .

(٣) سكينة بنت الحسين لدكتورة عائشة عبدالرحمن : ٢١٨.

الشعر والشعراء

الفصل الثاني : شعراء ومواقف مزعومة

عمر بن أبي ربيعة :

أ) قالها كذبًا عليها ب) حديث الصَّوْرَيْنِ ج) من هي سكينة؟ د) وقفة تأملية

الأحوص :

أ) المفاخرة ب) خاخ ج) عقيلة د) وقفة تأملية

الفرزدق :

أ) تفضيل الشعراء ب) تفضيل جرير ج) وقفة تأملية

كثير عزة :

أ) عليّ إثمها ب) المنْدَل الرَّطب ج) وقفة تأملية

عروة بن أذينة :

أ) أيُّ العيش ب) أبثثتها سرِّي ج) وقفة تأملية

العرجي :

أ) جهدت أحشاؤهنّ ب) لمن الأبيات ؟ ج) وقفة تأملية

الفصل الثاني : شعراء ومواقف مزعومة

عمر بن أبي ربيعة :

يُعدُّ عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزليين في الأدب العربي كله [1]، حيث صرف شعره لهذا الغرض فتناوله بفحش ومجون ، متعرِّضًا فيه لنساء قريش واصفًا لأجسادهن هاتكًا في شعره لأعراضهن ، غير متورِّع عن استغلال مواسم الحج وفي المشاعر للتّعريض بهن في أبياته ، لذا رفض مجتمعه رواية شعره ، فقد وجدوا فيه خطرًا على قيمهم وأخلاقهم، فعن الزبير بن بكار قال : حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب ، قالت : مررت بجدِّك عبدالله بن مصعب وأنا داخلة منزله وهو بفنائه ومعي دفتر ، فقال : ما هذا معك ؟ ودعاني فجئته ، وقلت : شعر عمر بن أبي ربيعة ، فقال : ويحك ! تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة ! إن لشعرِه لَمَوْقعًا في القلوب ومَدْخلاً لطيفًا ، لو كان شِعر يسحر لكان هو ، فارجعي به . قالت : ففعلت [2].

يقولون ما لا يفعلون :

لعل كل من درس سيرته ونظر في أشعاره وقف مرتابًا من أسماء القرشيات وعددهن وطريقة تواصله معهن . فقد (اضطرب الرواة في أخبار حياته إذ أخذت شكل قصص يدور حول مغازلاته للمرأة المكية وبعض نساء المدينة ونساء العرب الحَوَاجّ ، ولا يرتاب من يقرأ الأغاني وأخبار عمر فيه أنه أصبح شخصية خيالية ينسج حولها الرُّواة الأقاصيص... فلم يكن مجتمع مكة ماجنًا كل هذا المجون الذي يقصُّه الرواة عن المرأة المكية)[3]، (ونحن نميل إلى القول بأن معظم الأسماء التي وردت في غزل

---

(١) من تاريخ الأدب العربي للدكتور طه حسين ١/ ٥٩٣ .

(٢) الأغاني ١/ ٨٧ .

(٣) التطور والتجديد في الشعر الأموي : ٢٢١.

الشعراء لا حقيقة لها ، وأنها مجرد أسماء خيالية ، ونميل إلى القول بأن معظم ما ذكره الرواة في تفسير تلك الأسماء إنما هو من اختراعاتهم وأكاذيبهم ، ولو أن تلك الأخبار وردت إلينا بطرق سليمة وأسانيد ثابتة لكنا ملزمين بقبولها)[١].

ويُشير المستشرق الفرنسي بلاشير إلى أن الترجمة المطولة التي خصّصها صاحب الأغاني لعمر بن أبي ربيعة أفسحت مجالاً واسعًا للنادرة والحكاية الممتعة أكثر منها التاريخية ، المستوحاة من سيرة عمر الغرامية ، ونجد فيها قليلاً من نقاط الاستدلال لتحديد الشاعر في الزمان والمكان[٢] . كما يُشير بلاشير إلى أن الزبير بن بكار ترجم لعمر بن أبي ربيعة بترجمة ذات شكل روائي ظهر فيها عمر زير نساء ، وليس بطلاً عذريًا كما كان جميل بن مَعْمَر الأسطورة ، وقد ساهم هذا الأدب بشكل واسع في بقاء آثار عمر الشعرية ، وفي تضخيمها بالمحاكاة[٣].

ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر فيقول : إن الأخبار المتعلقة بغراميات الغزليين الحجازيين تحمل دومًا ـ تقريبًا ـ طابعًا مُرَوّى (ذا شكل روائي) وتنمُّ عن الطابع المشار إليه في كل لحظة مغامرات عمر بن أبي ربيعة مع سيدات مشهورات[٤].

بعد هذا العرض نُشير إلى أن مصادر الأدب جعلت من السيدة سكينة عليها السلام ضمن النساء اللاتي تغزل بهن عمر بن أبي ربيعة ، بل وأشارت تلك المصادر الأدبية لوجود علاقة ما تربط السيدة سكينة عليها السلام بشاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة . وسنتناول تلك العلاقة التي أثارها صاحب الأغاني

(١) مجتمع الحجاز في العصر الأموي : ٣٧٩ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير : ٧٤٧ .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير: ٧٥١

(٤) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير: ٧٩٧

تحت ثلاثة عناوين :

أ) قالها كذبًا عليها .

ب) حديث الصَّورَيْنِ .

ج) من هي سكينة صاحبة عمر بن أبي ربيعة ؟ ثم نختم بوقفة تأملية .

أ) قالها كذبًا عليها :

من أقدم النصوص التي بين أيدينا والتي تذكر سكينة وعمر بن أبي ربيعة ما ورد في كتاب مختص في عصره وهو الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ) وقد ذكر أنها سكينة ، ولم ينص على من تكون سكينة هذه؟ كما أنه متقدِّم زمنيًا على صاحب الفرية الأغاني (ت٣٥٦هـ) إذ يقول ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء: وكان يشبِّب بسكينة وفيها يقول كذبًا عليها :

قالت سُكينةُ والدُّموعُ ذَوارِفٌ ... مِنها على الخدَّينِ والجِلْبابِ
ليت المغيريَّ الذي لم نَجْزِهِ ... فيما أطالَ تَصيُّدي وطِلابِي
كانت تَرُدُّ لنا الْمُنى أيَّامَهُ ... إذ لا يُلامُ على هوىً وتَصابي
خُبِّرْتُ ما قالتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا ... يُرْمَى الحَشَا بنَوافِذِ النُّشَّابِ
أَسُكَيْنُ مَا مَاءُ الفُراتِ وطِيبُهُ ... مِنَّا على ظمَأ وحُبِّ شَرَابِ
بألَذَّ منْكِ وإنْ نَأيْتِ وقَلَّمَا ... تَرْعَى النِّسَاءُ أمَانَةَ الغُيَّابِ(١)

وقد تبع ابن قتيبة صاحب كتاب زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو إسحاق الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ) فذكر أن عمر بن أبي ربيعة قال الأبيات السابقة كذبًا على السيدة سكينة عليها السلام ، وزاد على الأبيات السابقة أربعة

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٣٤٩ .

أبيات[١]، وتذكر بنت الشاطئ أن القالي المعاصر للأصفهاني قال : كَذب من روى هذا الشعر في سكينة عليها السلام [٢].

كما إنك إن رجعت لكتاب محمد بن سلام الجمحي (١٣٩-٢٣١هـ) طبقات فحول الشعراء، فلن تجد للسيدة سكينة عليها السلام في حياة عمر بن أبي ربيعة أيَّ ذكر ، وكتاب الطبقات مختص في فنِّه ويُعرف من عنوانه ، وقد تناول أخبار الشعراء ولم يُشر من قريب أو من بعيد لتلك العلاقة، أو لنقل على أقل تقدير : تجاهل كل ما ذُكر بعده من علاقة لحفيدة المصطفى صلى الله عليه وآله بشاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة.

آراء المتأخرين :

كانت تلك جملة من آراء المتقدمين في علاقة عمر بن أبي ربيعة بالسيدة سكينة عليها السلام ، والمتقدمة زمنيًا على بداية ادعاء هذه الفرية على يدي صاحب الأغاني ، وأما المتأخرون فقد رفض كثير منهم العلاقات الغرامية لعمر بن أبي ربيعة ، الواردة في شعره ، والمنافية لقيم ذلك العصر ، والمبتعدة عن الصورة الحقيقية لذلك المجتمع المحافظ ، وقد أشرنا لبعض تلك الآراء، ونضيف هنا النزر القليل مما ورد في هذا الباب مما جادت به أقلام ذوي الاختصاص .

يذكر الدكتور عمر فروخ : أن الشعراء المغامرين قد تعرَّضوا دائمًا للحرائر، وقالوا فيهن التشبيب والنسيب وبهتوهن فقالوا عليهن غير الحق[٣].

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٩٣/١ ، وقد حققه زكي مبارك ، ورغم النص الذي بين يديه إلا أنه أقرَّ وتخبَّط في التدليل لعلاقة آثمة بين السيدة وعمر بن أبي ربيعة في كتابه حب عمر بن أبي ربيعة ، ولعله حقَّقه بعد فراغه من كتابه .

(٢) سكينة بنت الحسين ، بنت الشاطئ : ١٦٨.

(٣) عمر بن أبي ربيعة المخزومي وفصل في تطور الغزل والنسيب في الشعر العربي، عمر فروخ : ٥١

أما بروكلمان فيقول : لا شك أن أكثرها صدر عن تجارب حقيقية وأضاف القصص أشياء لها[١] .

ويشير الدكتور عبدالله الخلف إلى الغزل الكيدي ثم يقول : إن وجود هذا الأسلوب الذي كان يستخدمه بعض الشعراء لمضايقة خصومهم وإساءة سمعتهم ، ونشر قالة السوء عن نسائهم يدل بوضوح على أن الغزل بامرأة كان إساءة واضحة إليها وإلى ذويها [٢]. ويؤكد طه حسين على صعوبة التمييز بين الغزل الحقيقي والغزل الهجائي في تلك الفترة الزمنية [٣]. كما يُشير بلاشير لصعوبة التمييز بين ما هو واقعي وبين المغامرة المروّاة (ذات الشكل الروائي) ويرمي باللائمة على الرّواة والأخباريين ،. ثم يُضيف : أنه يُعزى لسكينة بنت الحسين حفيدة علي بن أبي طالب اهتمامات بعمر، ولكن الأهواء قد أشرفت على تحرير هذه الحكايات [٤].

قد يكون فيما ذكرناه إشارة للّبيب فيكتفي من ذلك ويصرف النظر عن تلك الأخبار المسرفة في الإساءة لحفيدة النبي ﷺ ، ولعل عماد ما يُذكر من علاقة خطتها يد آثمة للسيدة سكينة ﵂ مع عمر بن أبي ربيعة خبر تناقلته مصادر الأدب يُعرف بحديث الصَّوْرَيْنِ .

ب) حديث الصَّوْرَيْن :

اختلاف الخبر :

ورد الخبر في الأغاني بأكثر من صورة فتارة ذكر فيه سكينة دون الإشارة لمن تكون سكينة هذه ؟ وأخرى تمت نسبة الخبر للسيدة سكينة

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ٢١٨/١.

(٢) مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية : ٤٠٣ .

(٣) من تاريخ الأدب العربي ، طه حسين ٥٥٥/١ .

(٤) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير : ٧٤٩ .

بنت الحسين عليهما السلام ومع اختلاف الخبر اختلفت الأبيات الواردة فيه ، وقد اتفقت الصور في الشخصيات الواردة في الخبر وهي : السيدة سكينة عليها السلام وعمر بن أبي ربيعة والمغني عبدالملك الملقّب بالغريض .

الخبر :

وهنا نورد لك أحدى صور الخبر حيث ورد في كتاب الأغاني بسنده :

اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجالسه وحديثه ، وتشوَّقن إليه وتمنَّينه ، فقالت سكينة : أنا لكنّ به ، فبعثت إليه رسولاً وواعدته الصَّوْرَيْنِ [1] لليلة سمّتها ، فوافاها على رواحله ومعه الغريض ، فحدَّثهن حتى وافى الفجر وحان انصرافُهنّ ، فقال لهنّ : إني والله لمشتاق إلى زيارة قبر النبي ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخْلِطُ بزيارتكنّ شيئًا ، ثم انصرف إلى مكة وقال :

أَلِمْ بزينبَ إن البَيْنَ قد أفِدَا　　　قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرّحيلُ غَدَا

قال : وانصرف عمر بالغريض معه ، فلما كان بمكة قال عمر : يا غريض ، إني أريد أن أخبرك بشيء يتعجّل لك نفْعُهُ ويبقى لك ذكره ، فهل لك فيه ؟ قال : افعل من ذلك ما شئتَ وما أنت أهله ،قال : إني قد قلتُ في هذه الليلة التي كنّا فيها شعرًا ، فامض به إلى النسوة فأنْشدهُنَّ ذلك وأخبرهُنَّ أني وجَّهتُ بك فيه قاصدًا ، قال : نعم .

فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة فقصد سكينة وقال لها : جعلت فداك ياسيدتي ومولاتي، إن أبا الخطّاب ـ أبقاه الله ـ وجّهني إليك قاصدًا ، قالت : أوليس في خيرٍ وسرور تركتَهُ ؟ قال : نعم ، قالت : وفيمَ وجّهك أبو الخطّاب حفظه الله ؟ قال : جعلت فداك ، إن ابن أبي ربيعة حمّلني شعرًا وأمرني أن أنشدك إيّاه، قالت : فهاته ، قال : فأنشدها :

---

(١) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع ، معجم البلدان ٤٣٢/٣ .

أَلِمَّ بزينبَ إن البَيْنَ قَد أفِدَا قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرّحيلُ غَدَا

الشعر كله ، فقالت : فيا ويْحَه ! فما كان عليه ألاّ يرحل في غده ! فوجّهت إلى النسوة فجَمعتْهنَّ وأنشدتهن الشعر ، وقالت للغريض : هل عملت فيه شيئًا ؟ قال : قد غَنَّيْتُهُ ابن أبي ربيعة ، قالت : فهاته ، فغنَّاها الغريض ، فقالت سكينة : أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعة ، لولا أنّك سَبقْتَ فغنَّيته عمر قبلنا لأحسنا جائزتك ، يا بُنانة ، أعطيه بكل بيت ألف درهم، فأخرجت إليه بُنانة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه ، وقالت سكينة: لو زادنا عمر لزدناك [(١)].

قصة لتفسير الأبيات :

من الواضح لكل من تتبّع سيرة ذلك المجتمع المحافظ أن الخبر موضوع بأيدي القصاصين ، فأنّى لنساء ذلك العصر أن يجلسنَ مثل هذا المجلس فيجتمعنَ خارج دورهنّ بعيدًا عن أعين بعولتهنّ وأهلهنّ حتى خروج الفجر ؟ (ولعل هذه القصة قد ذكرت تفسيرًا لقصيدة) [(٢)] وهو منهج عرفه أهل الأدب ، وشواهده وأمثلته أكثر من أن تُحصى .

وإن تعجب فاعجب لدخول النبي ﷺ في الخبر ، إذ جاء على لسان ابن أبي ربيعة : (إني والله لمشتاق إلى زيارة قبر النبي ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخْلِطُ بزيارتكنّ شيئًا) .

إذ طالما تكرر دخول النبي ﷺ في المفتريات على السيدة سكينة عليها السلام مما يُدلل على محاولة استنقاص أهل البيت عليهم السلام بل استنقاص قدر المصطفى ﷺ ، ولا أعلم أكانت تلك الأيدي التي خطّت مثل هذه الأخبار تدين بالشهادة الثانية أم لا ؟

---

(١) الأغاني ٢/٣٦٩ـ٣٧٠ .

(٢) مجتمع الحجاز في العصر الأموي : ٣٤١ .

الرفض التاريخي للخبر :

ومع هذا فلا يمكن قبول هذا الخبر ، لأنه يتصادم مع بدايات تحوّل الغريض من النوح إلى الغناء (عام ٨١ هـ) وزمن نُسك عمر بن أبي ربيعة .

فقد علمت أن الغريض كان نائحًا حتى وفاة محمد بن الحنفية عام ٨١هـ ، ثم تحوّل إلى الغناء ، وقد أوردنا الأدلة على ذلك تحت عنوان نوح أم غناء؟ أما عمر بن أبي ربيعة (٢٣ -٩٣ هـ) فقد تضافرت الأخبار عن تنسُّكه وتركه لما كان عليه من تهتك ومجاهرة بالفسوق بل تركه إنشاد الشعر عند بلوغه الأربعين أي عام ٦٣هـ تقريبًا .

فقد روى صاحب الأغاني أنه عاش ثمانين سنة ، فتك منها أربعين سنة ونسك أربعين [1] ، كما ذكر أيضًا أن عمر حين أسنّ حلف ألاّ يقول بيت شعر إلاّ أعتق رقبة[2] وأنه حين قال أبياتًا تسعة بعد أن أسنّ دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد [3] ، ويذكر عثمان بن إبراهيم الخطابي أنه أتى عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين [4] ، وقد حج الوليد بن عبدالملك زمن خلافته (٨٦ -٩٦ هـ) فجاءه عمر فسلّم عليه وجلس إليه ، فقال : أنشدني شيئًا من شعرك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير، وقد تركت الشعر، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد يرويان كل ما قلت ، وهما لك ، قال : أئتني بهما ، ففعل فأنشداه ...[5] .

إذًا لا يمكن اجتماع الغريض مع عمر بن أبي ربيعة ؛ لأن الغريض قد تحوّل من النوح إلى الغناء عام ٨١ هـ ، وفي هذا العام يكون عمر بن أبي

(١) الأغاني ١/٨٦ .

(٢) الأغاني ١/١٥٦ .

(٣) الأغاني ١/١٥٧ .

(٤) الأغاني ١/١٨٣ .

(٥) الأغاني ١/١٢٩ .

ربيعة قد تنسّك بعد الأربعين من عمره أي عام ٦٣هـ تقريبًا ، على أننا لا نريد إثبات حرفية تنسّكه بعد الأربعين ، ولكننا نريد أن نثبت ـ على أقل تقدير ـ أن حياة عمر بن أبي ربيعة العبثية لم تكن متزامنة مع بدايات الغريض في الغناء وبالتالي تكذيب نسبة الخبر للسيدة سكينة ، فإذا كانت المعطيات لا تساعدنا على نسبته لها فمن هي سكينة تلك التي تغنى بها عمر بن أبي ربيعة والغريض ؟

ج) من هي سكينة صاحبة عمر بن أبي ربيعة؟

أمّ طلحة :

إنّ ما يُثير الرّيبة والشّك تلك الأبيات التي بعثها عمر بن أبي ربيعة ليغنّيها الغريض لتلك النسوة ، فقد وردت هذه الأبيات في موضع آخر من كتاب الأغاني جاء فيه :

ألـمِمْ بزينـبَ إن البَـيْنَ قَـد أفِـدَا قَلَّ الثّـواءُ لَئِنْ كان الرّحيلُ غَدَا

عروضه من البسيط . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ، وله فيه لحنان ... وفيه لحن للغريض ... ومن الناس من ينسب هذا إلى مَعْبَد ، وأوله : (يا أمَّ طلحةَ إنّ البَيْنَ قَد أفِدَا) [1] .

وأم طلحة هذه هي عائشة بنت طلحة شريكة السيدة سكينة في زوجها المزعوم مصعب بن الزبير ، وقد جاء في الأغاني أن عمر بن أبي ربيعة قال فيها أشعارًا كثيرة ، فبلغ ذلك فتيان بني تيم ... فمشى ولد أبي بكر وولد طلحة بن عبيدالله إلى عمر بن أبي ربيعة ، فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم ، فقال : والله لا أذكرها في شعر أبدًا ، ثم قال فيها وكنى عن اسمها في قصيدته التي أولها :

(١) الأغاني ١/ ٣٧١ .

يـا أمَّ طلحـةَ إنّ البَـيْنَ قَـد أفِـدَا   قَلَّ الثّـواءُ لَئنْ كـان الرّحيلُ غَدَا[١]

لذا يمكننا القول بأن صاحبة الصورين هي عائشة بنت طلحة وليست السيدة سكينة عليها السلام[٢]، فعمر بن أبي ربيعة بعث الغريض بهذه الأبيات بعد اجتماع الصورين، لا أنه أنشدها أثناء مجلسهن.

خلاف الطبع البشري :

ينقل لنا التاريخ علاقة متشنجة بين زوجتي مصعب بن الزبير، لذا لا يمكن قبول إرسال أبيات في عائشة يُتغنّى بها في مجلس المسماة سكينة، فإن قُبل ذلك، فلا يمكن قبول أن تُثيب سكينة المُتغني بأبيات في ضرَّتها!

وقد مرّ عليك فيما سبق أن ابن سريج تغنّى أيضًا لسكينة بأبيات للحارث بن خالد كان يُكني فيها عن عائشة باسم خادمتها بُشرة وقد طربت سكينة لتلك الأبيات وأجزلت له العطاء أيضًا[٣]، وهذا ما يترك في النفس أكثر من سؤال.

قرائن وأدلة :

١) إن عمر بن أبي ربيعة كان يكني عن عائشة بنت طلحة ـ بعدما وعد أهلها أن لا يذكرها أبدًا ـ بكنايات متعدِّدة منها سكينة، وإلى ذلك أشار جامع الديوان في القصيدة التي عنون لها بليلة السبت، وهي حاكية عن قصة مشابهة لحديث الصَّوْرَيْن، إذ يقول عمر بن أبي ربيعة في عائشة:

---

(١) الأغاني ٢/٢٠٥.

(٢) ألمح إلى ذلك توفيق الفكيكي في كتابه سكينة بنت الحسين: ٣٦، وقد زودَّنا بنسخة الكتاب العلامة الشيخ محسن المعلم حفظه الله بعد التفضل علينا بمراجعة هذه الوريقات.

(٣) الأغاني ١٧/٥٣.

أبْلــغ سُليمى بــأنّ البَيْـنَ قَـدْ أفِـدا
وانْبـئ سُليمى بـأنّـا رَائحـون غـَدا
وقُـلْ لهـا : كَيـفَ أنْ يلقـاك خاليـةً
فليسَ مَـنْ بَـانَ لم يَعهـد كَمَـن عَهِـدا
نَعْهــدْ إليــكِ فأوفِينــا بمعهَــدِنا
يَــا أصْـدَقَ النّــاسِ مِيعــادًا إذا وَعَــدا
وأحْــسَنَ النــاسِ في عَــيني وأجملَهُــم
من سَاكنِ الغورِ أو مَنْ يَسْكنُ النُّجُدا
لقــد حلفــتُ يمينًــا غــيرَ كاذبــةٍ
صَبْرًا أُضاعِفُـهَا يا سُكنَ مُجْتَـهدا[1]

كما أكّد تلك الحقيقة الدكتور يحيى الشامي في دراسته فبعد أن ذكر قصة عمر بن أبي ربيعة مع بني تيم قوم عائشة بنت طلحة قال : (فامتنع إلى حين عن التصريح باسمها ، مكتفيًا بالكناية وبالإشارة تلميحًا ، ذاكرًا سُكنى حينًا وسليمى حينًا آخر)[2].

وقد مرّ عليك فيما سبق استبدال المغنين اسم سعدى بنت عبدالرحمن بن عوف بسكينة عمدًا في شعر عمر بن أبي ربيعة [3]، وهو استبدال متكرِّر إذ يشير المستشرق الفرنسي بلاشير إلى وقوع تبديل في أسماء نساء عمر بن أبي ربيعة أثناء الرواية الشفوية ، فقد حَلَّ في القصيدة ١٤١ طبعة محيي الدين اسم سكينة محل قريب [4].

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار بيروت للطباعة : ٩٨ ، وكذلك ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق عبدالرحمن المصطاوي ، دار المعرفة بيروت : ٧٩ .

(٢) عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل : ٥٤ .

(٣) الأغاني ١٧/١٦١.

(٤) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير : ٧٥٤ .

٢) ورود أخبار تُشير إلى أن المغني الغريض كان رسول عائشة بنت طلحة لكل من الحارث بن خالد وعمر بن أبي ربيعة (١).

٣) وجود خبر يذكر أن لعائشة بنت طلحة مجلس غناء يجتمعن فيه نسوة من قريش بمباركة من زوجها مصعب بن الزبير (٢).

سياحة في ديوان عمر بن أبي ربيعة :

إن قراءتنا لأبيات عمر بن أبي ربيعة بعيدًا عن القصص التي نُسجت حولها ، تثبت لنا أن سكينة هذه لا ربط لها بالبيت الهاشمي لأسباب نذكر منها :

أ) عدم وجود إشارة صريحة إلى إرادة سكينة بنت الحسين عليهما السلام في جميع الأبيات المجموعة في الديوان ، على أنك ستجد تصريحًا بأسماء النساء اللاتي تغنَّى بهن كقوله :

لعائشةَ ابنةِ التّيميِّ عِنْدي   حمىً في القلبِ ما يُرْعَى حِمَاها
يُذَكّرُني ابنةَ التيميِّ ظَبيٌ   يرودُ بروضةٍ سهلٌ رُبَاها (٣)

ب) لا وجود لتلميح يشير إلى السيدة سكينة عليها السلام كأن يُلمح لنسبها أو لمكانتها أو يشير إلى دارها أو يذكرها باسم خادمتها ، إلى غير ذلك من وسائل تواصل الشعراء مع محبوباتهن ، على أننا وجدنا ذلك في شعر عمر ابن أبي ربيعة لعائشة بنت طلحة بعد ما وعد بني تيم أن لا يذكرها .

ج) كثيرًا ما تذكر سكينة في شعر عمر بن أبي ربيعة مع نساء أخريات في القصيدة الواحدة ، وهو تقليد شعري يذكر فيه الشاعر أكثر من اسم لمحبوبته الواحدة والتي ربما يشير في النص إلى لقائها ، فقد وجدنا

---

(١) الأغاني ٢١٨/٣ و ٢١٩/٣ .

(٢) الأغاني ١٨٨/١١ .

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٤٤٢ .

سكينة مع سليمى فيما سبق ، كما أننا نجدها تُذكر بعد نُعْم [١] .

د) ذات الوصف الجسدي المذكور لسكينة في أبيات عمر بن أبي ربيعة يجعل أصابع الاتهام توجّه لغيرها ممن اشتهرن بتلك الصفات الجسدية ، ومن تلك الأبيات قوله :

حُلّي إزَارَكِ سُكْنى غيرَ صَاغِرةٍ إنْ شِئتِ واجْزِي مُحِبًّا بالذي سَارا [٢]

وقد ورد قبل هذه الأبيات قوله (هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة) .

وكقوله في موضع آخر :

يقولونَ لي : أقْصِر ولستُ بمُقْصِرِ
وحُبُّكِ يَا سُكنُ الذي يحسِمُ الصَّبْرَا

إلى قوله :

إذا ما دَعَتْ بالِمرْطِ كيما تلفُّهُ
على الخصرِ أبْدَتْ مِنْ رَوَادِفِها فَخْرا [٣]

ولعل عظم العجيزة والأرداف مما اشتهرت به عائشة بنت طلحة حتى أصبحت محل فكاهة وتندر [٤] .

وبالتالي نجزم - وبضرس قاطع - بأنه يمكننا قراءة الديوان قراءة مغايرة إذا استبدلنا اسم سكينة في قصائد عمر بن أبي ربيعة بغيرها وبعائشة بنت طلحة بالتحديد .

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٣٨٧ .

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ١٤٣.

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ١٤٨

(٤) راجع الأغاني ١١/١٨٤ و١٩٤و١٩٧ ، الوافي بالوفيات ١٦/٣٤٤ ، تاريخ مدينة دمشق ٦٩/٢٥٣.

احتمال آخر :

كما يُحتمل أن تكون سكينة أخرى ولها علاقة بعمر بن أبي ربيعة[١] ، ولها علاقة مع مصعب بن الزبير مرتبطة بالشعر والغناء وهي سكينة بنت خالد بن مصعب ، فقد ورد في الأغاني : عن ذهيبة مولاة محمد بن مصعب ابن الزبير قالت: كنت عند أمة الواحد أو أمة المجيد بنت عمر بن أبي ربيعة في الجُنْبُذ الذي في بيت سكينة بنت خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تغنيان ، يقال لإحداهما البُغوم ، والأخرى أسْماء ، وكانت أمة المجيد بنت عمر تحت محمد بن مصعب بن الزبير[٢] .

د) وقفة تأملية :

هكذا أريد لصورة السيدة الجليلة سكينة عليها السلام سليلة النبوة والإمامة أن تظهر للأجيال المتعاقبة ، وأن يقرأ الموحدون شخصية حفيدة النبي صلى الله عليه وآله متصادمة مع قيم الإسلام ، فجعلوها تدير مجالس اللهو والطرب كذبًا وعدوانًا .

وأقف معك هنا لأضع بين يديك نموذجًا تاريخيًا آخر أريد له التعتيم ودرء الشبهة عنه ولتقف مقارنًا معي على مدى الحقد الذي كانت تكتنفه تلك النفوس لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

فقد ورد في الأغاني اجتماع الشعراء نصيب وكثير والأحوص في مجلس امرأة متبرِّجة تغنَّت فيه جاريتها بأشعار نصيب في خبرٍ ضَمّ المجون والفسوق بين جنباته ، فسأل راوي الخبر إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة الشاعر نصيبًا ـ بعد أن سمع منه الخبر ـ عن المرأة ، فقال نصيب : من بني أمية ،

(١) ذهب إلى ذلك السيد محمد علي الحلو في عقيلة قريش آمنة بنت الحسين : ٧٢ ، وكذلك المقرم : ٥٧ .

(٢) الأغاني ١/١٧٥ .

ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد[١].

بمثل هذا يُتعامل مع بنات الطلقاء ، فنصيب يقول : لا أذكر اسمها ما حييت رعاية للشّرع ، أم رعاية لذويها ؟ لست أدري ! أما ربائب الوحي والتنزيل فحقهن التزوير والكذب عليهن والافتراء . صورتان : صورة السيدة سكينة ﷺ وصورة المرأة الأموية إذا ما وضعتهما أمامك اكتشفت بعض أساليب كذب القوم ، وكيف تعاملوا مع بيت النبي ﷺ ومع غيره من البيوتات ، فكانت تلك المعاملة أجر الرسالة .

(١) الأغاني ١/٣٤٥ .

الأحوص :

هو الشاعر عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم الأنصاري ، من بني ضبيعة :، شاعر هجّاء ، صافي الديباجة ، من طبقة جميل بن معمر ونصيب ، كان معاصرًا لجرير والفرزدق ، وهو من سكان المدينة ، وفد على الوليد بن عبدالملك (في الشام) فأكرمه الوليد ، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته ، فردَّه إلى المدينة وأمر بجلده ، فجلد ، ونفي إلى " دهلك " وهي جزيرة بين اليمن والحبشة ، كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه ، فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز . وأطلقه يزيد بن عبدالملك ، فقدم دمشق فمات فيها .

وكان حماد الراوية يقدِّمه في النسيب على شعراء زمنه ، ولقّب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه ، توفي عام ١٠٥ هـ [١].

أ) المفاخرة :

ورد أن الأحوص كان يوماً عند سكينة ، فأذَّن المؤذن ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله ، فخرت سكينة بما سَمِعتْ ، فقال الأحوص :

فخَرتْ وانتَمتْ فَقلتُ ذَرِيني ... ليس جهلٌ أتيتِه ببديعِ
فأنا ابنُ الذي حَمَتْ لحْمَهُ الدَّبْـ ... ـرُ قتيل اللحيان يوم الرَّجِيعِ
غسَّلتْ خاليَ الملائكةُ الأبْـ ... ـرارُ مَيْتًا طوبى له من صَرِيعِ [٢]

---

(١) الأعلام للزركلي ٤/١١٦.

(٢) الأغاني ٤/٢٣٢ ، جده الأعلى عاصم بن ثابت استشهد يوم الرّجيع في السنة الثالثة للهجرة ، أراد المشركون صلبه فحمته النّحل ، وخال جده الأعلى عاصم بن ثابت هو حنظلة الذي غسّلته الملائكة .

فخر على مصداق الفخر:

ولا أعلم كيف يُتناقل خبرٌ كهذا ، أكان يهدف من حَمَل لنا مثل هذه الأخبار أن يشير من قريب أو من بعيد إلى وجود من هو أشرف من سيد المخلوقات قاطبة المصطفى ﷺ ، الذي بلَغ ما بلغ من مكانة لا يعلمها إلا من علِمها ، حتى قال فيه خالقه جل شأنه :﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [١].

ولا أعلم أكان مَنْ تجرّأ أن يَفْخر على رسول الله ﷺ قد تَجرّأ عاقلاً أم مُغيّب العقل ؟ فما بلغ جدّ الأحوص وخاله من الشّرف إلاّ بشرف استشهادهما بين يدي الرسول ﷺ!

مفاخرة وخصومة :

ومفاخرة الأحوص بجدِّه وخال جده مما اشتُهر عنه ودوَّنته كتب التاريخ والأدب دون ذكر لمفاخرته للسيدة سكينة ﵂ [٢]، بل مما اشتهر عنه (تعصُّبه للمدينة في كثير من الأحيان ، هذا التعصُّب الذي أدَّى إلى معارضة القرشيين في مكة، وعلى الخصوص أسرة علي بن أبي طالب، وثمة نوادر نقلت عنه، تُظهره في شخصية رجل أرستقراطي منحلّ الأخلاق، مولع بالدسائس) [٣].

بمثل هذا تفهم الحكاية ، وتنتهي الرواية ، فإن افتخار الأحوص مما اشتُهر عنه ، ولكن يجب أن تكون هناك شخصية رفيعة الشأن يفتخر عليها لكي تضفي على الحكاية عناصر تجعلها أكثر تشويقًا وانتشارًا

---

(١) النجم : ٨ و ٩ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٢/٢٠٠ ، الأغاني ٤/٢٢٤ ، معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ٢/٦٤٢.

(٣) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير: ٧٤٣ .

في مجتمع أراد أن يسمع ما يُشين بيت النبي ﷺ ولو كذبًا وافتراءً ، فقلّب الوضاعون في الشخصيات فما وجدوا غير السيدة سكينة عليها السلام.

افتضح الوضّاعون حين جعلوه يفتخر على سيد الأولين والآخرين ﷺ ، وكأني بهم قد تركوا أثرًا كما يفعل المجرمون ، فدل ذلك الأثر على جرمهم .

ب) خَاخ :

الخبر :

قال مصعب الزبيري بسنده : لما قال الأحوص :

وما طربتَ لشجوٍ أنتَ نائلهُ ... ولا تنوَّرتَ تلك النَّارَ من أممِ
ليست لياليكَ في خاخٍ بعائدةٍ ... كما عَهِدتَ ولا أيامُ ذي سَلَمِ

غنَّى فيه معبد ، وشاع الشعر بالمدينة ، فأُنشِدَتْ سكينة - وقيل : عائشة بنت أبي وقاص - قول الشاعر في خاخ ، فقالت : قد أكثر الشعراء في خاخ ووصفه ، لا والله ما أنتهي حتى أنظر إليه ، فبعثت إلى غلامها فِنْدٍ ، فحملته على بغلة ، وألبسته ثياب خزّ من ثيابها ، وقالت : امضِ بنا نقف على خاخ ، فمضى بها ، فلما رأته قالت : ما هو إلاّ ما أرى ؟ قال : ما هو إلاّ هذا ، فقالت : والله لا أريم حتى أوتى بمن يهجوه . فجعلوا يتذاكرون شاعرًا قريبًا لكي يرسلوا إليه إلى أن قال فندٌ : والله أنا أهجوه، قالت : أنت ؟! قال : أنا ، قالت : قل ، فقال : خاخ ، خاخ ، خاخ ، أخ . ثم تفَلَ عليه كأنه يتنخّع ، فقالت : هجوته ، ورب الكعبة ! لك البغلة وما عليك من الثياب [1].

ترديد وإيهام :

لعل ترديد ناقل الخبر - وهو مصعب الزبيري - يوهم بأن الخبر وقع من

---

(١) المغانم المطابة في معالم طابة ، للفيروز آبادي : ١٢٥ .

الغلام فِنْد إما مع سكينة أو مع عائشة بنت أبي وقاص ، في حين أن فِنْداً غلام لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وقد أفرد صاحب الأغاني له ترجمة خاصة[١].

وبالتالي لا معنى للترديد وذكر سكينة إلا أن يكون ذلك محاولة للتدليس على القارئ ، خاصة أن الخبر يذكر سكينة دون أن يعرِّف بها ومن تكون ، إلا أن المحققين لتلك الأخبار ساعدوا في نسبة تلك الفرية لبنت النبوة دون سند ودليل.

ج) عقيلة :

الخبر :

جاء في الأغاني : وللأحوص مع عقيلة أخبار قد ذُكرت في مواضع أُخر، وعقيلة امرأة من ولد عقيل بن أبي طالب ﷺ ، وقد ذكر الزبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أنّ عقيلة هذه هي سكينة بنت الحسين عليهما السلام ، كنى عنها بعقيلة [٢].

من هي عقيلة ؟

أمّا عقيلة هذه فإن تتبَّعت أخبارها وجدتها مُغنية كانت تربطها علاقة بالأحوص ، لها ذكر وأخبار فهي ممن أخذ الغناء عن جميلة [٣]، ولها أصوات تغنَّت بها [٤] ، وقد جاء في الكامل في اللغة والأدب : قال الأحوص يومًا لمعبد : امضِ بنا إلى عقيلة حتى نتحدَّث إليها ونستمع من غنائها وغناء جواريها ، فمضيا ، فألفيا على بابها معاذًا الأنصاري ، ثم الزّرقيّ وابن

---

(١) الأغاني ١٧ / ٢٧٩ .

(٢) الأغاني ٤/٢٥٨ .

(٣) الأغاني ٨/١٩٥.

(٤) الأغاني ٨/٢٢٨ .

صائد النّجّاري ، فاستأذنوا عليها جميعًا ، فأذنت لهم إلاّ الأحوص ، فإنها قالت : نحن على الأحوص غضاب ، فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم بها ،ثم أنشد في ذلك أبياتاً[١] ، كما أورد صاحب العقد الفريد خبر الأحوص مع عقيلة المغنية[٢] .

تدرج في الإلصاق :

لم يحلُ للعابثين أن تكون السيدة الجليلة سكينة عليها السلام بعيدة عن ذلك المجتمع ، فجعلوا من عقيلة المغنية عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب ، ثم جعلوا عقيلة بنت عقيل سكينة ، ولعل في ذلك إشارة إلى محاولة إلصاق التهمة بالطالبيات وبأي صورة كانت ، ويؤكد هذا أن ناقل الخبر هو الزبير بن بكار .

د) وقفة تأملية :

إذا تأمَّلنا في خبر عقيلة المغنية وكيف تحوّلت بقدرة المفترين إلى عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب ، ثم تحولت بفعل العصا السحرية للسيدة سكينة عليها السلام وجدنا إصرارًا واضحًا فاضحًا في التّدرُّج بإلصاق تلك المفتريات، وهذا الأسلوب والإصرار في التّدرُّج يقابله إصرار في فكّ التهمة في الخبر التالي ، فتأمَّل الأسماء ، وتأمَّل معي الطريقة التي ترفع بها التهمة عن البيوت المعادية لبيت النبي صلى الله عليه وآله لتقف على جناية التاريخ ومَنْ خَطّه ، ولتقف على بعض أساليبه الافترائية .

جاء في الأغاني : بسنده عن أبي دُكين قال : رأيت عاتكة التي يذكرها الأحوص في شعره وهي عجوز ... ثم ذكر عن الحرمي عن الزبير بن بكار عن العمري أن عاتكة التي يشبب بها الأحوص عاتكة بنت

---

(١) الكامل في اللغة والأدب : ٨١٧ .

(٢) العقد الفريد ٧/٢٥.

عبدالله بن يزيد بن معاوية ... ثم نقل عن الحرمي عن الزبير بن بكار عن إسحاق بن عبدالملك أن الأحوص كان لينًا[1] وأن عاتكة التي يَنْسِب بها ليست عاتكة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية ، وإنما هو رجل كان ينزل قرى كانت بين الأشراف ، كنى عنه بعاتكة[2] .

فبينما تتحوَّل عقيلة المغنية في الخبر الذي يذكره الزبير بن بكار لعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب ، ثم تتحوَّل للسيدة سكينة عليها السلام في منهجية متدرِّجة في الإلصاق[3] ، نجد منهجية متدرِّجة في فكِّ التهمة عن عاتكة الأموية في الخبر الذي نقله أيضًا الزبير بن بكار ، فتأمَّل كيف تمَّ تفكيك التهمة عن عاتكة تدريجيًا ، فهي امرأة عجوز ، بل هي رجل وليس عاتكة ، مع تضافُر الأخبار على تلك العلاقة التي تربطها بالأحوص، وكثرة أشعاره الواردة في عاتكة الأموية ، فللّه في خلقه شؤون حين تحوّلت عقيلة لسكينة ، ولله في خلقه شؤون حين تحوّلت المرأة لرجل! وللمفتريات رجال وأساليب تُعرف بأضدادها .

(١) يعلو ظهره الفسّاق .

(٢) الأغاني ٢١/١١٢.

(٣) على أنك إن فتشت في ديوان الأحوص فلن تجد لعقيلة ذكراً إلا في موضعين: ٦٨ و ٧٤ .

الفرزدق :

همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، أبو فراس ، الشهير بالفرزدق ، شاعر من النبلاء ، من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة ... والفرزدق في الإسلاميين . وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر . كان شريفًا في قومه ، عزيز الجانب ، يحمي من يستجير بقبر أبيه وكان أبوه من الأجواد الأشراف وكذلك جده توفي عام ١١٠هـ [١].

أ) تفضيل الشعراء :

إن المتتبِّع لبدايات الحركة النقدية للشعر العربي يجد أن بذرتها النقدية الفنية والغير انطباعية قد نبتت في بدايات العصر الأموي متزامنة مع أوج الشعر وازدهاره في تلك الحقبة الزمنية ،وقد ساعدت الظروف الاجتماعية والسياسية على ذلك التقدُّم في المسارين الشعري والنقدي .

ولعل من إفرازات تلك الحقبة ظهور معارك أدبية قائمة على المفاضلة بين الشعراء ، تجلَّت واضحة في تفضيل أحد الشعراء كثير أوجميل ، جرير أو الفرزدق ضمن إطار المعارك الأدبية التي نشبت بين المتخاصمين أدبيًا ، فراح كل فريق يحشد الأدلة لتفضيل هذا على ذاك ، وقد مهّدت تلك المعارك الأدبية للعديد من المعارك التي جرت بعدها ، فكان أشهرها الموازنة بين البحتري وأبي تمام .

وإذا ما تأمَّلنا في تلك الأدوات النقدية التي استخدمها النقّاد وجدناها أدوات بدائية ، تتناسب وبداية نشأة النقد الأدبي العربي (إذ قضى النقد العربي مدّة طويلة من الزمن وهو يدور في مجال الانطباعية الخالصة

---

(١) الأعلام للزركلي ٩٣/٨ .

والأحكام الجزئية التي تعتمد المفاضلة بين بيت وبيت ، أو إرسال حكم عام في الترجيح بين شاعر وشاعر)[١] دون النظر في الأدوات الفنية التي استخدمها الشاعر وعلى أساسها تمَّ ترجيح هذا على ذاك ، وإنما كانت انطباعات شخصية ذوقية غير راجعة في مجملها لأسباب فنية ، وإن لم تخلُ من رؤية نقدية .

في ظل تلك المعارك الأدبية تمَّ إيجاد دور مفتعل للسيدة سكينة عليها السلام كعنصر نسائي راعٍ للغناء والشعر والنقد ، وذلك لإضفاء البهجة والسرور في نفوس الناصبين لمحمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته العداء ، فالخبر القادم يرويه لنا الشعبي المعلن بعدائه لأمير المؤمنين عليه السلام[٢] .

ب) تفضيل جرير :

الخبر :

عن عامر الشعبيّ : أنّ الفرزدق خرج حاجًا ، فلما قضى حجه خرج إلى المدينة، فدخل على سكينة بنت الحسين عليه السلام مسلمًا ، فقالت له : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ فقال : أنا ، قالت: كذبت . أشعر منك الذي يقول (تعني جريرًا) :

بنفسيَ مَنْ تجنُّبُه عزيزٌ ... عليّ ومَنْ زيارتُه لِمامُ
ومَنْ أُمسِي وأُصبِحُ لا أراهُ ... ويَطرُقُني إذا هجَعَ النِّيامُ

قال : والله لئن أذنت لي لأسمعنَّك أحسن منه ، قالت : أقيموه ، فأُخرج . ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ، فقالت : يا فرزدق ، من أشعر

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، الدكتور إحسان عباس : ٣٤ .

(٢) يقول السيد التفريشي : هو المعروف بالشعبي المذموم عندنا ، ويقول السيد الخوئي: وهو الخبيث الفاجر الكذّاب المعلن بعدائه لأمير المؤمنين عليه السلام. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ١٠/٢١٠ .

الناس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ... ولزرتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ
كانت إذا هجرَ الضّجيعُ فراشَها ... كُتِم الحديثُ وعفَّتِ الأسرارُ
لا يُلْبِثُ القرناءَ أن يتفرَّقوا ... ليلٌ يكُرُّ عليهِمُ ونهارُ

فقال : والله لئن أذنت لي لأسمعنَّك أحسن منه ، فأمرت به فأُخرج .

ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، وحولها مولَّدات كأنهن التماثيل ، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن ، فأعجب بها ، فقالت : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ فقال : أنا ، فقالت : كذبت ، صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إن العيونَ التي في طرفِها مَرَضٌ ... قتلننا ثمّ لَمْ يُحيينَ قتلانا
يَصْرعنَ ذا اللبِّ حتى لا حَرَاكَ به ... وهنّ أضعفُ خلقِ اللهِ أركانا

فقال : يا بنت رسول الله ﷺ إن لي عليك حقّاً عظيمًا ، ضربت إليك من مكة أريد التسليم عليك ، فكان في دخولي إليك تكذيبي ومنعك إياي أن أُسمعك ، وبي ما قد عِيل معه صبري ، وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت ، فإن أنا متُّ فأمري أن أدرج في كفني ، وأدفن في ...[1] تلك الجارية ، يعني الجارية التي أعجبته ، فضحكت سكينة ، وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخذًا بريطتها[2] ، وأمرت الجواري أن يدفعن في أقفائهما ، ثم قالت : يا فرزدق ، أحسن صحبتها ، فإني آثرتك بها على نفسي[3] .

ناقل الخبر :

يكفينا من الخبر أن ينقله الشعبي لنحكم بتعمُّده الإساءة لبيت النبي ﷺ

(١) حذفناه تنزيهًا للقارئ .

(٢) الريطة : كل ثوب يشبه الملحفة .

(٣) الأغاني ١٦/ ١٨٠ـ١٨١.

ولله درُّه كيف حضر في مسرح الحدث ثلاث مرات متتالية ؟! ولعل الصدفة قد خدمته ثلاث مرات ، فكان شاهدًا على ما قيل في كل مرة !

آراء نقدية متفرقة تُجمع في قصة :

ثم يكفينا تلك النبرة القصصية التي من خلالها حاول ناقل الخبر بثّ بعض الآراء النقدية في تفضيل تلك الأبيات التي تُعدّ من عيون شعر جرير ، بل من عيون الشعر العربي، والتي أسهب النقاد في تناولها وتفضيلها ، وسنشير لمصادرها في الهامش لمن أراد الإطلاع على تلك الآراء النقدية تجنُّبًا للإطناب [1] .

تعارض الخبر مع القيم ونفسيات الشعراء :

ثم يكفينا تعارضه مع القيم العرفية والاجتماعية من إكرام الضيف ، لا أن يُقام ثم يُطرد ، ومن المطرود ؟ شاعر يتجنَّب المجتمع لسانه ، وقف على باب امرأة نقل لنا التاريخ أنها كانت تحتجب عن الرجال .

ويكفي تفضيل سكينة هذه لجرير على الفرزدق حتى لا تقوم لها قائمة فضلاً عن طرده أكثر من مرة ، فهو يتنافى مع ما عُرف عن الشعراء ونفسياتهم وعن الفرزدق بالخصوص ، فقد نقل لنا ابن سلام : أن الفرزدق كان يتضوَّر ويجزع إذا أنشد لجرير ، وكان جرير أصبرهما [2] .

نعم يجزع لمجرد إنشاد أبيات جرير ، هذا هو حاله ، لكنه مع سكينة هذه يتقبَّل إنشادها لشعر جرير وتفضيلها له بصدر رحب لثلاث مرات

---

(١) راجع الأغاني ٣٢٤/٧ ، أمالي المرتضى ٥/٣ ، تاريخ مدينة دمشق ١٦٢/٦٨ ، تاريخ الإسلام ٤١/٧ ، البداية والنهاية ٢٨٨/٩ ، وفيات الأعيان ٣٢١/١ ، الوافي بالوفيات١١/ ٦٢ ، تنزيل الآيات على شواهد من الأبيات ، شرح شواهد الكشاف للأفندي : ٥٤١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي: ٣٧٧ .

متتالية ، فضلاً عن عدم السماح له بالإنشاد وطرده أكثر من مرّة . ثم تأمَّل معي جريراً الذي يعد أصبر من الفرزدق كيف راح يهجو جماعة لأنهم أذنوا للفرزدق بالإنشاد ولم يأذنوا له[1] .

ج) وقفة تأملية :

إن ذيل الخبر يجعلنا مطمئنين بإرادة الوضع وتعمُّده ، فقد جاء بألفاظ مضطربة متهافتة في أكثر من موضع[2] ، أريد منها الإساءة لحفيدة المصطفى ﷺ ، فحين يُؤكد الخبر على لسان الفرزدق أنها : بنت الرسول ﷺ ، لا يتجنَّب ذكر الفاحش من القول ، بل يُسرف فيه حتى يتصوَّر القارئ أن الفرزدق يخاطب أمجن خلق الله في زمانها ، والتي يتمُّ التأكيد على أنها بنت رسول الله ﷺ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وهو ما يتعارض مع كل القيم الاجتماعية والعرفية السائدة في ذلك الزمان والمحيطة بالسيدة سكينة عليها السلام.

إن النبرة الجنسية تلك سترافقنا كثيرًا ، وتتأكَّد تلك النبرة من خلال الأبيات السابقة الذكر وما سنتناوله من أخبار وأبيات لاحقة فتأمَّل !

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي: ٤٢١ .

(٢) في ذيل الخبر تهافت في أكثر من موضع من الأغاني ٤٢/٨ ، ١٨٠/١٦ ، ٣٦٨/٢١.

كثير عزة :

كثير بن عبدالرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر ، شاعر مُتيّم مشهور ، من أهل المدينة ، أكثر إقامته بمصر ، وفد على عبدالملك بن مروان ، فازدرى منظره ، ولما عرف أدبه رفع مجلسه ، فاختص به ،وبنو مروان يعظمونه ويكرمونه ، وكان مفرط القصر دميمًا ، في نفسه شمم وترفُّع ، يقال له " ابن أبي جمعة " و " كثير عزة " و " الملحي " نسبة إلى بني مليح ، وهم قبيلته... وفي المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشيعة ... أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة . وكان عفيفاً في حبه ، قيل له : هل نلت من عزة شيئاً طول مدتك ؟ فقال : لا والله ، إنما كنت إذا اشتدَّ بي الأمر أخذت يدها ، فإذا وضعتها على جبيني وجدت لذلك راحة ، توفي بالمدينة عام ١٠٥ هـ [(١)].

تشيُّعه :

لم يفُت المفترين والكاذبين اشتهارُ تشيُّع كُثير عزّة وولائه لبيت النبيﷺ لذلك حفلت سيرته بكثير من علامات الاستفهام والاستفسارات التي تحتاج للبحث للتوصُّل لبعض الإجابات عنها ، كما لم يَفُت الوضاعين والكذابين معاصرته للسيدة سكينة ﷺ وبالتالي لابد من إيجاد مساحة من حياتها ﷺ في شعره .

أ) عليّ إثمها :

الخبر:

دخلت عزة على سكينة بنت الحسين بن علي ذات يوم فقالت لها : يا عزة ، أرأيتك إن سألتك عن شيء هل تصدقينني ؟ قالت : نعم ، قالت :

---

(١) الأعلام للزركلي ٥/٢١٩ .

ماعنى كثير بقوله :

قضى كلُّ ذي دينٍ فوفّى غريمَه وعــزّةُ ممطــولٌ مُعنّــىً غريمُهــا

فتحايت وقالت : فداك أبي ، إن رأيت أن تعفيني ، فقالت : لا أعفيك، بل أعزم عليك ، قالت : كنت وعدته قبلة ، قالت : أنجزيها وعليّ إثمها[1].

الخبر في البيوت المعادية:

صورة مجونية لا تخلو من إيحاءات جنسية ، أريد لها أن تتكوَّن في مُخيلتنا عن السيدة سكينة عليها السلام نكاية في أهل بيتها وعداء لهم ، وكأن بعض أجر الرسالة أن يتمَّ إبراز بيت النبوة بما يستحقه أعداء النبي ﷺ لا بما يستحقه أهل بيته عليهم السلام.

فقد ورد هذا الخبر في البيوتات المعادية لأهل البيت عليهم السلام ولكن من خطُّوا تلك المهازل لم يُغمض لهم جفناً أن تُنسب لمن يتولُّونهم سياسة وعقيدة وحبًّا فراحوا يلصقونها بمن يتبرؤون منهم ويبغضونهم ويعادونهم امتثالاً لشياطينهم ومخالفة لأمر الله ، فقد ورد خبر عزة في :

١) أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان إذ قالت لعزة بعد سؤالها : أنجزيها وعلي إثمها [2].

٢) كما ورد في عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبدالملك بن مروان ، إذ سألت عزّة عن هذا الدّين ، ثم قالت : أنجزيها له وعليّ إثمها [3].

٣) أمّا صاحب خزانة الأدب فيذكر عن ابن قتيبة في الشعر والشعراء : أن عائشة بنت طلحة ـ التي تطالعنا كل حين ـ قالت لعزّة : ما كان ذلك

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٦٩/٢٨٣ـ٢٨٤ ، البداية والنهاية ٩/٢٨٣ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٧٠/٢٠٦ و ٦٩/٢٨٣ ، وفيات الأعيان ٤/١٠٨ ، شذرات الذهب م٢/٣٦ .

(٣) بلاغات النساء :١٧٧ـ ١٧٨ .

الدّين؟ قالت : وعدته قبلة فتحرّجت منها ، فقالت : فامضيها وعليّ إثمها[١].

ب) المندل الرطب :

الخبر:

ورد أن كثير عزة دخل على سكينة بنت الحسين ، فقالت : يا ابن أبي جمعة ، أخبرني عن قولك في عزّة :

ومَا رَوضَةٌ بالحَزْنِ طيّبَةُ الثرى ... يَمجُّ النّدى جَثجاثُها وعَرارُها[٢]

بأطيبَ من أرْدانِ عزّة مَوهِناً ... وقد أُوْقِدتْ بالمندَلِ الرَّطبِ نارُها

ويحك ! وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين توقد بالمندل الرطب نارها إلاّ طاب ريحها ؟ ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

ألم تَرَياني كلّما جِئتُ طارقًا ... وجدتُ بها طيبًا وإن لم تَطَيَّبِ[٣]

يُنسب لغيرها:

إذا تتبَّعت تلك الأبيات عبر الفهارس الشعرية لأمهات الكتب العربية وجدت أن الخبر ينسب لغير السيدة سكينة عليها السلام ، ولكن القوم أسَّسوا لقاعدة وهي نسبة كل ما من شأنه الإساءة للسيدة سكينة عليها السلام والإصرار عليه بتأكيده وتكراره حتى أصبح عقيدة راسخة في أذهان أجيالهم من كثرة إنشاده ، إذ تحوَّلت أنشودة سكينة على ما يبدو لأغنية يناغون بها أطفالهم كلما أبكاهم الجوع والعطش .

فقد ورد هذا الخبر والنقد عن :

١) امرأة عجوز اعترضت طريق كثير عندما خرج من عند عبدالملك[٤].

---

(١) خزانة الأدب ٥/٢١٩ .

(٢) الجثجاثا نبات ، والعرار : نبات طيب الرائحة .

(٣) العقد الفريد ٦/١٩٠ .

(٤) وفيات الأعيان ٤/١١٠ .

٢) امرأة لقيت كثيراً فسألته : من أنت ؟ فقال : كثير عزّة ، فقالت : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، قال : مه رحمك الله ! فإني أنا الذي أقول، فأخذ ينشدها إلى أن عابت البيتين السابقين(١).

٣) امرأة من المدينة (٢).

٤) كما نُسب هذا الخبر والنقد لعدوة الله ورسوله والمؤمنين قطام صاحبة عبدالرحمن بن ملجم عليهما لعائن الله إلى يوم الدّين ، فقد ورد أن كثيرًا عابها - وقد كان غاليًا في التشيُّع - فعابت أبياته وذكّرته بقول امرئ القيس (٣).

ج) وقفة تأملية :

أورد المبرد في كامله خبر المندل الرطب ، وذكر أن بعض الناس عاب على كثير عزة وذكر الأبيات والنقد ، ثم استدرك ذلك بأن قال : حكى الزبيريون أن امرأة مدنية اعترضت كثيرًا ... (٤).

وقد أشار أكثر من باحث - حين نظر في حياة السيدة سكينة عليها السلام وتأمل المفتريات - بأصابع الاتهام في تلك المفتريات للزبيريين (٥) والمقصود هو الزبير بن بكار والمصعب الزبيري ، فكثير مما ورد من مفتريات كان مصدرها وبدايتها من الزبير بن بكار الذي أخذ عن عمه مصعب بن عبدالله الزبيري.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٠٤/٥٠ .

(٢) الكامل في اللغة والأدب م١٠١٩/٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٤٤/١٩ .

(٣) الأغاني ٢٧٣/١٥ ، تاريخ مدينة دمشق ١٠٥/٥٠ .

(٤) الكامل في اللغة والأدب : م١٠١٩/٢ .

(٥) السيدة سكينة للمقرم : ٥٧ ، كما نقل هذا الرأي عن الفكيكي، عقيلة قريش آمنة بنت الحسين:٥١ .

كما أوقفناك عند الحديث عن الأحوص كيف افترى الزبير بن بكار على السيدة سكينة عليها السلام بطريقة تدرَّج فيها حتى جعل للسيدة سكينة عليها السلام علاقة بالأحوص ، فجعل من عقيلة المغنية عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب ، ثم جعل عقيلة سكينة ، وفي مقابل ذلك قلب الزبير بن بكار الحقيقة حين جرى الأمر في البيت الأموي ، فجعل عاتكة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية ـ التي تربطها علاقة بالأحوص ـ بزيفه إلى رجل [1].

والآن نُشير إلى أن تشيع كثير عزة مشتهر شائع دلّت عليه أخباره وقصائده، ومن نوادر تشيُّعه أن عبدالملك بن مروان إذا أراد أن ينشده سأله بحق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام [2]، ولعل تشيُّعه جرّ عليه من جامع أخباره وشعره الزبير بن بكار [3] الويلات ، لذا ستجد كثير عزة يوصف بالغلو والكيسانية وأنه يقول بالتناسخ ، كما أنه ناقص عقل ، ذميم الخلقة ، سيء الخلق ، وما ذاك إلا لأنه كان يحاول أن يؤدّي بعض أجر الرسالة ، وهذا ما يتصادم مع هوى جامع شعره وأخباره الزبير بن بكار .

وفي ذلك يقول بروكلمان : جمع الزبير بن بكار شعر كثير ، وذكر أن بعضه منحول عليه ، لأنه يشتمل على هجاء أولاد عبدالله بن الزبير [4].

أمّا بلاشير فيقول : تضخيم لقاء كثير مع عزّة استقاه ابن الكلبي في الكوفة، والزبير بن بكار في مكة من رجل مجهول ، ومن راوية كثير ، وأورد المؤرخ الأخير (يعني الزبير بن بكار) خبرًا جعل فيه عزة من حاشية سكينة بنت الحسين المشهورة [5].

---

(١) راجع ما كتبناه تحت عنوان الأحوص (وقفة تأملية) .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٣٢٣ .

(٣) الأعلام للزركلي ٥/٢١٩ .

(٤) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ، القسم الأول : ٢٤٥.

(٥) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير : ٧٢٧ .

عروة بن أذينة :

عروة بن يحيى (ولقبه أذينة) بن مالك بن الحارث الليثي ، شاعر غزل مقدَّم ، من أهل المدينة ، وهو معدود من الفقهاء والمحدِّثين أيضًا ، ولكن الشعر أغلب عليه ، توفي نحو ١٣٠هـ [١].

أ) أيُّ العيش :

الخبر:

روى صاحب الأغاني عن الزبير بن بكار عن مصعب : أن سكينة[٢] أنشدت أبيات عروة بن أذينة في أخيه بكر ، فلما انتهت إلى قوله:

على بكرٍ أخي ولّى حميدًا وأيُّ العيشِ يَحسُنُ بعد بكرِ

قالت سكينة : ومن أخوه بكر ؟! أليس الدّحداح الأُسيّد[٣] القصير الذي كان يمرُّ بنا صباحًا ومساءً ؟ قالوا : نعم ، قالت : كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت [٤].

خبر سابق:

خبر سكينة مسبوق بخبر في الوليد بن يزيد ، فعن خالد صامة ـ وكان أحد المغنين ـ قال :

قدمت على الوليد بن يزيد ، فدخلت عليه وهو في مجلس ناهيك به ، وهو على سرير ، وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة وأبو كامل ، فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة إليّ ، فغنَّيته (أبيات عروة بن أذينة) .

---

(١) الأعلام للزركلي ٤/٢٢٧ .

(٢) لاحظ أن الخبر أورد سكينة دون نسبة لمن تكون هذه المسماة سكينة .

(٣) الدحداح : القصير غليظ البطن ، الأُسيّد : تصغير أسود .

(٤) الأغاني ٧/٧٤ـ٧٥ .

فقال الوليد : أعد ياصام ، ففعلت ، فقال لي : من يقول هذا الشعر ؟ قلت : عروة بن أذينة يرثي أخاه بكرًا ،فقال لي : وأي العيش لا يصفو بعده؟! هذا العيش الذي نحن فيه على رغم أنفه ، والله لقد تحجر واسعًا[1].

تاكيد للخبر السابق:

وجاء في الكامل : تحدَّث الزبيريون... وذكر خبر الوليد بن يزيد إلى أن قال : وحُدِّثت أن سكينة ... ثم ذكر خبر سكينة [2]، وبذلك يُعطي انطباعاً في التشكيك بمصداقية الخبر الوارد في سكينة .

ومما يؤكد ذلك رواية صاحب العقد الفريد للخبر ، إذ يذكر نفس العبارة (تحدث الزبيريون) فيذكر خبر الوليد بن يزيد ... إلى أن يقول : وقد قيل إن سكينة [3].

شذوذ وانفراد:

وقد شذّ ابن خلكان حين بدأ بخبر سكينة وتلاه بخبر الوليد بن يزيد[4] وفي ذلك تأمل لذي لُبّ .

وهناك من انفرد بخبر الوليد بن يزيد دون ذكر لخبر سكينة كابن عساكر والصفدي [5].

ابن أبي عتيق له نصيب:

إن كان هناك اختلاف لفظي لا معنوي في ما قاله الوليد بن يزيد وما نسب للمدعوَّة سكينة ، وقد يرد هذا التشابه ولا غضاضة ، ولكن أن

---

(١) الأغاني ٧٤/٧ و ٣٤٣/١٨ .

(٢) الكامل في اللغة والأدب : ٨٠٥ .

(٣) العقد الفريد ٤٧/٧ .

(٤) وفيات الأعيان وأبناء الزمان : ٣٩٥/٢ .

(٥) تاريخ دمشق ٣١٩/١٦ ، الوافي بالوفيات ١٥٤/١٣ .

يتطابق القول تمامًا (كل العيش والله يصلح بعده حتى الخبز والزيت) فذلك مدعاة للشك والريبة .

أمّا بطل هذا الخبر فهو ابن أبي عتيق ، إذ لقي عروة بن أذينة ، فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

على بكرٍ أخي ولّى حميدًا وأيُّ العيشِ يَحسُنُ بعد بكرِ

فقال له ابن أبي عتيق : كل العيش ـ والله ـ يصلح بعده حتى الخبز والزيت ، فغضب عروة من قوله ، وقام من مجلسه ، وحلف ألاّ يكلمه أبدًا ، فماتا متهاجرين[١] .

هكذا تعبث الأيدي الآثمة وخاصة إذا كان الخبر يُنسب لابن أبي عتيق أو الوليد بن يزيد وتاريخهما العبثي الماجن ، فالخبر مملٌّ غير مشوّق في تلك البيوتات ، ولكنه في بيت النبي ﷺ أكثر تشويقًا خاصة إذا رُمي به حرائر الوحي والتنزيل .

ب) أبثثتها سرِّي :

الخبر:

ورد أن سكينة[٢] مرَّت بعروة بن أذينة فقالت له : يا أبا عامر ، أنت الذي تقول :

يا نظرةً لي ضرَّت يومَ ذي سَلَمٍ حتى متى ليَ هذا الضّرُّ في نَظري
قالت وأبثثتُها سِرّي وبُحتُ بهِ قد كنتَ عندي تُحبُّ السِّترَ فاستَتِرِ
ألستَ تُبْصِرُ من حَوْلي فقلتُ لها غطّي هَواكِ وما ألقى على بَصَري

وأنت القائل :

---

(١) الأغاني ١٨/٣٤٥ .

(٢) تأمل ورود الاسم دون نسبة لمن تكون تلك المدعوة بسكينة .

إذا وجدتُ أُوارَ الحبِّ في كَبدي ... أقْبَلتُ نَحْو سِقاءِ القَومِ أبْتَردُ
هَبني بَردتُ ببردِ الماءِ ظَاهرَهُ ... فمَنْ لنارٍعلى الأحشاءِ تتَّقدُ

قالت : هن حرائر ـ وأشارت إلى جواريها ـ إن كان خرج من قلب سليم[١] .

الخبر مسبوق بخبرين منفصلين:

هذا الخبر الذي أورده ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق كان مسبوقًا بخبرين منفصلين .

الخبر الأول :

أن عروة بن أذينة وقفت عليه امرأة فقالت له : أنت الذي يقال له: الرجل الصالح ، وأنت تقول... ثم ذكرت أبياته الدالية السابقة[٢] ، وقد أورد خبر المرأة غير واحد [٣] .

الخبر الآخر :

وهو خبر منفصل تالٍ لما سبق ، كما أنه سابق للخبر المنسوب للمدعَّوة بسكينة ، إذ وقفت امرأة على عروة بن أذينة فقالت له : أنت عروة بن أذينة؟ قال : نعم ، قالت: ألست القائل ... وذكرت بيتيه الرائيين السابقين[٤] .

أمّا صاحب الأغاني فقد ابتدأ بذكر البيتين الرائيين وجعلهم من نصيب

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٠/٢٠٥ و٦٩/٢٠٨ ، تاريخ بغداد ٢/٤٥٤ ، أمالي المرتضى٢/٧٣ ، مع تقديم وتأخير في الأبيات . ولعلها الرواية اليتيمة في مصادر الشيعة .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٠/٢٠٥ .

(٣) العقد الفريد ٦/١٢٣و٧/١٧ ، الأغاني ١٨/ ٣٨٨ مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٠/٢٠٥ .

المدعوة بسكينة، ثم أتبعها بالدالية وجعلها من نصيب امرأة [1]، فتأمل !.

ج) وقفة تأملية :

لا يمكن أن يمرَّ خبر امرأة وقفت على عروة بن أذينة دون أن تُعرف المرأة ودون أن تُنسب ، فإن نُسبت فيجب أن تُنسب لمرأة ذات شأن عظيم ليكون لهذا الخبر رواجٌ وأثرٌ في نفوس المستمعين وليتداوله الناس .

لذا يتمُّ جمع الخبرين المنفصلين : خبر المرأة مع عروة بن أذينة وبيتيه الرائيين ، وخبرها مع أبياته الدالية ، لنحصل على خبر واحد ملفَّق بطلته المدعوة بسكينة .

منهجية جديدة نقف عليها من خلال ما نسب للسيدة سكينة عليها السلام مع عروة بن أذينة من افتراءات يرافقها إصرار على جعل المرأة هي السيدة سكينة عليها السلام وهو ما يتأكد لنا حين العودة لخبر كثير عزة تحت عنوان (المندل الرطب) وكيف تم تحويل المرأة والعجوز والمرأة المدنية للسيدة سكينة عليها السلام .

(١) الأغاني ١٨/٣٣٦ و٣٣٨ .

العَرَجِي :

عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي ، أبو عمر: شاعر غزل مطبوع ، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة ، كان مشغوفًا باللهو والصيد، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء ، من الفرسان المعدودين ، صحب مسلمة بن عبدالملك في وقائعه بأرض الروم ، وأبلى معه البلاء الحسن ، وهو من أهل مكة . ولقب بالعرجي لسكناه قرية " العَرَج " قرب الطائف ، وسجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر ، فلم يزل في السجن إلى أن مات نحو ١٢٠هـ [(١)].

أ) جهدتْ أحشاؤهنّ :

الخبر:

قال المدائني[(٢)] : نظرت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى العرجي وهو يطوف بالبيت ، فبعثت إليه جارية لها تقول له : أنشدني مما قلت في الطواف حول البيت ، فقال : أقرئيها السلام ،وقولي لها : قد قلت :

يقعُدْنَ في التّطوَافِ آونةً ويطُفْنَ أحيانًا على فَتْرِ
ثمّ اسْتَلَمْنَ الرُّكْنَ في أنَفٍ مِنْ لَيْلِهِنَّ يَطَأْنَ في أزْرِ
فَفَرِغْنَ عن سَبْعٍ وقَدْ جَهِدَتْ أحْشَاؤهُنَّ مَوَائِلَ الخُمْرِ

فقالت سكينة للجارية : قولي له : ويحك ! لو طاف الفيل بهذا البيت لجهدت أحشاؤه [(٣)].

---

(١) الأعلام للزركلي ٤/ ١٠٩ .

(٢) المولود عام ١٣٥هـ أي بعد عام وفاة السيدة سكينة عليها السلام ١١٧هـ بثمانية عشر عامًا فتأمل !

(٣) بلاغات النساء : ١٧٨.

بَقيَ الخبر واختلف الشاعر:

أما مصعب الزبيري[(١)] - وما أدراك من مصعب ! - فيقول : أنشدت سكينة بنت الحسين قول الحارث بن خالد :

فَفَـزِعْنَ عـن سَبْعٍ وقَـدْ جَهِـدَتْ   أحْـشَاؤهُنَّ مَوَائِـلَ الخُمْـرِ

فقالت : أحسنٌ عندكم ما قال ؟ قالوا : نعم ، فقالت : وما حُسنُه ؟ فوالله لو طافت الإبل سَبْعًا لجهدت أحشاؤها [(٢)].

وقد ورد هذا الخبر في الأغاني وتلاه خبر لعائشة بنت طلحة مع الحارث ابن خالد ، فتأمل !

ب) لمن الأبيات ؟ ولمن النقد ؟

هكذا تناقل الخبر أهل الأدب أن السيدة سكينة عليها السلام انتقدت تلك الأبيات رغم الخلل والاضطراب في نسبة الأبيات لصاحبها ، فتارة يكون القائل العرجي ، وأخرى الحارث بن خالد ، ثم تدخل علينا عائشة بنت طلحة في خبر تالٍ لأبيات الحارث بن خالد .

وقد أوقفنا البحث على علاقة تربط عائشة بنت طلحة بالحارث بن خالد وهي علاقة مشهورة حُكي فيها من النوادر الشيء الكثير [(٣)].

كما أوقفنا التدقيق على خبر وارد في بلاغات النساء لابن طيفور (ت٢٨٠هـ) المتقدم زمنيًا على صاحب الأغاني (ت٣٥٦) جاء فيه : أن الأبيات قالها الحارث بن خالد بن العاص حين نظر إلى عائشة بنت طلحة في الطواف ، فبلغها ذلك فقالت : قبّحه الله ، لو طافت الجمال سبعًا لجهدت

(١) المولود عام ١٥٦هـ أي بعد عام وفاة السيدة سكينة عليها السلام ١١٧هـ بتسعة وثلاثين عامًا.

(٢) الأغاني ٣/٣٢٤ .

(٣) راجع أخباره مع عائشة بنت طلحة في الأغاني ٣/٢١٥ وما بعدها .

أحشاؤها [(١)].

ولا زالت عائشة بنت طلحة ترافقنا في مراحل البحث وكأنها ظل للسيدة سكينة عليها السلام تتبعها أينما كانت ، ولا عجب فهي (على ذمّة التاريخ) شريكتها في مصعب بن الزبير .

ج) وقفة تأملية :

كلا الخبرين الواردين عن السيدة سكينة عليها السلام مع العرجي وعن عائشة بنت طلحة مع الحارث بن خالد وردا في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور ، ومن خلال استقصاء الكتاب فإنه لا يوجد سوى هذا الخبر الوحيد المنسوب للسيدة سكينة عليها السلام مع العرجي ، وقد تجاهل هذا الكتاب المتخصِّص في فنه ، والمتقدِّم زمنيًا على صاحب الأغاني كل ما سبق من مفتريات جعلت من السيدة الجليلة سكينة عليها السلام ناقدة أدبية .

وقد يتبادر إلى الذهن أن الكتاب لم يكن بمعرض استعراض كل الأحداث الأدبية وكل بلاغات النساء ، وإنما يكفي أن يشير لحدث واحد للشخصية الواحدة ، نعم هو احتمال يكذِّبه الاستقصاء ، إذ وردت في الكتاب الأخبار الكثيرة للشخصية الواحدة .

كيلٌ بمكيالين:

ونعود إلى الخبرين الواردين في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور لنقف مع عناوينهما ، فإنك إذا ما تأملت العنوان الذي وُضع تحته خبر عائشة بنت طلحة استحسنته وأشرت لذائقة واضعه ،ألا وهو (جواب ظراف النساء وأشعارهن في كل فن) .

---

(١) بلاغات النساء : ٢٠٩ ، وقد أخطأ جامع ومحقق ديوان العرجي الدكتور سجيع الجبيلي حين نسب الأبيات له ص:٦٤ ، واستدرك الخطأ فنسبها للحارث بن خالد ص: ٢٤٢ .

أما إذا ذهبت لخبر السيدة سكينة عليها السلام وهو خبر مطابق تمامًا لخبر عائشة بنت طلحة هالك وصعقك ذلك العنوان الذي وضع تحته الخبر ، فرغم تطابق الخبرين إلا أن العنوان اختلف ، فكان خبر السيدة الجليلة حفيدة المصطفى صلى الله عليه وآله تحت عنوان (باب مواجن النساء ونوادرهن وجواباتهن) .

ألحُّوا ولجُّوا في بعادٍ وبغْضَةٍ فقد نشِبُوا في حبْلِ غيٍّ وأنْشَبُوا[1]

(١) ديوان الكميت ، تحقيق محمد نبيل طريفي : ٥٣٣ .

الشعر والشعراء

الفصل الثالث : اجتماع الشعراء ورواتهم

أ) اجتماع الشعراء

ب) اجتماع رواة الشعراء

أ) اجتماع الشعراء :

الخبر :

إن من أبرز ما أثير حول السيدة سكينة عليها السلام فيما يتعلّق بالشعر والشعراء هو اجتماع الشعراء على بابها طلبًا للعطاء وللتحاكم والتفاضل عندها . وأخبار هذا الاجتماع متفاوتة متباينة ، ننقل لكم ما جمعه صاحب أعيان الشيعة من متفرّقات أشار فيها إلى بعض التفاوت ، وسنذكر مصادره ونضيف عليها في الهامش بعض الفوائد ، فلا تغفل عن التأمل فيها :

في تذكرة الخواص[1] عن هشام بن محمد الكلبي ، وفي الأغاني بسنده عن عمر بن شبة موقوفاً عليه[2] ، وفيه عن أبي الزناد[3] ، وبين الروايات بعض التفاوت، ونحن نأخذ ما نذكره من مجموعها[4] .

قال هشام : اجتمع على باب سكينة بنت الحسين عليها السلام جماعة من الشعراء لتخاير بينهم ، وكانوا يرضون بحكمها لما يعرفون من أدبها وبصارتها بالشعر ، فأحسنت ضيافتهم وأكرمتهم، وكان فيهم الفرزدق وجرير وكثير عزة وجميل ونصيب .

وفي رواية أبي الفرج أنهم اجتمعوا في ضيافتها فمكثوا أيامًا ، ثم أذنت لهم فدخلوا عليها ، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم. وقال هشام : فنصبت بينها وبينهم ستارة ، وأذنت لهم فدخلوا عليها ، وكانت لها جارية قد روت الأشعار والأخبار وعلّمتها الأدب ، فخرجت من عندها

---

(١) تذكرة الخواص : ٢٣٤ .

(٢) الأغاني ١٦/١٧٠.

(٣) المحاسن والمساوئ ، البيهقي : ٢٣٩ .

(٤) ورد الخبر في تاريخ مدينة دمشق عن محمد بن سلام ٢٦١/١١ ، وعن حماد الراوية ٢٠٩/٦٩ ، وعن عوانة بن الحكم ٢١٣/٦٩ ، وعن ابن الفرزدق ٢١٥/٦٩ بألفاظ متفاوتة وأبيات فيها اختلاف .

الجارية - وفي رواية أبي الفرج : ومعها قرطاس - فقالت : أيكم الفرزدق ؟ فقال : ها أناذا ، فقالت : ألست القائل :

همـا دلّتـاني مِـن ثمـانينَ قامـةً   كما انْقضّ بازٍ أقْتَمُ الرّيشِ كَاسِرُهْ
فلمّـا اسْـتَوت رِجـلاي في الأرضِ   أحـيٌّ فيُرْجَـى أمْ قتيـلٌ نُحَـاذِرُهْ[1]

وزاد أبو الفرج :

فقلتُ ارْفَعوا الأمْرَاسَ لا يشْعُرُوا بنا   وأقبلـتُ في أعْجَـازِ ليـلٍ أُبـادِرُهْ
أُبـادرُ بَـوَّابينِ قـد وكّـلا بنـا   وأحمـر مِـن سـاجٍ تَـبُصُّ مسامِرُهْ[2]

فقال : نعم ، فقالت : فما الذي دعاك إلى إفشاء السر؟! خذ هذه ألف دينار والحق بأهلك . هذه رواية هشام ، ونحوها رواية أبي الفرج .

وفي رواية أخرى لأبي الفرج عن أبي الزناد : أن الفرزدق لما قال : ها أناذا ، قالت : أنت الذي تقول : أبيتُ أمنِّي النفسَ أنْ سوف نلتقي ... وذكرت له جملة من أبياته إلى أن جاءت على قوله هما دلّتاني عن ثمانين قامة .... قال : نعم ، قالت : سوأةً لك أفشيت السرّ ، فضرب بيده على جبهته ، وقال : نعم فسوأة لي .

ثم دخلت الجارية على مولاتها وخرجت وقالت أيُّكم جرير ؟ فقال : ها أناذا ، قالت : أنت القائل :

رُزقنـا بـه الصّيدَ الغزيـرَ ولم نكُـنْ   كمَـنْ نَبْلُـهُ مَحرُومَـةٌ وحَبَائِلُـهْ
فَهَيْهَـاتَ هَيْهَـاتَ العَقِيـقُ ومَـنْ بـهِ   وهَيْهَـاتَ حـيٌّ بـالعقيقِ نُواصِلُهْ

قال : نعم ، قالت : أحسن الله إليك ، وأنت القائل :

كـأنّ عُيُـونَ الـمُجْلتَينَ تعرّضَـت   وشمسًا تَجلّـى يـومَ دُجْـنٍ سَحَابُها
إذا ذُكِـرَتْ للقَلْـبِ كَـادَ لـذِكْرِهَا   يَطِـيرُ إليهـا واعْتَـرَاهُ عَـذَابُها

قال : نعم ، قالت : أحسنت ، وأنت القائل :

---

(١) لعل أول من وجّه نقدًا لهذه الأبيات الشاعر جرير ، راجع الوافي بالوفيات ٢٧/٢٢٦ .

(٢) وردت الأبيات باختلاف في ألفاظها عند البيهقي في المحاسن والمساوئ : ٢٤٠ .

سَرَتِ الهُمُومُ فبِتْنَ غيرَ نِيَامِ وأخُو الهُمومِ يَرُومُ كلَّ مَرَامِ
طرقتكَ صَائدَةُ القُلوبِ وليسَ ذا وقتَ الزِّيارةِ فارْجعي بسلامِ[١]
لو كانَ عهْدُكِ كالّذي حَدّثتني لوَصَلتِ ذاكَ فكَانَ غيرَ لِمَامِ
تُجْرِي السِّوَاكَ على أغرَّ كأنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غمَامِ

قال : نعم ، قالت : سوأة لك ، جعلتها صائدة القلوب حتى إذا أناخت ببابك جعلت دونها حجابا ؟! ألا قلت :

طرقتكَ صَائِدةُ القُلوبِ فَمَرْحَبًا نفْسِي فِداؤكِ فادْخُلِي بِسَلامِ

قال : نعم فسوأة لي ، قالت : فخذ هذه الألف دينار والحق بأهلك[٢].

ودخلت الجارية وخرجت وقالت : أيُّكم كثير عزة ؟ فقال : ها أناذا ، فقالت : أنت القائل:

وأعجبني يا عَزُّ مِنْكِ خَلائِقٌ حِسَانٌ إذا عُدَّ الخَلائِقُ أرْبَعُ
دُنُوُّكِ حتى يَطمَعَ الصَّبُّ في الصِّبَا وقَطْعُكِ أسْبَابَ الصِّبَا حِينَ تَقْطَعُ
فواللهِ مَا يَدْرِي كَرِيمٌ مَطِلْتِه أيَشْتَدُّ إنْ قاضاكِ أمْ يتَضرَّعُ[٣]

قال : نعم ، قالت : أعطاك الله مناك ، وأنت القائل :

هنيئًا مَرِيئًا غيرَ داءٍ مُخَامرٍ لعزَّةَ مِن أعرَاضِنا ما اسْتَحَلَّتِ
فما أنا بالدّاعي لعزَّةَ في الوَرَى ولا شَامِتٌ إنْ نَعْلُ عَزَّةَ زَلَّتِ
وكنتُ كَذِي رجْلَيْنِ،رجلٍ صَحيْحةٍ ورجلٍ رَمَى فيها الزَّمانُ فَشَلَّتِ

قال : نعم . قالت : أحسن الله إليك .

(١) مما عيب على جرير ، راجع كتاب العمدة لابن رشيق : ٤٠٦ .

(٢) ورد في الأغاني ٤٢/٨ ، أن جريرًا جاء منفردًا إلى باب سكينة بنت الحسين عليها السلام يستأذن عليها ، فلم تأذن له ، وخرجت إليه جارية لها فقالت : تقول لك سيدتي : أنت القائل : طرقتك صائدة القلوب ... فخذ هذين الألفين فالحق بأهلك .

(٣) ورد في المحاسن والمساوئ للبيهقي بلفظ مختلف : ٢٤١ .

وفي رواية تذكرة الخواص أنها قالت لكثير : أنت القائل :

يقــرُّ بعَيْنِـــي مَـــا يَقَــرُّ بعَيْنِهَـــا   وأحْسَنُ شَيءٍ مَا بِه العَيْنُ قَرّتِ[1]

قال : نعم ، قالت: أفسدت الحبَّ بهذا التعريض ، خذ هذه ألف دينار وانصرف .

ثم دخلت الجارية وخرجت وقالت : أيُّكم نصيب ؟ فقال : ها أناذا ، قالت : أنت القائل :

ولـــولا أنْ يُقَـــالَ صَـــبَا نُـصَيْبٌ   لقلـتُ بنفـسيَ النَّـشَأُ الـصِّغَارُ

ألا يَـــا لَيْـــتَني قَـــامَرْتُ عَنْهَـــا   وَكَـــانَ يَحِـــلُّ للنّـــاسِ القِمَـــارُ

فـصَارَت في يـدي وقُمِـرْتُ مَـالي   وذاكَ الـرِّبحُ لـو عَلـمَ التُّجَـارُ

علـى الإعـراضِ منهـا والتَّـواني   فـإنْ وَعـدتْ فمَوعِـدها ضِـمَارُ

بنفـسي كـلُّ مهـضُومٍ حـشَاها   إذا قهَـرتْ فلـيس بهـا انْتِـصارُ

قال : نعم ، قالت : والله إن إحداهن لتقوم من نومتها فما تحسن أن تتوضأ ، لا حاجة لنا في شعرك .

وفي رواية تذكرة الخواص أنها قالت لنصيب : أنت القائل :

مِـنْ عاشِـقَينِ تَواعَـدا وتَرَاسـلا   حتّـى إذا نَجْـمُ الثُّـرَيَّا حَلّقَـا

باتـــا بـــأنْعمِ ليْلـــةٍ وألـــذِّها   حتّـى إذا وضَـحَ الـصَّبَاحُ تَفرَّقَـا

قال : نعم ، قالت : وهل في الحبِّ تدان ؟! خذ هذه ألف دينار وانصرف .

ثم دخلت الجارية وخرجت وقالت : أيُّكم جميل ؟ قال : ها أناذا . قالت : أنت القائل :

---

(١) البيت ليس لكثير وإنما للأحوص : مرّ به جرير وهو يفسق بامرأة وينشد البيت فقال جرير للأحوص : فإنه يقرّ بعينها أن تقعد على مثل ذراع البكر ، أفتراك تفعل ذلك ؟ الإمتاع والمؤانسة: ٢٦٦ .

لقد ذَرفتْ عيني وطال سفُوحُها ... وأصبحَ مِنْ نفسي سَقيماً صَحيحُها
ألا ليتنا كنّا جميعًا وإنْ نَمُتْ ... يجاورُ في الموْتَى ضَرِيحي ضرِيحُها
أظلُّ نهاري مُستَهامًا ويَلتقي ... معَ الليلِ رُوحي في المنَامِ ورُوحُها
فهل ليَ في كِتمانِ حُبّيَ رَاحةٌ ... وهل تنْفَعنّي بَوحةٌ لو أبُوحُها

قال : نعم ، قالت : بارك الله عليك ، وأنت القائل :

خليلَيَّ فيما عِشْتما هلْ رأيتُما ... قتيلاً بكى مِنْ حُبِّ قاتِلِه قَبْلي
أبيتُ معَ الهُلاكِ ضَيفًا لأهلِها ... وأهلي قريبٌ مُوسعون ذَوو فَضْلِ
فيا ربِّ إنْ تَهْلَك بُثينةُ لا أعِشْ ... فواقًا ولا أفْرَحْ بمالي ولا أهلي
ويا ربِّ إنْ وَقَّيتَ شيئًا فوَقِّها ... حُتوفَ المنايا ربِّ واجْمَع بها شَمْلي

قال : نعم ، قالت : أحسنت أحسن الله إليك ، وأنت القائل :

ألا ليتَ شِعري هل أبيتَنّ ليلةً ... بوادي القِرَى إني إذًا لسعيدُ
لكلّ حديثٍ عندهنَّ بَشَاشَةٌ ... وكلُّ قتيلٍ بينهنَّ شهيدُ
ويا ليتَ أيَّامَ الصِّبا كُنّ رُجّعًا ... ودَهرًا تَولّى يا بُثينُ يَعودُ

قال : نعم ، قالت : لله أنت ، جعلت لحديثها ملاحة ، وبشاشة وقتيلها شهيدًا ، وأنت القائل :

ألا ليتَني أعْمَى أصَمُّ تَقُودُني ... بُثينةُ لا يَخْفَى عليَّ مكانُها

قال : نعم ، قالت : قد رضيت من الدنيا أن تقودك بثينة وأنت أعمى أصمُّ ؟! قال : نعم .

ثم دخلت الجارية وخرجت ومعها مدهن فيه غالية ومنديل فيه كسوة ، وصرَّة فيها خمسمائة دينار ، فصبَّت الغالية على رأس جميل حتى سالت على لحيته ، ودفعت إليه الصرَّة والكسوة ، وأمرت لأصحابه بمائة مائة[1] .

---

(١) وفي رواية ابن عساكر أنها أمرت للشعراء بألف ألف ٢١٢/٦٩ .

وفي رواية تذكرة الخواص أنها قالت لجميل : جزاك الله خيراً ، جعلت لحديثنا بشاشة ، وقتيلنا شهيدًا ، قد حكمنا لك على الجميع ، خذ هذه أربعة آلاف دينار وانصرف راشدًا[1].

الصنعة الأدبية :

إن المتأمل لمثل هذا الخبر يجد بروز الصنعة الأدبية من خلال جمع بعض الآراء النقدية الموجَّهة لأبيات متفرِّقة والتي أشرنا لبعضها في الهامش ، وصبِّها في قالب قصصي جُمعت فيه تلك الآراء لتكون بطلته السيدة سكينة عليها السلام .

تهافت الخبر :

ولعل تهافت الخبر من حيث عدد المجتمعين من الشعراء ، ثم تهافت الأبيات واختلافها في المصدر الواحد أحيانًا ، ونسبة بعض الأبيات لغير شعرائها ، دليل آخر على اختلاق قصة لتضمين آراء نقدية ذكرنا بعضها منسوبًا لغير السيدة سكينة عليها السلام في هامش الخبر .

الغزل الفاحش :

ثم تأمل انصباب الأبيات في غرض شعري واحد وهو الغزل الذي لا يخلو من الفحش أحيانًا ، كل ذلك مدعاة للشك في ذلك الخبر الذي غلّف بقولهم إن السيدة سكينة عليها السلام لم تكن تحادثهم إلا من خلال جارية ، وذلك لتمرير الخبر .

القيم والعادات :

وإذا أضفنا إلى ذلك تعارض الخبر مع القيم الاجتماعية والعرفية حيث تضمن اجتماع الشعراء على باب امرأة لنيل عطاياها ونوالها ، وهو ما لم

---

(١) أعيان الشيعة ٣/٤٩٣ـ٤٩٤ .

تعهده العرب والشعراء كان ذلك كافيًا لرفض هذا الخبر وأمثاله .

نسبة الخبر لعمر بن عبدالعزيز:

ورد اجتماع الشعراء الماضي ذكرهم عند باب عمر بن عبدالعزيز الذي وجّه النقد لذات الأبيات ثم صرفهم دون عطاء [1] ، بينما السيدة سكينة عليها السلام أغدقت عليهم من العطاء ، فيا له من تشابه مريب ! ويا له من اختلاف غريب !

مفاتيح الخبر:

ورغم كل ما سبق يكاد يكون اجتماع الشعراء عند باب السيدة سكينة عليها السلام من المسلمات الأدبية ، بل وحتى في المصادر التاريخية لكثرة من نقله بعد صاحب الأغاني حتى اشتهر وذاع في الآفاق ، فأورده أو ألمح إليه كل من ترجم لحياة السيدة الجليلة سكينة عليها السلام.

ويمكننا الجزم باختلاق هذا الخبر إذا ما تأمّلنا العناصر التالية :

١) تحديد زمن اجتماع الشعراء .

٢) النظر في أحوال الشعراء وإمكانية اجتماعهم .

٣) النظر في الحوادث التاريخية المرتبطة ببعض الأبيات .

زمن الخبر:

يمكننا القول بأن مفتاح الخبر هو تحديد زمن اجتماع الشعراء وقد جاء أن اجتماعهم على باب السيدة سكينة عليها السلام حصل وهي تحت مصعب بن الزبير [2]. أي قبل وفاته عام ٧٢هـ .

---

(١) البداية والنهاية ٢٩٠/٩ ، العقد الفريد ٣٠٧/١ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢١٣/٦٩ .

أحوال الشعراء زمن الخبر:

١) إذا ما نظرنا في أحوال الشعراء الواردة أسماؤهم وجدنا أن بعضهم كانوا خاملي الذكر مغمورين ، كجرير الذي ما عُرف على الساحة إلا زمن ولاية الحجاج للمروانيين [1] ،أي بعد زوال الدولة الزبيرية ، ويكاد ديوان جرير يخلو من أي إشارة تدل على موقفه من أحداث تلك الفترة سوى التذكير بخيانة مجاشع للزبير [2].

٢) وإذا تأملنا في قول الفرزدق :

هما دلّتاني مِن ثمانينَ قامةً كما انْقَضّ بازٍ أقْتَمُ الرّيشِ كَاسِرُهْ

علمنا أن الفرزدق قد بلغ الثمانين من عمره (ثمانين قامة) قبل زمن اجتماع الشعراء أي قبل عام ٧٢هـ وهو المتوفى عام ١١٠هـ ، وللأبيات حادثة تاريخية أخرجه على إثرها مروان من المدينة وهو واليها لمعاوية [3].

إشكال وردُّه:

فإن قيل : إن ذلك دليل على أن اجتماع الشعراء وقع بعد زمن مصعب وليس بين أيدينا دليل تاريخي يشير إلى ذلك .

قلنا إن الفرزدق ما بلغ الثمانين من عمره - وهوالمتوفى عام ١١٠هـ - إلاّ وشاعر آخر قد قضى نحبه ألا وهو جميل بثينة المتوفى عام ٨٢ هـ ، بل إنه لم يكن موجودًا في المدينة بعد زوال دولة بني الزبير ، إذ شُكي جميل إلى والي المدينة فهرب إلى الشام زمن الخليفة عبدالملك [4].

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان : القسم الأول : ٢٧٣ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير : ٥٧٢ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٢٧٣ ، وفيات الأعيان ٩١/٦ .

(٤) تاريخ الأدب العربي ، بلاشير : ٧٧٦ .

ب) اجتماع رواة الشعراء :

تنبَّه البعض لاستحالة اجتماع الشعراء على باب السيدة سكينة عليها السلام لذا زعموا أن المجتمعين هم راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص[١]، وليس الشعراء ، ثم ذكروا لذلك الاجتماع ذات الأبيات .

وبهذا المخرج يمكن تضليل المتتبِّع بأسماء أقل معرفة وشهرة ، وقد فات أولئك أن كثير عزة كان راوية جميل[٢]، وهذا يعني وجود راوية كثير وكثير نفسه باعتباره راوية جميل ، وهذا ما لا يشير له الخبر من قريب أو من بعيد .

---

(١) الأغاني ١٦/ ١٧٢ ، الوافي بالوفيات ١٥/١٨٣ ، نور الأبصار : ١٧٥ .

(٢) وفيات الأعيان ١/٣٦٦ ، خزانة الأدب ٥/ ٢٢٠ ، الوافي بالوفيات ٢٧/١٩٦ ، تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان : القسم الأول : ٢٥٣ .

الأزواج

الفصل الأول : أسباب رفض تلك الزيجات

١) العداء .

٢) الكفاءة.

الأزواج

الفصل الأول : أسباب رفض تلك الزيجات

وقفة تمهيدية :

مما ورد في كتاب سليم بن قيس الكوفي المتوفى عام ٧٦هـ عن الإمام الباقر عليه السلام : (ما لقينا أهل البيت من ظلم قريش وتظاهرهم علينا وقتلهم إيانا ، وما لقيت شيعتنا ومحبونا من الناس ، إن رسول الله ﷺ قبض وقد قام بحقنا وأمر بطاعتنا وفرض ولايتنا ومودتنا ... ثم لم نزل أهل البيت منذ قبض رسول الله ﷺ نذلُّ ونقصى ونحرم ونقتل ونطرد ونخاف على دمائنا وكل من يحبُّنا ، ووجد الكاذبون لكذبهم موضعًا يتقرَّبون به إلى أوليائهم وقضاتهم وعمَّالهم في كل بلدة ، يحدِّثون عدوَّنا وولاتهم الماضين بالأحاديث الكاذبة الباطلة ، ويروون عنا ما لم نقل ، تهجينًا منهم لنا وكذبًا منهم علينا ،وتقرُّبًا إلى ولاتهم وقضاتهم بالزور والكذب ، وكان عظم ذلك وكثرته في زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت الشيعة في كل بلدة ، وقطعت أيديهم وأرجلهم ، وصلبوا على التهمة والظنَّة من ذكر حبِّنا والانقطاع إلينا ، ثم لم يزل البلاء يشتدُّ ويزداد إلى زمان ابن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام ثم جاء الحجاج فقتلهم بكل قتلة ، وبكل ظنَّة ، وبكل تهمة حتى أنّ الرجل ليقال له : زنديق أو مجوسي كان ذلك أحبَّ إليه من أن يشار إليه أنه من شيعة الحسين صلوات الله عليه ، وربما رأيت الرجل الذي يذكر بالخير ـ ولعله يكون ورعًا صدوقًا ـ يحدِّث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل من قد مضى من الولاة ، لم يخلق الله منها شيئًا قط ، وهو يحسب أنها حق ، لكثرة من قد سمعها منه ممن لا يعرف بكذب ولا بقلَّة ورع ، ويروون عن علي عليه السلام أشياء قبيحة ، وعن الحسن وعن الحسين عليهما السلام ما يعلم الله أنهم قد رووا في ذلك الباطل والكذب والزور .

قال : قلت : أصلحك الله ، سمِّ لي من ذلك شيئًا ... حتى عدَّد أبو

جعفر عليه السلام أكثر من مائة رواية يحسبون أنها حق ، فقال : هي والله كلها كذب وزور ...)[1].

تاريخ لا يركن إليه :

بعد هذه الرواية الواردة في أقدم الكتب التاريخية التي بين أيدينا أجد أن قلبك يعتصر ألمًا على مصاب العترة الطاهرة ، وأجد نفسي منبهرًا أمام هذا الكمِّ التاريخي المزيَّف في ذلك الزمن المتقدِّم على بدايات تدوين التاريخ ، كما أجد نفسي أردِّد ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام : (وربما رأيت الرجل الذي يذكر بالخير ـ ولعله يكون ورعًا صدوقًا ـ يحدِّث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل من قد مضى من الولاة لم يخلق الله منها شيئًا قط ، وهو يحسب أنها حق ، لكثرة من قد سمعها منه ممن لا يعرف بكذب ولا بقلَّة ورع) ثم أُعيد وأُعيد ترديد ما روي عنه عليه السلام : (لا يعرف بكذب ولا بقلَّة ورع) وأضعها أمام قوله (حتى عدد أبو جعفر عليه السلام أكثر من مائة رواية يحسبون أنها حق ، فقال : هي والله كلها كذب وزور) .

فإذا كان هذا حال التاريخ الذي تناقلته أمَّتنا وخطَّته كتبهم قبل عام وفاة سليم بن قيس (٧٦هـ) فعلى التاريخ فليبك الباكون ، وليقف لتحاكمه الأجيال جيلاً بعد جيل لغربلته ،ولتركل الزائف منه إلى مزبلة التاريخ العفن .

ويحقُّ لنا أن لا نركن لكل ما أورده التاريخ كذبًا وعدوانًا في حق السيدة سكينة عليها السلام وبالخصوص ما ورد من أخبار زيجاتها المتعددة ، حتى لو لم نمتلك الدليل التاريخي لردّ هذا الكمِّ المتراكم من الأباطيل التاريخية .

---

(١) كتاب سليم بن قيس الكوفي : ١٠٨ ، كما أورد جلَّها ابن أبي الحديد في شرح النهج ١١/ ٤٣ .

زيجات متكثرة :

وقد بلغ التاريخ في ظلمه أن أوصل زيجات السيدة سكينة عليها السلام إلى ست زيجات في الخبر الواحد ، أمّا إذا تتبّعت جميع الأسماء في مجموع الأخبار فإنها تبلغ إحدى عشرة زيجة .

ولك أن تتخيَّل مدى الجهد الذي بذله المؤرِّخون وأهل النسب والأدب لكي تستقيم مثل هذه الزيجات في نسق تقبله العقول وتذعن له النفوس ، ولك أن تتخيَّل كيف يمكن إزالة هذا الكم من الركام التاريخي الذي تعاقبت على تشييده أجيالٌ كانت تهدف للنيل من أجر الرسالة المحمدية .

ويمكننا إجمال أسباب رفض تلك الزيجات في أمرين : عداء تلك البيوت لأهل البيت عليهم السلام والكفاءة .

١) عداء تلك البيوت لأهل البيت عليهم السلام :

بَـني هاشـمٍ إنّـا ومَـا كـانَ بيننَـا
كَصدْعِ الصَّفا لا يَـرْأبُ الدَّهرَ شَاعِبُه[1]

إذا ما تأمّلنا في الأسماء المطروحة كأزواج للسيدة سكينة عليها السلام وجدنا الزبيري والمرواني والعثماني ... وهي بيوت معادية لأهل البيت عليهم السلام ولا نحتاج إلى إثبات ذلك العداء بالأدلة التاريخية ، فكتب التاريخ تطفح بما يدلّل على هذا العداء ، وكل من حاول أن يثبت خلافه فهو يحاول إخفاء الشمس بكفّه .

وهو عداء أقرَّ به المتقدِّمون ولم ينكروه ، لذا خلقوا أعذارًا لتلك الزيجات الغير المنسجمة مع الذوق العام ، ومن المتأخرين من ينكر هذا العداء ، إذ ذهب بعضهم إلى : أن السلف الصالح كان بينهم من الودّ ما يكفي لأن يقيموا علاقات تصاهر ، لا كما يدعي الشيعة أن بينهم فرقة[2] ، وكانت السيدة سكينة عليها السلام بزيجاتها التاريخية المكذوبة إحدى نماذجه وأمثلته الدالة على ما ذهب إليه .

ظاهرة تاريخية :

ولن نخوض مع القائل بتوادِّ السلف الصالح في الأدلة التاريخية على ذلك العداء لنجابه بتفسيراتها وصحتها وضعفها ... وإنما نحيله إلى ظاهرة تاريخية تحتاج لتفسير منه ألا وهي : إقصاء آل أبي طالب عليه السلام في تلك الفترة التاريخية التي زعموا توادّهم فيها من تولي أيِّ منصب ـ سواءً كان إداريًا أو سياسيًا أو عسكريًا ـ في الدولة الإسلامية رغم ما يمتلكونه من قدرات

---

(١) للوليد بن عقبة بن أبي معيط ، كتاب نسب قريش للمصعب : ١٣٩ .

(٢) انظر كتاب رحماء بينهم ، صالح الدرويش .

تفوق قدرات كل من تقلّد تلك المناصب .

سـنَّ الـضغائنَ آبـاءٌ لنـا سـلَفوا   فَلَـن تَبيـدَ وللآبـاءِ أبنـاءُ[1]

(١) ذكر البيت ابن قتيبة غير منسوب في عيون الأخبار ٩١/٣ ، وذكره الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٣٢/١٧ منسوبًا للسفاح .

٢) الكفاءة :

كأنّ المالكِينَ نكاحَ سَلْمَى … غداةَ يَرُومُها مَطَرٌ نِيامُ
فإنْ يكنِ النّكاحُ أحلَّ شيئًا … فإنَ نِكاحَها مطرٌ حَرَامُ
فلو لمْ ينْكِحوا إلاّ كَفيأً … لكانَ كَفيّها الملكُ الهُمامُ[1]

وهي قائمة على الأعراف القبلية السائدة في ذلك العصر وحتى يومنا هذا فمكانة بني هاشم بمآثرهم وسجاياهم لا تضاهيها أي مكانة .

تنشى التلاوةُ في أبياتِهمْ سَحرًا … وفي بيوتِكمُ الأوتارُ والنّغمُ[2]

بناتنا لبنينا ، وبنونا لبناتنا :

إن المتأمِّل في البيت الهاشمي يجد أن بني هاشم يحتْوون نساءهم ضمن الإطار الأسري ، وعند ملاحظتنا كتب التاريخ والأنساب نجد أن هذه الظاهرة الاجتماعية منتشرة غير منكرة ، وقد تنبَّه ابن قتيبة إلى ذلك حين قال : وكانت سائر بنات علي عند ولد عقيل وولد العباس[3] ، فكان ذلك مصداق ما ورد عن النبي ﷺ حين نظر إلى أولاد علي وأولاد جعفر عليهما السلام ، فقال : ((بناتنا لبنينا ، وبنونا لبناتنا))[4].

بل إن هذه الظاهرة أكثر وضوحًا في البيت الهاشمي والدّاخلين فيه من غيرهم (لا تخرجن أم إسحاق من دوركم)[5]، إذ تظل المرأة بعد وفاة

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي : ٦٦٨ والأبيات للأحوص ، الديوان : ١٩٠ .

(٢) أبو فراس الحمداني ، الغدير ٤٠١/٣ .

(٣) المعارف ، ابن قتيبة : ٢١١ .

(٤) فقه الرضا ، علي بن بابويه : ٣٥٥ ، من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ٣٩٣/٣، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٩٠/٣ .

(٥) جاء في تاريخ مدينة دمشق على لسان الإمام الحسن عليه السلام ١٧/٧٠ مخاطبًا أخاه

زوجها محتضنة ضمن ذلك الإطار الأسري ولعل أحد أسباب بروز هذه الظاهرة في البيت الهاشمي محاولة الأطراف السياسية استقطاب بني هاشم، والتفات بني هاشم إلى ذلك . لذا ورد على ذمة التاريخ: (أن علي بن أبي طالب قد أمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب أن يتزوَّج أمامة بنت أبي العاص بن الربيع زوجته بعده ؛ لأنه خاف أن يتزوَّجها معاوية ، فتزوَّجها المغيرة)[1].

هل قريش قبيلة متناغمة ؟

وهنا يجب التنبيه على كون قريش وإن كانت قبيلة واحدة إلا أن المتتبع لأحداث التاريخ يلاحظ غياب الحس القبلي في هذا الصراع وظهور الحس الأسري ، ومما يدلُّنا على ذلك قول عبدالله بن عباس ﷺ في كلام يُجيب به عبدالله بن الزبير : والله إنه لمصلوب قريش ، ومتى كان عوّام بن عوّام يطمع في صفية بنت عبدالمطلب ؟ إنما أنت كما قيل للبغل : من أبوك يا بغل ؟ فقال : خالي الفرس)[2].

شواهد تاريخية :

وإذا استنطقنا كتب التاريخ جاء على لسانها كثير من الأحداث

الحسين حينما حضرته الوفاة وأم إسحاق هذه تزوجها (على ذمة التاريخ) بعده الإمام الحسين عليه السلام، وقد وقف من هذا الخبر بل من زواج الإمام الحسين عليه السلام من أم إسحاق أستاذنا صاحب عبق من السيرة الحسينية موقف المشكك والرافض ، راجع ما كتبه:٣٢١.

(١) الاستيعاب ، ابن عبد البر ١٧٨٩/٤ ، ذخائر العقبى للطبري : ١٦١ . وقد أورد ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ٩٠/٣ (خطب المغيرة بن نوفل أمامة ، ثم أبو الهياج بن أبي سفيان بن الحارث ، فروت عن علي عليه السلام أنه لا يجوز لأزواج النبي والوصي أن يتزوَّجن بغيره بعده ، فلم تتزوَّج امرأة ولا أم ولد بهذه الرواية) .

(٢) الكامل في اللغة والأدب للمبرد : ٦٥١ .

والشواهد مؤسسة على فكرة العداء والكفاءة ، وسنذكر منها شاهدين:

الشاهد الأول : تزويج بنت عبدالله بن جعفر لابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر :

تحدّث الزبيريون أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة: أما بعد ، فإن أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يردَّ الألفة ويسلَّ السخيمة ويصل الرحم ، فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إلى عبدالله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد ... فقال عبدالله : إن خالها الحسين ، بينبع وليس ممن يفتأت عليه فأنظرني إلى أن يقدم ... فلما قدم الحسين ذكر له ذلك عبدالله بن جعفر ، فقام من عنده ، ودخل على الجارية وقال : يا بنية إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات [(1)].

هذه رواية العامة ، وأما الخاصة فقد حوت روايتهم لطائف توضح الصورة الاجتماعية في ذلك العصر ومبدأ الكفاءة والعداء .

فقد ورد أن : الإمام الحسن عليه السلام خطب عائشة بنت عثمان فقال مروان : أزوِّجها عبدالله بن الزبير، ثم إن معاوية كتب إلى مروان - وهو عامله على الحجاز - يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر لابنه يزيد ، فأبى عبدالله بن جعفر، فأخبره بذلك، فقال عبد الله : إن أمرها ليس إليَّ إنما هو إلى سيدنا الحسين وهو خالها ، فأخبر الحسين بذلك فقال : أستخير الله تعالى ، اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد .

فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين عليه السلام وعنده من الجلّة ، وقال : إن أمير المؤمنين أمرني بذلك وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ، مع صلح ما بين هذين الحيين ، مع قضاء دينه واعلم أن من يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبطه بكم ، والعجب

---

(١) معجم البلدان ، الحموي ٤٦٩/١ ، المغانم المطابة في معالم طابة للآبادي : ٥٩ .

كيف يستمهر يزيد وهو كفو من لا كفو له وبوجهه يستسقى الغمام ، فردَّ خيرًا يا أبا عبدالله . فقال الحسين عليه السلام : الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه ، واصطفانا على خلقه ... إلى آخر كلامه ، ثم قال : يا مروان ، قد قلت فسمعنا ، أما قولك : مهرها حكم أبيها بالغًا ما بلغ ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله في بناته ونسائه وأهل بيته وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهمًا ،وأما قولك : مع قضاء دين أبيها ، فمتى كان نساؤنا يقضين عنا ديوننا ؟ وأما صلح ما بين هذين الحيين فإنا قوم عاديناكم في الله ولم نكن نصالحكم للدنيا ، فلعمري فلقد أعيى النسب فكيف السبب ، وأما قولك : العجب ليزيد كيف يستمهر فقد استمهر من هو خير من يزيد ومن أب يزيد ومن جدٍّ يزيد ،وأما قولك : إن يزيد كفو من لا كفو له فمن كان كفوه قبل اليوم فهو كفوه اليوم ما زادته إمارته في الكفاءة شيئاً ، وأما قولك : بوجهه يستسقى الغمام ، فإنما كان ذلك بوجه رسول الله ، وأما قولك : من يغبطنا به أكثر ممن يغبطه بنا ،فإنما يغبطنا به أهل الجهل ، ويغبطه بنا أهل العقل ، ثم قال بعد كلام : فاشهدوا جميعًا أني قد زوجت أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر من ابن عمِّها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهمًا ، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة ، أو قال : أرضي بالعقيق ، وإن غلَّتها في السنة ثمانية آلاف دينار ،ففيها لها غنى إن شاء الله.

قال : فتغيّر وجه مروان ، وقال : أغدرًا يا بني هاشم ، تأبون إلا العداوة، فذكّره الحسين خطبة الحسن عائشة وفعله ، ثم قال : فأين موضع الغدر يا مروان ؟ فقال مروان:

أردنا صِهرَكم لنُجِدَّ ودّاً قد اخْلَقَهُ به حَدَثُ الزّمانِ
فلمَّا جئتُكم فجَبَهتُموني وبُحتم بالضّميرِ منَ الشّنَانِ

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم :

أمـاطَ اللّهُ مـنهم كـلّ رجـسٍ   وطهّـرهم بـذلك في المثـاني
فمـا لهـمُ سـواهمْ مـن نظـيرٍ   ولا كُـفْءٌ هنـاكَ ولا مُـداني
أيجعـلُ كـلَّ جبـارٍ عنيـدٍ   إلى الأخيـارِ مِـن أهـلِ الجنـانِ[1]

الشاهد الآخر : احتجاج أروى بنت الحارث على معاوية :

ورد لأروى بنت الحارث بن عبدالمطلب احتجاج على معاوية مشهور ، ضم في جنباته بيانًا لكثير من الحقائق التاريخية ، وجاء في ذيله قول معاوية لها : وما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت : أزوِّج بها فتيان عبدالمطلب من أكفائهم ... وما سألتك من مالك شيئًا فتمُنّ به ، إنما سألتك من حقنا ، ولا نرى أخذ شيء غير حقنا[2] .

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣/١٩٩ـ ٢٠٠ ، بحار الأنوار ٢٠٧/٤٤ ، أعيان الشيعة ٤٨١/٣ .

(٢) بلاغات النساء ، ابن طيفور : ٢٩ .

الأزواج

الفصل الثاني : النظريات المعللة للزواج

١) نظرية الإغراء المالي .

٢) نظرية القهر .

٣) نظرية عودة الأحلام .

٤) نظرية السجن الكبير .

الفصل الثاني : النظريات المعلّة للزواج

يا لها من نظريات !!

لأن التاريخ كان مطّلعًا على مفهوم الكفاءة والعداء بين تلك البيوتات، وأن ما يطرحه من زيجات السيدة سكينة عليها السلام خلاف الذوق الاجتماعي والإنساني ، حاول أن يصطنع بعض التوجيهات لكي تستقيم هذه الزيجات ويقبلها المتلقي فخرج بنظريات تحاول إيجاد تعليل منطقي لها :

١) نظرية الإغراء المالي :

يدعم هذه النظرية الخبر التاريخي القائل : إن الإمام علي بن الحسين عليه السلام حمل السيدة سكينة عليها السلام إلى مصعب بن الزبير ـ حينما تولى العراق ـ فأعطاه أربعين ألف دينار وأمهر السيدة سكينة عليها السلام بألف ألف[١] .

ويُثبت هذا الخبر التاريخي شاهد أدبي وهو قول أنس بن زنيم معاتبًا عبدالله بن الزبير في ما أقدم عليه مصعب :

أبلغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً ... من ناصحٍ لك لا يُريك خِداعًا
بضْعُ الفتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ ... وتبيتُ قاداتُ الجيوشِ جياعًا
لو لأبي حفصٍ أقولُ مقالَتي ... وأَبُثُّ ما أبْثُثُكمْ لارْتَاعَا[٢]

---

(١) الأغاني ١٥٩/١٦ ، نور الأبصار للشبلنجي : ١٧٥ .

(٢) الأغاني ٣٥٧/٣ .

خبر ساقط :

ليت شعري أعلم القائل والمقرُّ بهذه النظرية أنه أساء الأدب مع الإمام زين العابدين عليه السلام ؟ أم هل اطلع على مقامات أئمة أهل البيت عليهم السلام ؟ فهم ملوك الدنيا والآخرة ، وعندهم خزائن الأرض ، وبذلك شهد لهم التاريخ وأقرَّ في أكثر من موضع ، حتى اشتهر على الألسن (سحر بني هاشم) [1].

لكنها أخبار حملتها كتب التاريخ ، وقد اعتدنا منها الغمز في أهل البيت،ويكذب هذا الخبر ما يلي :

أ) إذا تتَّبعنا صاحب الأبيات ـ وهو أنس بن زنيم ـ وجدناه متوفى نحو عام٦٠هـ[2] ، أي قبل سنة زواج السيدة سكينة عليها السلام المزعوم بمصعب ، وأن الأبيات قيلت في زواجه من عائشة بنت طلحة وسيأتي تفصيله .

ب) يجدر الإشارة هنا إلى أن السيدة سكينة عليها السلام ذات مال على ذمة التاريخ فقد أوفى علي بن الحسين عليهما السلام دينًا للحسين عليه السلام ـ وهو بضع وسبعون ألف دينار ـ من عين يقال لها بجيش بذات خشب حين باعها للوليد بن عتبة بن أبي سفيان بدين الحسين عليه السلام واستثنى منها ما كان للسيدة سكينة عليها السلام [3].

ج) كما تتعارض هذه النظرية ـ وعلى ذمة التاريخ ـ أيضًا مع رفض السيدة سكينة عليها السلام للزواج من عبدالملك بن مروان زمن خلافته[4].

د) أما إن فتَّشت في كتب التاريخ فلن تجد للإمام زين

---

(١) بصائر الدرجات للصفار (ت ٢٩٠هـ) : ٢٩٧ ، خصائص الأئمة للشريف الرضي : ٥٩ ، الخرائج والجرائح للراوندي ٨٠٦/٢ .

(٢) الأعلام للزركلي ٢٤/٢ .

(٣) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ٢٧٠/٣ .

(٤) أنساب الأشراف ، البلاذري ٤١٥/٢ .

العابدين عليه السلام خروجًا من الحجاز إلا إشخاصًا ، فإن دقّقت في الخبر المزعوم كان لزامًا أن يكون خارجًا بعد مقتل المختار إلى العراق ليُسلّم السيدة سكينة عليها السلام لقاتل المختار !

٢) نظرية القهر :

جاء في تذكرة الخواص : أول من تزوَّج السيدة سكينة عليها السلام مصعب بن الزبير قهرًا[١] .

وقائع تاريخية تكذب النظرية :

إن المتتبِّع للتاريخ بعد فاجعة كربلاء يجد مشاعر الموحدين قد توجَّهت وانصرفت نحو أهل البيت عليهم السلام مما أفرز كثيرًا من الأحداث التاريخية ، فكانت ظلامة أهل البيت عليهم السلام بالإضافة لمكانتهم حصنًا ومنعة .

وهذا ما جعل مروان بن الحكم قُبيل واقعة الحرة (٦٣هـ) وبعد أن أخرج أهل المدينة بني أمية يستأمن نساءه الإمام علي بن الحسين عليهما السلام فإذا ما وقعت الحرة وجدنا يزيد يوصي قائد جيشه مسرف بن عقبة بالإمام علي بن الحسين عليهما السلام[٢] .

وبعد أن سيطر ابن الزبير على الحجاز والعراق امتنع بنو هاشم عن بيعته حتى انتهاء دولته وزوالها ، وحين أراد إكراه ابن الحنفية على بيعته بحبسه ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة وتوعَّدهم بالقتل والتحريق بالنار اجتمع من شيعتهم أربعة آلاف فخلَّصوهم ، فخافهم ابن الزبير بعد أن دخلوا المسجد ، فكبَّروا : يا لثارات الحسين[٣] .

الظرف التاريخي :

هذه الأحداث التاريخية في حياة الدولة الزبيرية القصيرة والتي لم يستقم لها الأمر لا تؤهِّل بني الزبير لقهر بني هاشم وإكراههم بالزواج من السيدة

---

(١) تذكرة الخواص لابن الجوزي المتوفى سنة(٦٥٤هـ) : ٢٣٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٣٧٩ ، الكامل في التاريخ ٤/١١٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٥٤٤ . الكامل في التاريخ ٤/٢٥٠ .

سكينة عليها السلام، فالظرف التاريخي غير مهيأ لإكراه بني هاشم على هذا الزواج، إذ الدولة الزبيرية لم تستقرّ فعليًا إلا في الحجاز المتعاطف بعد كربلاء مع أهل البيت عليهم السلام، بينما الشام سيطر عليه المروانيون بالإضافة لمصر، أما العراق فكان يتأرجح بعاصمتيه الكوفة والبصرة بين الزبيريين والمختار الثقفي الموالي لبني هاشم.

إن الظرف التاريخي لم يتهيَّأ للدولة الزبيرية ـ ولا حتى للدولة المروانية بعد إقصاء الدولة الزبيرية ـ من المساس ببني هاشم بأي سوء، وحسبك مقولة عبدالملك بن مروان مخاطبًا الحجاج حين حرَّضه على قتل الإمام علي ابن الحسين عليهما السلام: (جنِّبني دماء بني هاشم)[1].

إن التاريخ ـ وعلى ذمته ـ يذكر أن عبدالملك بن مروان خطب السيدة سكينة عليها السلام بعد مقتل مصعب بن الزبير، فأبته وما قهرها على ذلك وقد استقرَّت له مقاليد الحكم وبسط نفوذه على الدولة الإسلامية[2].

---

(١) الخرائج والجرائح للراوندي ٢٥٦/١، الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي٢/١٨٠.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٤١٥/٢.

٣) نظرية عودة الأحلام :

(استنكر الحجاج على خالد بن يزيد بن معاوية خطبته لرملة بنت الزبير ، فأرسل إليه حاجبه وقال له : قل لخالد : ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني ، ولا كنت أراك تخطب إليهم وليسوا لك بأكفاء وقد قارعوا أباك الخلافة ... فكان من جواب خالد بن يزيد للحجاج : أما قولك : قارعوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيح ، فهي قريش يقارع بعضها بعضًا حتى إذا أقرَّ الله الحق مقرَّه عادت أحلامها وفضلها ... فتزوَّج خالد برملة بنت الزبير)[١].

تعادينا في الله :

نظرية مُعللة لتلك الزيجات المخالفة للذوق العام ، وأحسبك تتفق معي على أن مثل هذا القول لا يمكن تطبيقه على السيدة سكينة عليها السلام فهو رأي يتنافى مع الواقع التاريخي ، إذ القتال هنا ليس واقعًا بين أطفال أو سفهاء يمكن أن يُتجاوز عنه إلى مرحلة أبعد من الصفح وهي التزويج .

كما أن أهل البيت عليهم السلام لم يقاتلوا من أجل دنيا أو كانوا في غفلة ليعودوا إلى أحلامهم ورشدهم ، فإن صحَّ ذلك القول في أسر متناحرة جمعها هدف سياسي دنيوي واحد ، فإنه لا يمكن أن يصحَّ في أسر يفرِّقها الهدف والنتيجة .

ومما روي عن أبي عبدالله عليه السلام : (إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله ، قلنا : صدق الله ، وقالوا : كذب الله ، قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقاتل معاويةُ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقاتل يزيدُ بن معاوية الحسينَ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٢٨/٦٩ .

ابن علي عليهما السلام، والسفياني يقاتل القائم عليه السلام)[١].

وقد صوَّر هذا الواقع شداد بن عامر حين خاطب عبدالملك بن مروان بقوله :

لا يَستَوي الحَبْلانِ ، حَبلٌ تَلَبّست قِواه وحَبْلٌ قَدْ أمرّ شَديدُ
عليكَ أمِيرَ المؤمنينَ بخالدٍ ففي خالدٍ عمّا تُريدُ صُدودُ
إذا ما نَظرنا في مَناكحِ خالدٍ عرفْنا الذي يهوى وحيثُ يريدُ[٢]

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق : ٣٤٦ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٣٤/٢٢ ، الإصابة لابن حجر : ٢٦١/٣ .

٤) نظرية السجن الكبير :

(كان الخلفاء يحجرون على شباب قريش أن يبرحوا الحجاز إلا بإذن فأمسى سجنًا واسعًا لمن فيه منهم ، وازداد أهله انعزالاً وارتباطًا ، فتراحموا وتصاهروا لتصير المدينة مجتمعًا مقطوع القرين ، نرى فيه سكينة بنت الحسين يبني بها مصعب بن الزبير ثم يبني بضرَّة لها عائشة بنت طلحة ... أي أطراف يوم الجمل تجتمع في بيت واحد)[1].

حركة القبائل والأفراد :

نعم هو مجتمع منقطع القرين لأنه مجتمع أوجده المؤرِّخون في عقولهم ثم في كتبهم ، ولا وجود له في الواقع الخارجي .

وإذا ما دقَّقنا في هذه المقالة وجدناها تصطدم مع الواقع الإحصائي التاريخي لحركة القبائل الحجازية وانتقالها من الجزيرة العربية إلى العراق والشام ، وهي لا تحتاج إلى إيضاح .

أما على مستوى الأسر والأفراد فهي أكثر وضوحًا ، فأنت ترى المهاجرين والأنصار ممن صحب الرسول ﷺ قد انتشروا في الأصقاع ، وإن صحَّت تلك المقالة زمن الحاكم الأول والثاني والثالث ، فإنها لا تصحُّ في زمن إدارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي حوّل العاصمة الإسلامية إلى الكوفة ، كما أن هذه النظرية لا تصحُّ في زمن مَنْ غصب الخلافة بعد أمير المؤمنين عليه السلام وزواج السيدة سكينة عليها السلام المزعوم واقع في تلك الفترة التاريخية .

ولعل المتأمِّل في البيت الهاشمي في تلك الفترة التاريخية يجد دخول الكلابية والقضاعية والثقفية كأزواج في البيت العلوي .

(١) الإمام جعفر الصادق لعبدالحليم الجندي : ١٢٨ .

الأزواج

الفصل الثالث : قوائم الأزواج المزعومة

ملاحظات على قوائم الأزواج

تعاقب الأزواج بالطلاق

الفصل الثالث : قوائم الأزواج المزعومة

ورد في كتب التاريخ أن السيدة سكينة عليها السلام مزواجة ، فجاءت قوائمهم بثلاثة أزواج ـ كحد أدنى ـ في المصدر الواحد ، فيما جاءت بعض تلك القوائم بستة أزواج كحد أقصى، وقد ضمَّت بعض الكتب أكثر من قائمة ، فإذا أحصينا الأزواج من مجموع القوائم التاريخية التي بين أيدينا يكون عندنا ما مجموعه أحد عشر زوجًا للسيدة سكينة عليها السلام ولعل هذا العدد في حد ذاته مؤشر لا يمرّ على ذوي الألباب دون أن ينظروا فيه بإمعان.

ثم إذا أضفنا لهذا العدد الأسماء المطروحة والأسر المنتمية لها كان أحرى بالتمعُّن والنظر ، والأسماء التي استطعنا جمعها من مجموع ما ورد من أخبار هي:

١) عبدالله ابن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

٢) مصعب بن الزبير .

٣) عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام .

٤) عمرو بن حكيم بن حزام .

٥) عمر بن الحاكم بن حزام .

٦) زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

٧) عمرو بن عثمان بن عفان .

٨) الزبير بن عمرو بن عثمان بن عفان .

٩) الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان .

١٠) إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف .

١١) عمر ابن الإمام الحسن عليه السلام.

كما أن هناك محاولة زواج لم يتم لها النجاح حين تقدَّم عبدالملك بن مروان لخطبتها فرفضته ، وهذا على ذمة التاريخ طبعًا !

مصادر القوائم :

بين يديك في ما يلي سبع عشرة قائمة لأزواج السيدة سكينة عليها السلام على ذمة التاريخ ، رتَّبتها حسب تاريخ وفاة صاحب الكتاب ، وهي تنتمي لتسعة مصادر على أن بعض تلك المصادر ضمَّت أكثر من قائمة .

فالقائمتان (٢و٣) وردتا في الطبقات ، والقوائم (٦و٧و٨) وردت في المعارف ، والقوائم (١٠و١١و١٢و١٣و١٤و١٥) وردت في الأغاني ، وهي كالتالي :

(١) قائمة المردفات من قريش للمدائني المتوفى عام ٢٢٥هـ ، نوادر المخطوطات ، تحقيق عبدالسلام هارون ١/ ٧١ .

(٢و٣) قائمتا الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى في عام ٢٣٠هـ ، ج٨/ ٤٧٥ .

(٤) قائمة نسب قريش للمصعب الزبيري المتوفى عام ٢٣٦هـ ، ص ٥٩ .

(٥) قائمة المحبر لابن حبيب ، المتوفى عام ٢٤٥هـ ، ص ٤٣٨ .

(٦و٧و٨) قوائم المعارف لابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦هـ . ص ١٢٤ .

(٩) قائمة أنساب الأشراف للبلاذري المتوفى عام ٢٧٩هـ ، ج٢/ ٤١٥.

(١٠و١١و١٢و١٣و١٤و١٥) قوائم الأغاني للأصفهاني المتوفى عام ٣٥٦هـ، ج١٦/ ١٥٨ وما بعدها طبعة دار الكتب العلمية، وقد جاءت فيها القائمة رقم (١٢) مشتملة على عبدالله ، أما طبعة ساسي ج١٤/ ١٦٠ ففيها عمر ابن الإمام الحسن عليه السلام بدل عبدالله، كما ذكرتها بنت الشاطئ في سكينة بنت الحسين ص ٧٩ .

(١٦) واكتفينا بقائمة واحدة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر لمغايرتها للقوائم ، وباعتباره متأخرًا عمن سبق ، فهو متوفى عام ٥٧١هـ ، ج٦٩/٢٠٥ .

(١٧) قائمة دائرة المعارف الإسلامية المترجمة للعربية عن الأصلين الإنجليزي والفرنسي ، طبعة انتشارات جهان ، المجلد الثاني عشر ص ٢٠ ، وهي القائمة الوحيدة الحديثة ، وقد أوردناها لما فيها من خلط عجيب .

جدول القوائم :

م	الزوج الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس
١	عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
٢	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف	—	—
٣	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	—	—
٤	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	—
٥	عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
٦	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	—	—
٧	عمرو بن حكيم بن حزام	عمرو بن عثمان بن عفان	مصعب بن الزبير بن العوام	—	—	—
٨	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف	—
٩	عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
١٠	عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
١١	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	عبدالله بن عثمان الحزامي	مصعب بن الزبير بن العوام	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف	—
١٢	عمر ابن الإمام الحسن عليه السلام	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	مصعب بن الزبير بن العوام	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	عبدالله بن عثمان الحزامي	—
١٣	عمرو بن حكيم بن حزام	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	مصعب بن الزبير بن العوام	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف	—	—
١٤	عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
١٥	عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	مصعب بن الزبير بن العوام	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	—	—
١٦	عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان
١٧	مصعب بن الزبير بن العوام	عبدالله بن عثمان الحزامي	الزبير بن عمرو بن عثمان بن عفان	الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف	عمر بن الحاكم بن حزام

ملاحظات على قوائم الأزواج :

أقدم قوائم وقعت بين أيدينا :

القوائم السابقة عدا الأخيرتين هي قوائم تنتمي لعصور متقدمة تبدأحسب تاريخ وفاة صاحب القائمة بالقرن الثالث الهجري ، وتنتهي بالقرن الرابع .

ونلاحظ أنها لا تتفق فيما بينها إلا ما ندر، وهي خمس عشرة قائمة أضيف لها قائمة من القرن السادس هي قائمة ابن عساكر لمغايرتها لتلك القوائم .

كما أضفنا قائمة حديثة هي قائمة دائرة المعارف ولم نعتمدها في ملاحظاتنا ،وإنما أوردناها لتقف معنا على مدى الخلط والتخبُّط في الأسماء المطروحة كأزواج للسيدة سكينة عليها السلام.

المتأخر يأخذ عن المتقدم :

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ورود قائمة في مصدر من المصادر السابقة لا يعني عدم ورودها في مصادر أخرى ، ولكننا جمعنا لك قوائم المتقدمين ، وإلاّ فالقوائم تطول ، يأخذ فيها المتأخر عن المتقدمين ، وقد أعرضنا عن قائمتين من تاريخ مدينة دمشق لتطابقهما مع قائمتي ابن سعد .

قوائم متوافقة :

كما وردت قوائم في كل من : وفيات الأعيان لابن خلكان ، وتذكرة الخواص لابن الجوزي،ومرآة الجنان لليافعي ، والوافي بالوفيات للصفدي ... وكثير منها يتوافق مع القوائم السابقة ، وهذا يعني أننا حين نستشهد ببعض القوائم فإننا نستشهد بأكثر من مصدر تبعه في تلك القائمة ، وليس بمصدر واحد.

ملاحظات نقدية:

١) لعله يجوز لنا من مجموع القوائم بناء على الإحصاء أن نقول إن أول الأزواج وثانيهم متأرجحان بين عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام ومصعب بن الزبير المتوفى عام٧٢هـ .

أمّا آخر الأزواج فهو إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف المتوفى عام ٧٦ هـ على التحقيق لا على المشهور كما سيأتي بيانه .

فإذا ما استثنينا عبدالله وعمر ابني الإمام الحسن عليه السلام لوقوعهما قبل مصعب ، واستثنينا مصعبًا أيضًا من القوائم السابقة يكون لدينا ثمانية أزواج من أحد عشر زوجًا (بين ٧٢و٧٦ هـ) هذا يعني أن زيجات السيدة سكينة عليها السلام المزعومة والمتكثرة وقعت بين ٧٢ هـ و٧٦هـ أي خلال أربع سنوات فقط ،، وبمعدل زوج كل ستة أشهر،فإذا ما وضعنا في ذلك الحساب الفترة التي تعتدُّها الأرملة والمطلقة كان ذلك مما يصعب علاجه .

٢) جميع القوائم على كثرتها لم تتطابق من حيث الترتيب والكم ، فإن تطابقت أسماء الأزواج في قائمة ما اختلف عددهم ، ولم نرصد سوى أربع قوائم التطابق فيها ترتيبي وكمي وهي (١و٥و٩و١٤) من أصل ست عشرة قائمة ،وهي لثلاثة أشخاص متقاربين زمنيًا ، أولاها للمدائني المتوفى عام٢٢٥هـ ، والثانية للمؤرِّخ محمد بن حبيب البغدادي المتوفى عام ٢٤٥هـ ، والثالثة للنسابة البلاذري المتوفى عام ٢٧٩هـ ، أما القائمة (١٤) فهي لصاحب الأغاني المتوفى عام ٣٥٦هـ ، وكل تلك القوائم تذكر أن أول الأزواج عبدالله ابن الإمام الحسن عليهما السلام

وعلى تطابقهم في الترتيب والكم فإنهم مختلفون في كثير من التفاصيل الواردة في رواياتهم ، حيث جاءت قائمة المدائني أكثر إسهابًا بتفاصيلها ،وكانت قائمة البلاذري أقلَّ تفصيلاً ،بينما جاءت قائمتا محمد بن حبيب وصاحب الأغاني دون تفصيل.

٣) الاختلاط والتداخل والتضارب في تلك القوائم المنتمية لمصادر مختلفة، بل إن هذا التضارب موجود في المصدر الواحد ، وهو مؤشر لمحاولة التكثير المتعمَّدة لأزواج السيدة سكينة عليها السلام.

فعبدالله وعمر ابنا الإمام الحسن عليه السلام قد تزوَّجا من السيدة سكينة عليها السلام ، كما يتمُّ تزويجها من زيد بن عمرو العثماني وأبيه وأخيه ، ثم نجد أنه يتمُّ تزويجها من عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام وأخ لجدِّه هو عمرو بن حكيم بن حزام كما في قوائم ابن قتيبة (ولا ندري كيف أدرك سكينة !؟ إلا أن يصحَّ في حساب هؤلاء أن تتزوَّج من رجلين بينهما ثلاثة أجيال)[1]، (وتختلط الأسماء اختلاطًا عجيبًا ، بل شاذًا، حتى ليُشطر الاسم الواحد شطرين ، يؤتى بكل شطر منهما زوجًا للسيدة سكينة على حدة)[2].

٤) أقل القوائم ضمت ثلاثة أزواج وأقصاها اشتملت على ستة أزواج ، ومجموع الأسماء من مجموع القوائم أحد عشر زوجًا ، وحسب الترتيب الزمني لتاريخ وفاة صاحب القائمة فالقوائم تبدأ بستة أزواج ، ثم تنقص إلى أربعة ، ثم تزاد إلى خمسة، لتعود إلى ستة أزواج .

٥) ما بين أيدينا من قوائم ناظرة لتعاقب الزوج بوفاة الزوج السابق ، على حين أن بعض تلك القوائم التي تشير لتعاقب الزواج بالوفاة تختلف في بعض الأزواج وتعاقبهم بالطلاق وليس جميعهم .

ردُّ القائمة بغيرها :

وهي قوائم كما ذكرنا ليست متضاربة بل متناحرة فيما بينها ، فالقائمة التي تجعل من مصعب الزبيري أول أزواجها تتعارض مع القائمة

---

(١) سكينة بنت الحسين للدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن : ١٤٨ .

(٢) سكينة بنت الحسين للدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن : ٨١ .

التي تجعل عبدالله الهاشمي أو الأصبغ الأموي أول أزواجها .

رد القائمة بذاتها :

وإذا كان ما سبق من أمثلة ناظرًا للأخبار في المصادر المختلفة فإنه يمكن ردُّ تلك القوائم في ذاتها ، وذلك بالنظر إلى تواريخ وفيات الأزواج ، ومثال ذلك :

أ) هناك قائمتان جعلتا الأصبغ الأموي أول أزواجها وهو متوفى عام ٨٦هـ وهذا لا ينسجم مع عام وفاة مصعب وهو عام ٧٢ هـ ، إذ هو تال له أو بعد زيد العثماني .

ب) كل القوائم التي تجعل إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف المتوفى عام ٧٦ هـ بعد الأصبغ الأموي المتوفى ٨٦ هـ لا يمكن قبولها أيضًا .

ملاحظات عامة :

١) يمكننا تجاوز بعض الأسماء التي لم ترد إلا في قائمة واحدة ولعلها وردت نتيجة الخطأ والسهو والتصحيف ، إذ بعض الأسماء لا وجود لها ، لذا سنتجاوز لا سنستبعد كلاً من : عمر ابن الإمام الحسن عليه السلام ، الزبير بن عمرو بن عثمان بن عفان ، عمرو بن عثمان بن عفان ، عمر بن الحاكم بن حزام، عمر بن حكيم بن حزام .

٢) يبقى لدينا ستة أسماء لا تُجمع عليهم كل القوائم ، إذ تخلو بعض القوائم من : عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام ، عبدالله بن عثمان بن عبدالله ابن حكيم بن حزام، زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان الأموي ، إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف .

٣) تُجمع القوائم على مصعب بن الزبير فتجعله أول الأزواج وثانيهم و آخر الأزواج في قائمة مكونة من ثلاثة أزواج ، وقبل الأخير في قائمة خماسية ، وقائمتين رباعيتين .

٤) جميع القوائم التي ذكرت عبدالله ابن الإمام الحسنعليه السلام جعلته أولاً ولم يرد غير هذا الترتيب في تلك القوائم .

٥) عبدالله بن عثمان الحزامي جاء في القوائم ثانيًا وثالثًا ورابعًا والأخير خامسًا .

٦) زيد بن عمرو العثماني ورد في القوائم ثاني الأزواج وثالثهم وآخرهم في قائمة رباعية هي من قوائم ابن قتيبة ، وخامسهم في قائمة سداسية .

٧) الأصبغ بن عبدالعزيز المرواني الأموي ورد أول الأزواج وثالثهم وآخرهم رابعًا ، وآخرهم خامسًا ، وآخرهم سادسًا ، وقد جاء اسمه آخر الأزواج في أربع قوائم من اثنتي عشرة قائمة ورد فيها اسمه .

٨) كل من أورد إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف جعله من آخر الأزواج، فجاء في تسع قوائم من اثنتي عشرة قائمة ورد فيها اسمه آخر الأزواج رابعًا وخامسًا وسادسًا ، كما ورد قبل الأخير في قائمتين قبل الأصبغ المرواني .

وماذا تعني الملاحظات العامة ؟

تلك الملاحظات وما حوته من تضارب وتناحر تعني للمتأمِّل في أبسط صورها أن السيدة سكينةعليها السلام بزيجاتها المزعومة تلك كانت متزوِّجة بأكثر من شخص في ذات الفترة التاريخية .

تعاقب الأزواج بالطلاق :

سأضع بين يديك خبرًا لتعاقب أزواج السيدة سكينة عليها السلام بالطلاق بعد مقتل زوجها مصعب ، وسأضع بين قوسين بعض التواريخ التي سنشير لمصادرها حين نحقق في أسماء الأزواج منفردين ، لتقف على مدى تناقض تلك القوائم .

الخبر :

فقد ورد في الأغاني:

كان أول أزواجها عبدالله بن الحسن بن علي ، قتل عنها (٦١هـ) ولم تلد له ، وخلف عليها مصعب بن الزبير (المتوفى ٧٢هـ) فولدت له جارية ، ثم خلف عليها عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم فنشزت عليه فطلَّقها ، ثم خلف عليها الأصبغ بن عبدالعزيز (المتوفى عام ٨٦ هـ) فطلَّقها ، فخلف عليها العثماني فطلَّقها بأمر من سليمان بن عبدالملك (زمن خلافته من عام ٩٦هـ إلى عام ٩٩هـ وزمن زواجها به حتى أواخر عام ٩٧هـ) فخلف عليها إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف (المتوفى عام ٧٦ أو٩٦هـ) فكره ذلك أهلها وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل (زمن ولايته من عام ٨٢ هـ إلى عام ٨٦ هـ) وخيَّروها فقالت : لا أريده [1].

تعارض مع أخبار الهلاك :

مع هذا الخلط لا يمكننا قبول روايات تعاقب الأزواج بالطلاق لتعارضها مع روايات هلاك الأزواج كرواية ابن سعد وابن عساكر (تزوَّجت مصعب ثم قتل عنها ، فخلف عليها عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم فهلك

---

(١) الأغاني ١٦٢/١٦ .

عنها ،فخلف عليها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فهلك عنها ....) [١].

كما وردت روايات منفردة خارجة عن تلك القوائم تفيد هلاك أزواجها كقول المصعب في نسب قريش : وزيد بن عمرو بن عثمان هذا هو الذي كانت عنده سكينة بنت حسين فهلك عنها فورثته[٢] ، وقول ابن عساكر : حملت سكينة للأصبغ فوجدته قد مات [٣].

نتيجة أكثر من متانية :

لا يمكن للباحث في مثل تلك القوائم أن يخرج بنتيجة إلا ويجابه بقائمة تنسف النتيجة التي توصّل إليها ، وقد تنبّه جمع من المؤرِّخين إلى ذلك ، فبعد أن سردوا قائمة الأزواج أوردوا عبارة تدل على عدم الاطمئنان ، حيث جاء في ذيل تلك القوائم (وقيل في ترتيب أزواجها غير ذلك) [٤].

ومع هذا الاختلاط في قوائم الأزواج والتداخل في المصدر التاريخي الواحد بل التناقض في الخبر الواحد لا سبيل لقبول أي قائمة أو أي زيجة دون النظر في أحوال الأزواج كل على حدة ، ومن ثمَّ الاعتماد على مرجِّحات تاريخية ومنهجية وقرائن راجحة لقبول البعض ورفض البعض الآخر بناءً على القرائن التاريخية الموصلة - على أقل تقدير - إلى حد الطمأنينة الناشئة عن الدليل .

---

(١) الطبقات الكبرى ٤٧٥/٨ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٠٦/٦٩ مع اختلاف في ترتيب الأزواج .

(٢) نسب قريش للمصعب : ١٢٠ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢٠٥/٦٩ .

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩٤/٢ ، مرآة الجنان لليافعي ١٩٨/١ ، الوافي بالوفيات للصفدي١٨٢/١٥ ، نور الأبصار للشبلنجي : ١٧٥ .

الأزواج

الفصل الرابع : الأزواج المستبعدون

أ) إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف

ب) زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان

ج) الأصبغ بن عبدالعزيز المرواني الأموي

د) عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام

هـ) هل يكفي التعارض كدليل تاريخي ؟

الفصل الرابع : الأزواج المستبعدون

استبعادٌ لبعض الأزواج :

سنبدأ باستبعاد لأربعة من الأزواج هم : إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف وزيد بن عمرو العثماني ، والأصبغ بن عبدالعزيز المرواني ، وعبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم الحزامي ، بناء على الأدلة التاريخية ، وقد حاولت ترتيب الأزواج ترتيبًا يساعدني على إين[illegible] بعض الأدلة من غير حاجة للرجوع لها مرة أخرى .

أ) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف :

وفاته وعمره :

المشهور في كتب التاريخ أنه توفي عام ٩٦ هـ وله من العمر ٧٥ سنة[١]. فإذا ما تتبّعنا سيرته وجدنا له في بطون الكتب صُحبة[٢]، بينما وفاة النبي ﷺ كانت في عام ١١هـ ، فإذا تجاوزت صحبته ـ لوجود من يستبعد ذلك ـ[٣] وجدته يروي عن عمر بن الخطاب المتوفى عام ٢٣ هـ سماعًا ورؤية[٤]، كما أنك ستجد اسمه حاضرًا فيمن حُصِر في الدار مع الخليفة عثمان بن عفان عام (٣٥هـ)[٥].

وكل ذلك يتعارض مع تحديد عمره بـ(٧٥ عامًا) وأنّ زمن وفاته عام (٩٦هـ) ، إذ ينبغي أن تكون ولادته عام ٢١ أو ٢٢ هـ ، أي قبل وفاة الخليفة عمر بسنة أو سنتين.

وقد اعترض ابن حجر في تهذيب التهذيب على تحديد عمره فقال : توفي سنة (٦) وقيل (٩٥) وهو ابن (٧٥) سنة وفي هذا التقدير في سنّه نظر ، فإن جماعة من الأئمة ذكروه في الصحابة[٦].

وقد جمع علاء الدين مغلطاي المتوفى عام ٧٦٢هـ في إكمال تهذيب

---

(١) المعارف: ٢٣٧ ، الثقات ٤/٤ ، مشاهير علماء الأمصار : ١١٠ ، تاريخ مدينة دمشق ٣٧/٧ ، الأنساب للسمعاني ١٨٠/٣ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢١/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١٩/١٢ .

(٣) التاريخ الصغير للبخاري ٢٣٨/١ .

(٤) الطبقات الكبرى ٥٦/٥ ، الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ٢١٧/١ ، تاريخ مدينة دمشق ٣١/٧ .

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٢٧/٧ .

(٦) تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢١/١ .

الكمال في أسماء الرجال جملة من تلك الآراء[١] ، ولذلك وبناء على تلك المعطيات ذكر ابن حجر في الإصابة أن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف توفي في عام ٧٥ أو ٧٦ هـ [٢]، وهذا ما سبقه إليه ابن سعد في الطبقات

---

(١) ورد في إكمال تهذيب الكمال لعلاء الدين مغلطاي ٢٤١/١ : إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، أمه أم كلثوم بنت عقبة . قال محمد بن عمر الواقدي وأبو داود وغيرهما : يقال إنه ولد في حياة النبي. قال الواقدي : ودخل على عمر وهو غلام،وقال ابن أبي عاصم : مات سنة سبع وتسعين ، وفي كتاب (الكنى) للنسائي : هو ثقة ، وذكره أبو نعيم في كتاب (الصحابة) تأليفه ، وقال النسائي : قالوا : إنه يذكر النبي ورسول قيصر ، وفي كتاب الصريفيني: مات وله ست وسبعون ، وفي كتاب (القراب) : قال إبراهيم الحربي : كان إبراهيم سيد ولد أبيه ، وعدَّه في الصحابة جماعة منهم : أبو إسحاق بن الأمين ، وذكره مسلم في (الطبقة الأولى من أهل المدينة)، وقال العجلي: ثقة تابعي مدني . وفي (تاريخ) عمرو بن علي الفلاس : مات سنة خمس ومائة ، وفي كتاب الكلاباذي: ولد سنة إحدى وعشرين ، وفي قول المزي : وأمه من المهاجرات الأول نظر ، لأن أهل السير والتواريخ والأنباء لا أعلم بينهم خلافًا ، قالوا : إن هجرتها كانت بعد الحديبية . ومن كانت بهذه المثابة لا تعدُّ من الأول ،وفي (الأوسط) للبخاري : تزوَّج سكينة بنت الحسين بغير ولي ، ففرق عبدالملك بينهما ، وعن يونس عن ابن شهاب : أخبرني إبراهيم استسقاء النبي ، ورأى بعضهم في (كتاب) أن النبي استسقى بهم ، ولا أراه يصحُّ ، لأن أمه أم كلثوم زوجها الوليد أسلم عام الفتح . وقال الواقدي في (التاريخ) : مات وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وفي كتاب (الجرح والتعديل) للباجي : وهو ثقة ثبت ، وفي تكنية المزي أباه: أبا محمد نظر ، قال البخاري : وقال بعض ولد عبدالرحمن بن عوف : كنيته أبو محمد ، قال أبو عبدالله : أخشى أن يكون وهم . وذكره ابن حبان في كتاب الثقات) ، وفي كتاب ابن خلفون: وثق، وقيل فيه : ثبت ، وسمع من : عمر ، وعثمان ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وأسامة ابن زيد ، وأنشد له الزبير في كتاب (نسب قريش) أبياتًا ، وفي (تاريخ) ابن عساكر : ومما دل على ولادته في أيام النبي سنُّه . وفي لطائف أبي موسى : كان قصيرًا دحداحًا ، تزوَّج سكينة بنت الحسين فلم ترضه واختلعت منه .

(٢) الإصابة ٣٢٣/١ .

حيث أشار إلى أن عام وفاته ٧٦ هـ وأن عمره ٧٥ عامًا[١]، وهو ما يمكن الاطمئنان إليه من القرائن التاريخية ومن تحديد عمره بـ ٧٥ عامًا حين وفاته .

ملحوظات زواجه المزعوم :

١) تعارض الأخبار:

لدينا جملة من الأخبار المتعارضة وهي كالتالي :

١) رفضها لإبراهيم بن عبدالرحمن حين خطبها ،فقد ورد أنها بعثت إليه : أبلغ من حمقك أن تبعث إلى سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تخطبها ؟ فأمسك عن ذلك[٢].

٢) عدم نفاذ النكاح[٣].

٣) وقوع النكاح لكنه لم يدخل بها ولم ترض به واختارت نفسها[٤]، واختلعت منه[٥].

٤) نكحته بغير ولي ، فكتب عبدالملك بن مروان إلى واليه في المدينة هشام بن إسماعيل أن يفرّق بينهما[٦].

٥) كره أهلها زواجها من إبراهيم ، وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل ، فبعث إليها يخيّرها ! فجاء إبراهيم بن عبدالرحمن من حيث تسمع كلامه، فقال لها : جعلت فداءك ، قد خيرتك فاختاريني ، فقالت : ماذا

---

(١) الطبقات الكبرى ٥٦/٥ .

(٢) الأغاني ١٦١/١٦ .

(٣) نسب قريش للمصعب : ٥٩ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٠٥/٦٩ .

(٤) أنساب الأشراف ٤١٥/٢ .

(٥) إكمال التهذيب ٢٤٥/١ .

(٦) تاريخ الإسلام ٣٧٢/٧ ،التاريخ الصغير للبخاري ٢٣٧/١ .

بأبي ؟! تهزأ به ، فعرف ذلك فانصرف ، وخيَّروها فقالت : لا أريده[١] .

٦) تزوَّجها وأقامت معه ثلاثة أشهر ، فكتب هشام بن عبدالملك إلى واليه بالمدينة أن فرِّق بينهما ، وقال بعض أهل العلم هلك عنها[٢] .

٢) وضوح الغايات:

وقد مرَّ عليك أن زواجها من إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أخذ في الأغاني شكلاً قصصيًا ، فكان زواجها عبارة عن مزحة[٣] أرادت به التنفيس عن جاريتها بنانة تارة ، وأخرى كسر الرَّتابة عن أم أشعب ، فنتج عن ذلك المزاح معركة دامية بين بني هاشم وبني زهرة فشُجَّ بينهم يومئذ أكثر من مائة إنسان[٤] .

كما أخذ زواجها طابعًا دينيًا فهي المتزوِّجة بغير ولي ، وطابعًا سياسيًا بتدخُّل السلطة في ذلك الزواج ، فبين قائل : تم تطليقها بأمر من عبدالملك ابن مروان لواليه على المدينة هشام بن إسماعيل[٥] ، وبين قائل إنه بأمر من هشام بن عبدالملك[٦] .

٣) تزوَّجها وهو في الأموات:

ومن مجموع الأخبار السابقة يمكننا القول بأن زواجها من إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف كان إما في زمن خلافة هشام بن عبدالملك

---

(١) الأغاني ١٦/١٦٣ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨/٤٧٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٦٩/٢٠٦ .

(٣) نوادر المخطوطات تحقيق عبدالسلام هارون في كتاب المردفات من قريش للمدائني ١/٧٤ .

(٤) الأغاني ١٦/١٦١ .

(٥) تاريخ الإسلام ٧/٣٧٢ ، التاريخ الصغير للبخاري ١/٢٣٧ .

(٦) نسب قريش للمصعب : ٥٩ ، الطبقات الكبرى ٨/٤٧٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٦٩/٢٠٥ .

(١٠٥-١٢٥هـ) وهذا ما لا يتفق مع زمن وفاة إبراهيم بن عبدالرحمن (٧٦ هـ أو ٩٦ هـ).

أو في زمن ولاية هشام بن إسماعيل على المدينة ، أي مابين عامي ٨٣ هـ و٨٦هـ[1] ، وهذا أيضاً يتعارض مع زمن وفاة إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عام (٧٦هـ) فهو المتوفى وعمره ٧٥عامًا وله صحبة بالنبي ﷺ أو على أقل تقدير له رؤية وسماع عن عمر بن الخطاب المتوفى عام ٢٣هـ ورؤيته وسماعه لعمر بن الخطاب مثبتة في كتب الصحاح .

٤) تأمل في قوائم الأزواج:

فإذا ما تأمَّلنا قوائم الأزواج السابقة وجدناه تاليًا في الترتيب زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان في إحدى عشرة قائمة هي : (١ و٢ و٤ و٥ و٨ و٩ و١٠ و١١ و١٣ و١٤ و١٦) .

وزيد العثماني متزوج - على ذمة التاريخ - بالمدعوة سكينة حتى أواخر عام ٩٧هـ كما سيأتي تفصيله ، وهذا أيضًا يتعارض مع زمن القائلين بأن وفاة إبراهيم كانت في عام ٩٦هـ .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط : ٢٢٦ .

ب) زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان :

عداء موروث :

عمرو بن عثمان بن عفان والد زيد تزوَّج من رملة بنت معاوية بن أبي سفيان[١]. وروي أنه كان بين الإمام الحسين عليه السلام وعمرو بن عثمان خصومة في أرض (فعرض حسين [أمرًا] ،ولم يرضه عمرو ، فقال الحسن : ليس له عندنا إلا ما يُرغم أنفه)[٢]، (فلما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلث فدك، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها ،وذلك بعد موت الحسن بن علي عليه السلام)[٣].

أطراف زبيرية :

وعمرو بن عثمان بن عفان كان قد تزوج من فاطمة بنت عبدالله بن السائب ، فلما نُصّتْ عليه طلقها على المنصّة[٤]، فجاء أبوها إلى عبدالله بن الزبير ، فقال : إن عمرو بن عثمان طلّق ابنتي على المنصّة ، وقد ظنَّ الناس أن ذلك لعاهة ، وأنت عمُّها ، فقم فادخل إليها ، فقال عبدالله : أو خيرًا من ذلك ؟ جيئوني بالمصعب ، فخطب عبدالله فزوّجها من المصعب ، وأقسم عليه ليدخلن بها في ليلته ، فلا تُعرف امرأة نُصَّتْ على رجلين في ليلة غيرها ، فأولدها المصعب عيسى وعكاشة[٥].

---

(١) طبقات بن سعد : ١٥٠/٥ .

(٢) نسب قريش للمصعب : ٢٤ ،كما يروى أن الخصومة كانت بين الإمام الحسن عليه السلام وعمرو بن عثمان، شرح الأخبار ١١٨/٣ ،الأنوار البهية للشيخ عباس القمي: ٨٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٦/١٦ .

(٤) المنصة : سرير ترفع عليه لترى من بين النساء ، وكل شيء رفعته وأظهرته فقد نصصته .

(٥) جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار : ٥٠٤/١ ، الكامل للمبرد : ٦٥٩ .

ولكي تقف على علاقة أبناء عمرو بن عثمان بالزبيريين وعلى وجود سكينة أخرى أنقل لك هذا الخبر (قال الزبير : وحدَّثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمرو بن مصعب بن الزبير ، عن أم سليمان بنت نافع مولاة سكينة ابنة مصعب بن الزبير ، قالت : تزوَّج سيدتي سكينة بنت مصعب بكير بن عمرو بن عثمان ، فولدت له عثيمة ابنة بكير ، ثم خلف على سكينة عامر بن حمزة بن عبدالله بن الزبير ، ثم تزوَّجت عثيمة بنت بكير العرجي عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان)[1] .

اقتران ذكره بسكينة :

أما زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فلا وجود له في كتب التراجم ، ولا وجود له في كتب الجرح والتعديل .

بل وجوده التاريخي مقرون بزواجه بالسيدة سكينة عليها السلام فحيثما تذكر يرد ذكره .

وقد ذكره المصعب الزبيري في أبناء عمر بن عثمان ، ولم يذكره في أبناء عمرو بن عثمان ، ثم قال : وهو الذي كانت عنده سكينة بنت حسين فهلك عنها فورثته[2] .

قصص ونوادر بطلها أشعب :

فإذا فتّشت في أخبار زواجها المزعوم من زيد بن عمرو أو عمر العثماني ، فلن تجد إلا حكايا ونوادر بطلها أشعب الطامع كحضن البيض وديباجة الحرم ، التي مرَّ عليك تعارضها مع الواقع التاريخي والعقلي .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣١/٢٣٠ .

(٢) نسب قريش للمصعب : ١٢٠ .

ابن حجر يرتاب في سند النوادر:

وقد أشار ابن حجر إلى ذلك حين قال : وقال الزبير بن بكار : حدَّثنا شعيب بن عبيدة بن أشعب عن جدِّه قال : كانت سكينة بنت الحسين عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكانت أحلفته أن لا يمنعها سفرًا ، فذكر قصة ، وذكر بهذا السند نوادر[١].

زمن الزواج المزعوم:

فإذا ما تتبَّعنا تلك النوادر لنقف على زمن ارتباطها بزيد وجدنا لزيد مع زوجه المسماة سكينة أخبارًا تشير إلى زواجها منه زمن تولي سليمان بن عبدالملك (٩٦-٩٩هـ) وأن سليمان أمره بطلاقها[٢].

ولدينا خبر يرويه أشعب يفيد أن المسماة سكينة متزوجة من زيد في السنة التي حج فيها الخليفة[٣]، وفي خبر آخر : حج سليمان بن عبدالملك وهو خليفة ، فاستأذن زيد بن عمرو سكينة ،وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة ، وأنه لا يمكنه التخلُّف عن الحج معه[٤].

فإذا ما وقفنا على السنة التي أقام فيها سليمان بن عبدالملك الحج وهي عام (٩٧هـ)[٥] أمكننا القول ـ وعلى ذمة التاريخ ـ إن المدعوة سكينة كانت متزوجة بزيد بن عمرو العثماني في أواخر سنة (٩٧ هـ) .

---

(١) لسان الميزان لابن حجر ١٢٧/٤ .

(٢) المعارف لابن قتيبة : ٢١٤ ، وفيات الأعيان ٣٩٤/٢ ، مرآة الجنان لليافعي ١٩٨/١ ،الوافي بالوفيات ١٨٢/١٥ .

(٣) الأغاني ١٧٥/١٩ .

(٤) الأغاني ١٥٤/١٦ .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط : ٢٤٤ .

زمن الزواج يتعارض مع القوائم:

إذا أمكننا القول بأن المدعوة بسكينة كانت متزوجة في أواخر عام ٩٧هـ فهذه النتيجة تتعارض مع القوائم السابقة ، فإن رجعنا لها وجدنا :

١) إحدى عشرة قائمة تجعل من إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف المتوفى عام ٧٦ هـ أو حتى عام ٩٦ هـ تاليًا لزيد ، وهي : ١ و٢ و٤ و٥ و٨ و٩ و١٠و١١و١٣و١٤و١٦.

٢) وست قوائم تجعل من الأصبغ بن عبدالعزيز المرواني المتوفى عام ٨٦هـ تاليًا لزيد بن عمرو ، وهي : ٣و٤و١٠و١٢و١٥و١٦ .

٣) وثلاث قوائم هي ٤ و١٠و١٦ يشترك فيها الأصبغ وإبراهيم في كونهما تاليين لزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

النتيجة:

أن هناك أربع عشرة قائمة من أصل ست عشرة قائمة تتعارض تاريخيًا مع زمن زواج زيد بن عمرو ،والقائمتان الباقيتان إحداهما (٧) لا تذكر زيد ضمن الأزواج والأخرى(٦) تذكره رابع الأزواج بعد الأصبغ ، وهنا أؤكد على أن القوائم الأربع عشرة المتعارضة مع خبر زواج زيد لا تنحصر في المصادر التي ذكرناها ، فالمصادر التي تبنت تلك القوائم أكثر بكثير .

خبر آخر ويبقى الإشكال:

كما أن بين أيدينا خبرًا لمغاضبة زيد بن عمرو العثماني لسكينة زمن ولاية عمر بن عبدالعزيز على المدينة فاستعدته على زيد ، فبعث إليه عمر وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما [1]، وفي الخبر نوادر وحكايا وقبيح فعل وقول .

(١) الأغاني ١٦/١٦٥ .

(وقد ولّى الوليد بن عبدالملك عمر بن عبدالعزيز المدينة سنة ست وثمانين في آخرها ،أو في أول سنة سبع ، فولّى عمر على القضاء عبدالرحمن بن يزيد بن جارية ، ثم عزله واستقضى أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم)[١] .

ومع هذا التاريخ تبقى ذات الإشكالية قائمة مع تقدُّم زيد في القوائم على إبراهيم المتوفى عام ٧٦ هـ ، وتقدُّمه على الأصبغ المتوفى في ربيع الأول عام ٨٦ هـ أي في بدايات العام[٢] .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط : ٢٤٣ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٧١/٩ .

ج) الأصبغ بن عبدالعزيز المرواني الأموي :

أخبار زواجه من السيدة سكينة عليها السلام متضاربة ، ولعل جلّها تذهب إلى عدم دخوله بها ، وفي ذلك كفاية لعدم عدّه من أزواجها ، إلاّ أن يراد بذلك تكثيرهم ، وهو الملاحظ في تلك الأخبار .

تضارب الأخبار:

ومن جملة تلك الأخبار قولهم بتمام الزواج(١) ، كما قالوا بعدم تمامه في جُمل متباينة كقولهم : (لم ينفذ نكاحه : حملت إليه بمصر فوجدته قد مات)(٢) أو قولهم : (فارقها قبل أن يدخل بها)(٣) أو (نهاه عنها عبدالملك ، ويقال : بل حملت إلى مصر ، فلما قدمتها وجدته قد مات)(٤) ، أو (بلغ عبدالملك تزوُّجه إياها فنفس بها عليه ، فكتب إليه : اختر مصر أو سكينة)(٥) ، أو قولهم إن الأصبغ بن عبد العزيز أصدقها صداقًا كثيرًا ، فقال الشاعر :

نكحتْ سكينةُ بالحسابِ ثلاثةً ... فإذا دخلتَ بها فأنت الرّابعُ
إنّ البقيعَ إذا تتابعَ زرعُهُ ... خابَ البقيعُ وخابَ فيه الزّارعُ

وبلغ ذلك عبدالملك بن مروان فغضب ، وقال : أما تزوِّجنا أحسابنا حتى تزوِّجنا أموالنا ! وأمره بطلاقها فطلّقها(٦) .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٧٥/٨ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢٠٥/٦٩ ، تذكرة الخواص لابن الجوزي : ٢٣٣ .

(٣) المعارف لابن قتيبة : ٢١٤ ، وفيات الأعيان ٣٩٤/٢ ، الوافي بالوفيات للصفدي ١٨٢/١٥ .

(٤) أنساب الأشراف ٤١٥/٢ .

(٥) الأغاني ١٦/ ١٦٠ .

(٦) الأغاني ١٦٢/١٦ .

عام الزواج المزعوم :

ولتحديد عام زواجها من الأصبغ يمكننا أن نقول : إنه عام وفاة الأصبغ أي عام ٨٦ هـ على المشهور لا على التحقيق ، فالأخبار تشير إلى أن وفاته قبل والده عبدالعزيز[١] ، ويذهب جملة من المؤرخين إلى أن والده توفي عام ٨٥هـ[٢].

تعارض عام الزواج مع القوائم وترتيبه في الأبيات :

وهذا الزواج يتعارض مع قوائم الزواج التي تجعله سابقًا لإبراهيم بن عبدالرحمن المتوفى عام ٧٦ هـ على التحقيق لا على المشهور ، وهي سبع قوائم هي: (١ و ٥ و ٨ و ٩ و ١٠ و١١ و١٤) وهناك ثلاث قوائم تخلو منه هي : (٢ و ٧ و ١٣) والقائمة (١٢) تجعله سابقًا لعبدالله الحزامي الذي يأتي بعد مصعب المتوفى عام ٧٢ هـ .

فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأبيات التي أشارت إلى أن الأصبغ هو رابع الأزواج وجدناه متحققًا في سبع قوائم (١ و ٣ و٥ و٩ و١٢ و١٤و١٥) فإذا ما استثنينا مالا يصح منها لسبقه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولسبقه عبدالله الحزامي وهي : (١و٥و٩و١٢و١٤و١٥) .

النتيجة :

لم يبقَ لنا ما يوافق ترتيب تلك الأبيات مما يصح من القوائم سوى قائمة واحدة تجعله آخر الأزواج رابعًا.

وفي المحصلة النهائية يكذب تلك الأبيات ثلاث عشرة قائمة من أصل ست عشرة قائمة .

---

(١) المعارف لابن قتيبة : ٣٦٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٩/ ١٧٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٥/ ٢٣٦ ، تاريخ خليفة بن خياط : ٣٠١ ، مرآة الجنان لليافعي يذكر أنه توفي عام ٨٥ هـ وقال بعضهم في السنة التي قبلها ١/ ١٤٠ .

لم يلِ مصر ولا وجود لمدينة الأصبغ:

بين أيدينا أيضًا خبر يفيد تخيير عبدالملك بن مروان للأصبغ بين سكينة ومصر بعد أن بنى لها مدينة الأصبغ التي لاوجود لها ، فطلّقها رغبة في مصر[1] ،(قلت : في هذا الخبر أوهام منها : أن الأصبغ لم يلِ مصر ، وإنما كان مع أبيه عبدالعزيز بن مروان ، ومنها أن الذي بناه الأصبغ لسكينة منية الأصبغ هذه وليست مدينة ، ومنها أن الأصبغ لم يطلّق سكينة ، وإنما مات عنها قبل أن يدخل عليها)[2].

حيث ورد : خرج عبدالعزيز بن مروان إلى الشام وجعل الأصبغ على مصر ثم عاد ، وكان ذلك عام ٧٥ هـ [3]، وقد عرفت فيما سبق أن الأصبغ توفي قبل والده الذي ظلَّ يحكم مصر حتى وفاته .

نهاية قصة مأساوية:

ثم إني لأعجب لهذه القصصية التي تنتهي بمأساة موت الزوج قبل وصول زوجته! ثم إني لأعجب وأعجب من تدخُّل الساسة في زواجها من إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ثم زيد بن عمرو العثماني والآن المرواني .

كما أنني أذهل لتهافت بني مروان على الزواج من السيدة سكينة عليها السلام وإصرار التاريخ على ذلك ، فعبدالملك بن مروان يخطبها بعد قتله زوجها المزعوم مصعب فترفضه ، ثم تزوّج بالأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان فيَنْفسها عليه عبدالملك بن مروان .

وبين أيدينا نص تاريخي يقول : إذا لعن مروان جدها عليًا عليه السلام لعنته وأباه

---

(١) الأغاني ١٦/١٦٠ .

(٢) المواعظ والاعتبار للمقريزي ٢/١٣٧ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط : ٢٠٨ .

وأبا أبيه[١]، وعلى ذمة التاريخ يصفها هشام بن عبدالملك المرواني بأنها امرأة كثيرة الشر[٢].

فكيف يمكن قبول هذا التهافت من بني مروان على الزواج من امرأة كثيرة الشر ما فتأت تلعن آباءهم وأسلافهم ؟ وكيف لها أن تقبل الزواج من أبناء ابتدع آباؤهم بدعة لعن جدها أمير المؤمنين عليه السلام؟

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٠٦/٦٩ ، تاريخ الإسلام ٣٧١/٧ ، الوافي بالوفيات ١٨٢/١٥ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢١/٧٠ .

د) عبدالله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام :

عداء وارتباط بالزبيريين:

قتل جدُّه عبدالله يوم الجمل مع عائشة ، أما والده عثمان فقتل مع عبدالله بن الزبير في الحصار الأول، أمُّه رملة أخت مصعب وحمزة لأبيهما وأمهما ،تزوَّج عبدالله بن عثمان - قبل زواجه المزعوم بالسيدة سكينة عليها السلام - بفاطمة بنت عبدالله بن الزبير [١] .

أخبار تمهيدية:

لدينا خبر يشير إلى أن عبدالملك بن مروان خطب المدعوة بسكينة بعد قتله زوجها مصعبًا عام ٧٢ هـ فرفضته[٢] .

ثم لدينا خبر يشير لتدخُّل رملة بنت الزبير في الأمر فزوَّجت سكينة هذه من ابنها عبد الله بن عثمان الحزامي خوفًا من أن تصير إلى عبدالملك[٣] .

ولدينا خبر يشير إلى أن سكينة هذه نشزت على زوجها عبدالله الحزامي ، فشكتها والدته رملة بنت الزبير عند عبدالملك بن مروان ، وكانت متزوِّجة في تللك الفترة بخالد بن يزيد بن معاوية[٤] .

كما تشير بعض الأخبار إلى أن المسماة سكينة توهَّمت أن عبدالله طلَّقها ،أو آثر عليها فاطمة بنت الزبير ، وقد اشترطت ألا يؤثرها عليها ، فاستعدت عليه والي المدينة هشام بن إسماعيل ، فوفد عبدالله شاكيًا

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار ٢٣٣/١ .

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٤١٥/٢.

(٣) الأغاني ١٧٣/١٩ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٣٧٥/٢٩ ، الأغاني ٣٤٨/١٧ ، بلاغات النساء لابن طيفور: ١٤٦.

لعبدالملك بن مروان[١].

إذًا يمكننا القول إن المدعوة بسكينة متزوِّجة من عبدالله الحزامي على ذمة التاريخ بعد زواجها من مصعب المقتول عام ٧٢هـ .

أي في الفترة التي تزوَّجت فيها رملة من خالد بن يزيد بن معاوية الذي خطبها حين رآها في العام الذي حجَّ فيه عبدالملك بن مروان[٢] أي عام ٧٥هـ[٣].

فإذا ما تتبَّعت زواج رملة من خالد وجدت أن خالدًا حين زواجه برملة لم يتجاوز السبعة عشر ربيعًا ؛ أي أنها زوّجت ابنها من سكينة وكان قبلها متزوِّجًا بفاطمة الزبيرية وتزوَّجت هي من يصغر ابنها[٤].

هل شكت رملة سكينة عند عبدالملك؟

بين ثنايا الأخبار يذكرون : إن عبدالملك بن مروان كما خطب السيدة سكينة عليها السلام بعد مقتل زوجها مصعب خطب أيضًا رملة بنت الزبير ، ولن يكون ذلك إلا بعد أن قتل أيضًا زوجها عثمان الحزامي المقتول مع أخيها عبدالله وعلى يد الحجاج بأمر من عبدالملك[٥].

ولا أعلم كيف ذهبت رملة برجليها تشتكي إلى عبدالملك الذي خطبها بعد أن قتل أخويها عبدالله ومصعبًا وأبناءهما وقتل زوجها عثمان بن

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار ٣٩٩/١ ، تاريخ مدينة دمشق ٣٧٤/٢٩ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٢٨/٦٩ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط : ٢٠٨ .

(٤) الأخبار الطوال :٢٨٥ ، يشير إلى أن عمر خالد عام وفاة مروان (٦٥هـ) كان سبع سنين .

(٥) بلاغات النساء لابن طيفور : ١٤٦ ، تاريخ مدينة دمشق ٣٧٥/٢٩ .

عبدالله بن حكيم بن حزام .

ولا يفت عليك أنه المتقدِّم لخطبة سكينة هذه أيضًا ، ورملة هي من زوَّجت سكينة بعد مقتل مصعب من ابن أخته خوفًا من أن تصير إلى عبدالملك .

أحاول أن أفهم تلك الأخبار وأضعها في قالب إنساني عُرفي اجتماعي مقبول فلا أجد لها نظيرًا في الواقع الخارجي بين الأمم السابقة واللاحقة ، ولكني أجد نظائرها متكثرة في التاريخ العربي!!

زمن الزواج:

وعلى كل حال فإن زواج المدعوة بسكينة من الحزامي كان في فترة ولاية هشام بن إسماعيل ، أي مابين عامي٨٣ و٨٦ هـ .

تعارض تاريخي:

وفي هذه الفترة (٨٣-٨٦ هـ) تُزَوَّج أيضًا من إبراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف المتوفى عام ٧٦هـ والذي يُذكر دائمًا على أنه تالٍ في ترتيب الأزواج المزعومة للسيدة سكينة عليها السلام لعبدالله الحزامي وليس سابقًا له ، وهذا مالا يمكن قبوله،فكيف يكون زواجه في فترة ولاية هشام بن إسماعيل والتالي له متوفى عام ٧٦هـ ؟.

تعارض في قوائم الأزواج :

عبدالله الحزامي يأتي في قوائم الأزواج ثاني الأزواج وثالثهم ورابعهم قبل الأخير وآخرهم خامسًا .

ثاني الأزواج في قوائم هي : (٢ و ٣ و ٤ و ٦) وثالثهم في : (١ و ٥ و ٩ و ١٠ و١١ و١٤ و١٦) ورابع الأزواج بعد الأصبغ وزيد ومصعب في : (٨) وآخر الأزواج في (١٢) وخامسًا بعد عمر ابن الإمام الحسن عليه السلام وزيد ومصعب والأصبغ ، وتخلو منه القوائم (٧ و ١٣ و ١٥) .

وستجد أن القوائم التي لا تصح لورود إبراهيم بن عبدالرحمن المتوفى ٧٦ هـ تاليًا له بينما زمن زواج عبدالله الحزامي في خلافة هشام بن إسماعيل ما بين عامي٨٣ و٨٦ هـ ، هي : (١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و١٤ و١٦) .

نتيجة تعارض القوائم :

هناك عشر قوائم لا تصح من ثلاث عشرة قائمة لخلو ثلاث قوائم من اسمه وتبقى ثلاث قوائم هي: (٣ و ٦ و ١٢) .

أم قرين :

يذكر أن للسيدة سكينة عليها السلام ولدًا من عبدالله بن عثمان الحزامي واسمه قرين[(١)] ، ويذهب البعض إلى أن اسمه قرير[(٢)] ، ويذهب آخرون إلى أن قرينًا ابنها من زيد بن عمرو العثماني[(٣)] ، فإذا ما فتَّشت عن هذا الاسم وجدت أيضًا لزوجها المزعوم إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ابنًا يُسمَّى قرينًا[(٤)] .

إلا لتفضحه :

ويروى عن سعدة بنت عبدالله أن سكينة أرتها بنتها من الحزامي وقد أثقلتها باللؤلؤ وهي في قبة ، فقالت : والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه. تريد أن تفضح الحلي بحسنها لأنها أحسن منه[(٥)] .

ويروى عن سعدة بنت عبدالله بن سالم ، قالت : لقيت سكينة بين

---

(١) الطبقات الكبرى ٤٣٤/٥ ، جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار : ٣٩٩/١ .

(٢) تذكرة الخواص : ٢٣٣ منشورات محمد علي بيضون الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ .

(٣) الأغاني ١٦٣/١٦ .

(٤) إكمال الكمال لابن ماكولا ١٠٨/٨ .

(٥) الأغاني ١٦١/١٦ .

مكة ومنى، فقالت لي : قفي لي يابنة عبدالله ، فوقفت ، فكشفت عن بنتها من مصعب ، فإذا هي قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ ، فقالت : ما ألبستها إياه إلا لتفضحه[1].

تناقض لا حدّ له :

تناقض غريب لا يمكن فهمه ، فلديها ابن اسمه قرين من الحزامي وعلى ذمة البعض الآخر من العثماني .

ولها بنت أرتها سعدة بنت عبدالله من زوجها مصعب ما يلبث أن يتغير الموقف في ذات المصدر فتكون ابنة الحزامي .

وبلغ من تعارض الأخبار أن تزوَّج السيدة سكينة عليها السلام من عمر بن حكيم[2] (وعمر هذا هو أخ لجدّ عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم ابن حزام ، ولا ندري كيف أدرك سكينة ، إلا أن يصحَّ في حساب هؤلاء أن تتزوَّج من رجلين بينهما ثلاثة أجيال)[3].

أبيات أبي دهبل الجمحي :

ورد في المردفات من قريش للمدائني: قال أبو دهبل الجمحي يمدح عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام ـ وهو زوج سكينة ، ولدت منه قُرينًا وحكيمًا وابنة ، وأمُّ عبدالله رملةُ بنت الزبير. فقال :

أكرِمْ بنسلٍ منكَ بينَ محمدٍ ... وبين عليٍّ فاسمعنَّ كلامي
وبين حكيمٍ والزُّبير فلا أرى ... لهم شبهًا في مُنجِدٍ وتَهَامِ

---

(١) الأغاني ١٦/١٥٩ .

(٢) المعارف لابن قتيبة :١٢٤ دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ ، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة للعربية عن الأصلين الإنجليزي والفرنسي ، طبعة انتشارات جهان ، المجلد الثاني : ٢٠ .

(٣) سكينة بنت الحسين للدكتورة عائشة عبدالرحمن : ١٤٨ .

تمطَّت به بيضاءَ فرعُ نجيبةٍ حصَانٌ وبَعضُ الوالدينِ عرامِ[١]

صاحب الأبيات في الأموات قبل زمن الزواج:

وإذا مارجعت لترجمة وهب بن زمعة - وهو أبو دهبل الجمحي - وجدته متوفى في عام ٦٣ هـ[٢] أي قبل زمن زواج السيدة سكينة عليها السلام المزعوم بعبدالله الحزامي الذي يأتي في الترتيب تاليًا لمصعب المتوفى عام ٧٢ هـ .

(١) كتاب المردفات من قريش للمدائني١/٧٦ ، وقد ورد الكتاب في نوادر المخطوطات تحقيق عبدالسلام هارون .

(٢) الأعلام للزركلي ١٢٥/٨ .

هـ) هل يكفي التعارض كدليل تاريخي ؟

التعارض في حد ذاته لا يكفي لنقض الوقائع والأحداث التاريخية ، فتعارض الأخبار - على سبيل المثال - في عدد قتلى المشركين في غزوة بدر لا يعني عدم وقوع الغزوة وقيامها .

لكنك إذا تأمّلت في المثال السابق وجدت التعارض واقعًا في العرض لا في الذات أي في فرع من فروع القضية لا في أصلها .

أما في مثل زواج السيدة سكينة عليها السلام فنحن لسنا بصدد واقعة تاريخية ، وإنما نبحث في أحوال شخصية ، وحين نتحدَّث عن تعارض فهو تعارض في العرض والذات ، أي في الفروع وفي أصل الزواج .

يترقّى التعارض بغيره :

وإذا لم نسلّم بكفاية التعارض كدليل في ردِّ تلك المفتريات ، فإنه يمكن أن يرتقي لمرتبة أعلى إذا ما أضيف إليه أدلة مسبقة مثل:

١) عداء تلك البيوتات المطروحة أبناؤها كأزواج للسيدة سكينة عليها السلام لأهل بيتها .

٢) تعمُّد الكذب في سيرتها ، وعلى ذلك قام الدليل .

٣) أن من نقل تلك الأخبار والزيجات العامة ، ولم تخلُ أسانيدهم من المعادي، بينما تخلو مصادر الخاصة من تلك الأخبار والزيجات .

الأزواج

الفصل الخامس : الأزواج المحتملون على طاولة البحث

قوائم المتأخرين

عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام

القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام

مصعب بن الزبير

أعظم أدلة الزواج قوائم الأزواج

سقط المتاع

من هو مصعب ؟

أخبار الأزواج

قرائن تستبعد زواج مصعب من السيدة سكينة عليها السلام .

الفصل الخامس : الأزواج المحتملون على طاولة البحث

قوائم المتأخرين :

جمعنا لك فيما سبق طَرَفًا من القوائم التي ذكرت أزواج السيدة سكينة عليها السلام وهي قوائم تنتمي لبدايات تدوين التاريخ ، فجاءت حسب تاريخ وفاة صاحب القائمة بين عامي ٢٢٥هـ و٣٥٦هـ وأضفنا لها قائمة متأخرة هي قائمة ابن عساكر المتوفى عام ٥٧١هـ لمخالفتها للقوائم السابقة في الترتيب.

وآن لنا أن نضع بين يديك قوائم المتأخرين الذين أخذوا عن المتقدمين ، فجاء كثير منها متطابقة كقوائم ابن عساكر التي تطابق قوائم ابن سعد.

القوائم :

١) سبط ابن الجوزي المتوفى عام ٦٥٤هـ في تذكرة الخواص : ٢٣٣ .

مصعب ، عبدالله الحزامي ،الأصبغ .

٢) الصفدي المتوفى عام ٧٦٤هـ في الوافي بالوفيات : ١٨٢/١٥ .

عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام ، مصعب ، عبدالله الحزامي ، الأصبغ، زيد العثماني (وقيل في ترتيب أزواجها غير هذا) .

٣) ابن خلكان المتوفى عام ٦٨١هـ في وفيات الأعيان : ٣٩٤/٢ .

مصعب ،عبدالله الحزامي ، الأصبغ ، زيد العثماني (وقيل في ترتيب أزواجها غير هذا) .

٤) الذهبي المتوفى عام ٧٤٨هـ في تاريخ الإسلام : ٣٧١/٧ .

عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام ، مصعب (فقتل عنها وتزوَّجها بعده غير واحد).

٥) اليافعي المتوفى عام ٧٦٨هـ في مرآة الجنان : ١٩٨/١ .

مصعب ، عبدالله الحزامي ، زيدالعثماني (وقيل في ترتيب أزواجها غير

هذا).

٦) المقريزي المتوفى عام ٨٤٥ هـ في المواعظ والاعتبار : ١٣٧/٢ .

عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام ، زيد العثماني ، مصعب ، الأصبغ .

٧) ابن العماد الحنبلي المتوفى عام ١٠٨٩هـ في شذرات الذهب : ٨٢/٢ .

مصعب ، عبدالله الحزامي ، زيد العثماني .

ملاحظات نقدية :

١) إن أهم ما يلاحظ على قوائم المتأخرين هو تقليص عدد الأزواج ، فلم نجد من يقول بتعاقب ستة أزواج رغم أن القوائم السابقة عندها شبه إجماع على سداسية الأزواج .

٢) لعل المتأخرين تنبّهوا إلى استحالة الجمع التاريخي بين الأزواج فقلّصوا العدد إلى ما يتسق ومعطيات التاريخ بحيث ينصبُّ تعاقب الأزواج ضمن قالب تاريخي مقبول لا يتعارض مع الأحداث التاريخية .

٣) ولكي يتخلّصوا من تبعات هذا التقليص واستبعاد بعض الأسماء ردّدوا عبارة لم يكن يردّدها من سبقهم وهي: (وقيل في ترتيب أزواجها غير ذلك) .

٤) لا نكاد نصل للقرن الثامن الهجري إلا ونجد الذهبي لا يقرُّ سوى بزوجين هما : عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام ومصعب الزبيري ، ثم يردف حديثه بقوله : (فقتل عنها وتزوّجها بعده غير واحد) .

هل هو حق لهم دوننا ؟

يمكننا ملاحظة أهم الأسماء المستبعدة ألا وهو إبراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف ، فهل يحقُّ للمتأخرين استبعاد بعض الأسماء التي ذكرها المتقدمون واستفاضوا في ذكرها ، حتى أصبحت من المسلّمات التاريخية لكثرة من ذكرها ؟

وهل يحق لهم ترتيب أزواجها - بعد استبعاد بعض الأسماء - ترتيبًا جديدًا يتّسق مع النسق التاريخي والأحداث ؟ فإن جاز لهم ذلك جاز لنا أيضًا استبعاد تلك الأسماء بناء على الدليل التاريخي !

عبدالله بن الإمام الحسن عليه السلام :

نقل صاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب عن الموضح النسابة إلى أن عبدالله بن الإمام الحسن عليه السلام يُكنّى بأبي بكر[١] ، ويؤيِّد هذا الرأي أن الشيخ المفيد في الإرشاد لم يذكر أبا بكر حين عدّ أبناء الإمام الحسن عليه السلام لكنه ذكره في موضع آخر فقال : (رمى عبدالله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فقتله)[٢] مما يدلل على أن أبا بكر كنية وليس اسمًا .

وقد فرّق السيد المقرم بين عبدالله الأكبر المكنى بأبي بكر وعبدالله الأصغر ابن الإمام الحسن عليه السلام المقتول بين يدي سيد الشهداء عليه السلام وهو غلام لم يرهق[٣] والذي كثيرًا ما يُخلط بينه وبين القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام في كتب التاريخ .

كما ورد التسليم في زيارة الناحية على كل من أبي بكر وعبدالله والقاسم أبناء الإمام الحسن عليه السلام[٤] .

إن عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام شخصية طالبية علوية حسنية ، زادها حُسنًا أنها شخصية كربلائية تفتخر على النجوم باختيار السماء لها للشهادة بين يدي سيد الشهداء عليه السلام ، ومَن أحرى منه بأن تكون حليلته ابنة

---

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبة : ٦٨ .

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ٢/١٠٩ . وجاء في أنصار الحسين لمحمد مهدي شمس الدين:١٣١ (أبو بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب : ورد ذكره في الزيارة ، الإرشاد ، الطبري ، الأصفهاني ، المسعودي ، أمه أم ولد ، قتله عبدالله بن عقبة الغنوي ، أو عقبة الغنوي) .

(٣) مقتل الإمام الحسين للمقرم : ٢٦٤ و٢٨٠

(٤) المزار لمحمد بن المشهدي: ٤٨٩ ، إقبال الأعمال لابن طاووس ٣/٧٥ .

عمّه السيدة الكربلائية سكينة عليها السلام.

زواج يقرّه الشرع والعرف ، وينسجم ويتناغم مع كل المعطيات ، فالسيدة سكينة عليها السلام قد بلغت مبلغ النساء قبل كربلاء ، ويؤكّد هذا الزواج أهل النسب والتاريخ من الخاصة والعامة بنصوص كثيرة يختلفون فيها بين دخول عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام بالسيدة سكينة عليها السلام وعدم الدخول .

النصوص القائلة بزواجه :

لن نتوقف كثيرًا عند هذا الزواج ، وسنكتفي بإيراد النصوص القائلة بزواج عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام والتي تذهب إلى أنه أول أزواجها ، وسنرتب تلك النصوص بناء على تاريخ الوفاة :

١) المدائني المتوفى ٢٢٥هـ : (تزوّجها عبدالله بن الحسن وهو أبو عذرتها، فمات عنها ، ويقال : قتل مع الحسين)[١].

٢) محمد بن سلام الجمحي المتوفى ٢٣١هـ : (إن أبا عذرتها هو عندي عبدالله بن الحسن بن علي)[٢].

٣) المصعب الزبيري المتوفى ٢٣٦هـ ، عن أبي حذيفة عن مصعب قال : (كان أول أزواج سكينة عبدالله بن الحسن بن علي ، قتل عنها ولم تلد له)[٣].

٤) محمد بن حبيب البغدادي المتوفى ٢٤٥هـ : (تزوّجت سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عبدالله بن الحسن بن علي ، وكان أبا

(١) نوادر المخطوطات ١/٧١ المردفات من قريش للمدائني .

(٢) الأغاني ١٦/١٦٠ .

(٣) الأغاني ١٦/١٦٢ .

عذرها فمات عنها)[١].

٥) الزبير بن بكار المتوفى ٢٥٦هـ عن عمّه المصعب الزبيري : (تزوَّجت سكينة بنت الحسين عليه السلام عدّة أزواج ، أولهم عبدالله بن الحسن بن علي،وهو ابن عمها وأبو عذرتها)[٢] .

٦) البلاذري المتوفى ٢٧٩هـ : (سكينة بنت الحسين تزوَّجها عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان أبا عذرها ، فمات عنها)[٣].

٧) يحيى بن الحسن العلوي من القرن الثالث الهجري وينسب له كتاب نسب آل أبي طالب[٤] : (إن عبدالله بن حسن زوجها كان يكنَّى أبا جعفر)[٥] .

٨) القاضي النعمان المغربي المتوفى ٣٦٣هـ : (قتل معه يومئذ عبدالله بن الحسن عليه السلام لأم ولد ، وكان الحسين عليه السلام قد زوَّجه ابنته سكينة فقتل يومئذ قبل أن يبتني بها)[٦].

٩) أبو الحسن العمري المتوفى في القرن السادس في كتابه المجدي[٧].

١٠) الطبرسي المتوفى عام ٥٤٨هـ : (وكان عبدالله بن الحسن قد زوَّجه الحسين عليه السلام ابنته سكينة ، فقتل قبل أن يبني بها)[٨].

١١) ابن عساكر المتوفى ٥٧١هـ : (تزوج سكينة بنت حسين عبدالله

---

(١) المحبر لمحمد بن حبيب : ٤٣٨ .

(٢) الأغاني ١٦/١٥٨ .

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٢/٤١٥ .

(٤) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ٢١/٤٧ .

(٥) الأغاني ١٦/١٥٨ .

(٦) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ٣/١٨٠ .

(٧) نقلاً عن السيد عبدالرزاق المقرم في كتابه السيدة سكينة : ١١٠ .

(٨) إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي ١/٤١٨ .

ابن حسن بن علي ... فقتل مع عمه الحسين بالطف)[١].

١٢) الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ : (وكان قد تزوَّجها ابن عمِّها عبدالله بن حسن الأكبر ، فقتل يوم كربلاء قبل أن يدخل بها)[٢].

١٣) الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ ذكر نص العبارة السابقة للذهبي[٣].

١٤) المقريزي المتوفى ٨٤٥ هـ : (إن أبا عذرتها عبدالله بن الحسن)[٤].

١٥) أحمد بن أحمد شهاب الدين القليوبي الشافعي المصري المتوفى عام ١٠٦٩هـ : (تزوَّجت بابن عمِّها عبدالله بن الحسن فقتل عنها بالطف)[٥].

١٦) الشبلنجي المتوفى في القرن الثالث بعد الألف : (تزوَّجت عبدالله بن الحسن السبط بن علي كرَّم الله وجهه ، فقتل عنها بالطف قبل أن يدخل بها)[٦].

١٧) الصبّان المتوفى في القرن الثالث بعد الألف في هامش نور الأبصار: (وفي كلام غير واحد أن سكينة تزوَّجت بابن عمِّها عبدالله بن الحسن فقتل عنها)[٧].

طائفة من الأعلام والباحثين:

وذهب إلى زواج عبدالله بن الإمام الحسن عليه السلام بالسيدة سكينة عليها السلام

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٠٥/٦٩ .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٣٧١/٧ .

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي ١٨٢/١٥ .

(٤) المواعظ والاعتبار للمقريزي ١٣٧/٢ .

(٥) تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطايب لأحمد بن أحمد شهاب الدين القليوبي الشافعي المصري : ٢٧ .

(٦) نور الأبصار للشبلنجي : ١٧٥ .

(٧) إسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأبصار : ٢١٠.

جملة من أعلام هذا القرن العامة منهم والخاصة كالدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن [١] وعمر كحالة [٢] والدكتور حسن عباس نصر [٣] والسيدعبدالرزاق المقرم [٤] والسيد محمد علي الحلو [٥] والشيخ علي النمازي الشاهرودي [٦] والشيخ عباس القمي [٧] والحاج حسين الشاكري [٨].

---

(١) سكينة بنت الحسين لبنت الشاطئ : ٨٥ .

(٢) أعلام النساء لكحالة ٢/٢١٦ .

(٣) السيدة سكينة بنت الحسين ، مجلة نور الإسلام العددان ٢٩و٣٠ السنة الثالثة١٤١٣هـ : ٤٦ .

(٤) السيدة سكينة : ١١٠ .

(٥) عقيلة قريش آمنة بنت الحسين : ١٣٥ .

(٦) مستدرك سفينة البحار للشاهرودي : ٩٣/٥ .

(٧) منتهى الآمال ٦٨٣/١ نقلاً عن السيد محمد علي الحلو في عقيلة قريش : ١٣٧ .

(٨) العقيلة والفواطم : ١٨٧ .

القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام :

زواج القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام من السيدة سكينة عليها السلام مما اشتهر على ألسنة الذاكرين حتى ارتكز في الذاكرة الشعبية ، وقد ساعد على ذلك أدب الطف عند المتأخرين ، وخاصة الأدب الشعبي .

وهذا الزواج (أعني زواج القاسم من سكينة) لا وجود له تاريخيًا ولاحتى في أدب الطف عند المتقدمين . وقد مرَّ عليك أنها متزوجة من ابن عمِّها عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام على اختلاف بين دخوله بها وعدم الدخول .

ولعل أول من أشار إلى زواج القاسم في الكتب التي بين أيدينا هو الطريحي المتوفى عام ١٠٨٥هـ ، ولم يذكر الطريحي أن القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام تزوج بالسيدة سكينة عليها السلام وإنما ذكر أنه تزوج من ابنة عمّه المسماة له[١] ، والتي أصبحت فيما بعد على ألسنة الذاكرين تحمل اسم السيدة سكينة عليها السلام.

وقد ذهب جمع من أعلام الطائفة إلى عدم ثبوت زواج القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام من المسماة له وخبر العوذة [٢] ، على أن عدم ثبوته لا يعني عدم وروده في كتب التاريخ ، لذا لم يحرم من قال بعدم الثبوت ذكر الحادثة بعنوان الحكاية عن كتاب أو شخص لا بعنوان الورود[٣] .

ويمكننا أن نعتذر للقائلين بوقوع زواج القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام بجملة من الروايات يلاحظ فيها كثير من الخلط بين أبناء الإمام

---

(١) المنتخب للطريحي المجلس السابع من الجزء الأول : ١٤٣ .

(٢) السيد الخوئي قدس سره والميرزا جواد التبريزي قدس سره في صراط النجاة ٤٤٢/٢ ، استفتاءات السيد علي السيستاني دام ظله : ٥٣٦ .

(٣) صراط النجاة ٤٤٠/١ .

الحسن عليه السلام وخصوصًا عبدالله والقاسم ، كما أن فيها ما يوهم وقوع الزواج في كربلاء ، نضعها بين يديك دون استنتاج أو قطع :

١) حمل الإمام الحسين عليه السلام أخواته على المحامل وابنته وابن أخيه القاسم بن الحسن بن علي عليهما السلام [(١)].

٢) خرج إلى المعركة عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وفي بعض الروايات القاسم بن الحسن[(٢)].

٣) ما أورده الطبرسي ، ونصُّ عبارته : (وكان عبدالله بن الحسن قد زوَّجه الحسين عليه السلام ابنته سكينة ، فقتل قبل أن يبني بها)[(٣)].

٤) نصُّ عبارة القاضي النعمان المغربي : (قتل معه يومئذ عبدالله بن الحسن عليه السلام لأم ولد ، وكان الحسين عليه السلام قد زوَّجه ابنته سكينة فقتل يومئذ قبل أن يبتني بها)[(٤)].

(١) أمالي الصدوق : ٢١٧ ، العوالم : ١٦١ ، بحار الأنوار ٣١٣/٤٤ .

(٢) مقتل الخوارزمي ٣١/٢ طبعة أنوار الهدى ١٤٢٣ هـ ، بحار الأنوار ٤٥ /٣٤ .

(٣) إعلام الورى للطبرسي ٤١٨/١ .

(٤) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ١٨٠/٣ .

مصعب بن الزبير :

لعل زواج السيدة سكينة عليها السلام من مصعب بن الزبير بن العوام من المشهور في كتب التاريخ ، ورب مشهور لا أصل له ، ولولا ذلك الكمُّ الهائل مما وقع بين أيدينا ـ مما مر عليك من زيف وكذب شوّه صورة السيدة الجليلة ـ لقلنا بزواجها من مصعب لكثرة الأخبار المؤيِّدة لذلك ، ولكن تلك المقدمات جعلتنا نبحث وراء هذا الزواج بشيء من التدقيق .

ويمكن القول بأن شهرة زواج السيدة سكينة عليها السلام من مصعب بن الزبير تعتمد على أمرين : قوائم الأزواج التي سردتها طائفة من كتب التاريخ ، والأخبار التي تشير إلى الزواج بدءًا بمراسمه وانتهاءً بمقتل مصعب ، وسنضع كلا الأمرين تحت المجهر لنرى حقيقة الأمر .

أعظم أدلة الزواج المزعوم قوائم الأزواج :

قوائم الأزواج التي أوردناها ، هي قوائم غير منتقاة وإنما هي ما استطعنا جمعه من كتب المتقدِّمين فكانت خمس عشرة قائمة لم يتطابق منها سوى أربع قوائم ، وجميع تلك القوائم ترجع إلى بدايات التدوين التاريخي ، بل هي من أقدم المصادر المطبوعة والتي بين أيدينا ، بدءًا ببداية القرن الثالث الهجري وحتى منتصف القرن الرابع ، كما أفردت عنوانًا لقوائم المتأخرين بدءًا بالقرن السادس الهجري فذكرنا قائمة ابن عساكر ، وانتهاءً بالقرن الحادي عشر ، فهم عن المتقدمين يأخذون ، على أن كل قائمة لها أكثر من مصدر تابع فيه المتأخِّر المتقدِّم . فهل تصمد هذه القوائم أمام البحث والنقد التاريخي ؟

المناقشة التاريخية :

مرَّ عليك أن زواج السيدة سكينة عليها السلام من عبدالله بن الإمام الحسن عليه السلام ثابت بالدليل التاريخي ، وبالتالي فكل القوائم التي لا تذكره ضمن أزواجها لا يمكن قبولها وهي : (٢ و٣ و٤ و٦ و٧ و٨ و١١و ١٢و١٣) كما أن القوائم المتبقية وهي (١ و٥ و٩ و١٠ و١٤و١٦) لا يمكن قبولها لأنها تذكر إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف آخر أزواجها وهو المتوفى على التحقيق عام٧٦هـ وعلى المشهور عام ٩٦هـ ، وهو ما يتعارض مع وجود زيد العثماني سابقًا له وهو المتزوج بها ـ على ذمة التاريخ ـ حتى أواخر ٩٧هـ [1]. أما القائمة (١٥) فهي تجعل الأصبغ المتوفى عام ٨٦ هـ بعد زيد العثماني ومصعب .

سقوط أعظم الأدلة :

إذًا جميع قوائم المتقدمين وهي خمس عشرة قائمة لا تصحُّ ، ولا تصح

---

(١) راجع الأزواج إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف وزيد بن عمرو العثماني .

كل قوائم المتأخرين الذين تابعوهم في عدد الأزواج وترتيبهم ،وبالتالي يسقط أكبر دليل على زواج السيدة سكينة عليها السلام من مصعب أو على أقل تقدير لا يمكن الاعتماد والركون لتلك القوائم على كثرتها ، ولعل تلك القوائم هي أهم أسباب شهرة هذا الزواج .

قرائن تشير إلى العبث التاريخي :

سأضع بين يديك ملاحظات تضعف الاعتماد على تلك القوائم ، فمصعب بن الزبير يأتي في قوائم الأزواج الأول والثاني ، ويأتي آخر الأزواج ثالثًا وقبل الأخير رابعًا . فإذا ما رجعت للقوائم السابقة أمكنك القول :

١) بعدم صحة الزواج لتقدُّم الأصبغ المتوفى عام ٨٦ هـ في بعض القوائم السابقة على مصعب بن الزبير المتوفى عام ٧٢هـ .

٢) كما أنه زواج لا يستقيم لتقدُّم زيد بن عمرو العثماني المتزوج بها حتى أواخر عام٩٧هـ على مصعب بن الزبير المتوفى عام ٧٢هـ.

٣) كما يمكننا رفض الزواج لتقدُّم عمر ابن الإمام الحسن عليه السلام على مصعب وعمر ممن عاش بعد كربلاء وأنجب ، وكان رجلاً ناسكًا من أهل الصلاح والدين[1].

٤) ولقلنا إن عبدالله بن عثمان الحزامي المتزوج بها في ولاية هشام بن إسماعيل (٨٣ هـ ـ ٨٦ هـ) متقدم على مصعب ، وهذا ما لا يستقيم أيضًا.

٥) كما يمكننا القول : إن سكينة المتزوجة من مصعب هي سكينة أخرى لا بنت الإمام الحسين عليه السلام إذ كيف ترفض اقتراح مصعب في تسمية ابنتها باسم زهراء فتقول : (بل أسميها باسم إحدى أمهاتي ، فسمَّتها الرباب)[2]؟! أوما كانت أشرف جدَّاتها سيدة نساء العالمين هي

---

(١) نسب قريش للمصعب : ٥٠ .

(٢) الأغاني ١٦/١٥٩ .

الزهراء عليها السلام ؟!

٦) كما يحق لنا أن نقول : إن سكينة المتزوجة من مصعب المتوفى عام ٧٢هـ هي سكينة أخرى لا بنت الإمام الحسين عليه السلام لوجود نص يقول برفض أمها الرباب تزويجها من عبدالملك بن مروان بعد قتله لمصعب[1] ، بينما والدة سكينة عليها السلام قد توفيت بعد والدها بعام ، أي عام ٦٢هـ .

سقط المتاع :

ربما يذهب البعض إلى أن ما سبق ما هو إلا سقط متاع وتمَحُّل ، ولو كنا متمحِّلين لقلنا بعدم جواز زواجها شرعًا من مصعب لأنهما إخوة لأم واحدة ،فالرباب والدة السيدة سكينة عليها السلام هي بنت امرئ القيس ، ومصعب أمه الرباب بنت أنيف[2] ، لكن ابن كثير يجعل والدة السيدة سكينة عليها السلام هي الرباب بنت أنيف حين يذكر الأبيات المنسوبة للإمام الحسين عليه السلام زورًا وبهتانًا في الرباب وسكينة فيقول : مما أنشده الزبير بن بكار من شعره (أي الحسين عليه السلام) في امرأته الرباب بنت أنيف ، ويقال بنت امرئ القيس أم ابنته سكينة[3] ، وفي موضع آخر يقول: وفيها توفيت الرباب بنت أنيف امرأة الحسين بن علي[4] .

هذا هو سقط المتاع الذي لم نعوّل عليه ولم نجعله دليلاً على انتفاء الزواج ، ولكن تنبَّه معي أيها البصير ، فلعل سقط المتاع أنبأ عمّا يحتويه المتاع ، فلطالما قالت العرب : البعرة تدل على البعير .

---

(١) الأغاني ١٦ / ١٦٠ . وجاء فيه : (خطب سكينة بنت الحسين عليه السلام عبدالملك بن مروان فقالت أمها : لا والله لا يتزوَّجها أبدًا وقد قتل ابن أخي ، تعني مصعبًا) وفي نوادر المخطوطات جاء في المردفات للمدائني ١/ ٧٢ (وقد قتل ابن أختي) .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٠٠ ، طبقات خليفة بن خياط : ٤٢١ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٢٢٨ .

(٤) البداية والنهاية ٨/ ٢٣٨ .

وبالتالي يمكن ردُّ أيٍّ قائمة بالنظر إلى قائمة أخرى تعارضها ، كما يمكن ردُّ القائمة بالنظر في أحوال وتواريخ وفيات الأزواج .

وهنا لا يسعنا إلاّ الوقوف على أحوال الزيجة منفردة ، والتدقيق فيما جاء من أخبار بعيدًا عن تلك القوائم ، وسنستعين بتعريف شخصية مصعب تعريفًا يُعيننا على فهم أسباب رفض هذا الزواج ، وسيكون تعريفنا له كما ورد في بطون كتب التاريخ ، لا كما أراد لنا أهل التاريخ أن نراه ونتصوَّره .

من هو مصعب بن الزبير ؟

١) أخلاقه وسجاياه :

يعرِّف مصعب بن الزبير نفسه فيقول : أنا القصاب[١] ، وقد سمَّيت نفسي الجزار[٢] ، فشهد بذلك على نفسه ، وأذعن التاريخ لمقولته ، فما أن وطأت قدمه البصرة واليًا عليها من قبل أخيه عبدالله بن الزبير حتى أمر بحبس الوالي السابق وهو الحارث بن ربيعة ، ودس إليه من يقتله[٣] ، واستمر في دمويته الحاقدة فقتل ابني حجر بن عدي صبرًا لأنهما يتشيَّعان[٤] ، بل تتبَّع الشيعة بالقتل في الكوفة وغيرها[٥] حتى قال أبو الطفيل : لم يبق من الشيعة غيري[٦] ، وبلغ من إسرافه في قتل شيعة أهل البيت عليهم السلام أن قتل منهم سبعة آلاف نفس محترمة صبرًا في يوم واحد بعد أن أعطاهم الأمان أثناء تصفية حركة المختار ، حتى خاطبه عبدالله بن عمر بقوله : أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ؟! عش ما استطعت، فقال مصعب : إنهم كفرة سحرة (طبعًا لأنهم يتشيَّعون) فقال ابن عمر : والله لو قتلت عدتهم غنمًا من تراث أبيك لكان ذلك سرفًا[٧] .

وقد تجاوز القصاب الجزار في إسرافه فقتل امرأة المختار عمرة بنت النعمان صبرًا بعد أن رفضت البراءة من المختار ، فقال عمر بن أبي ربيعة :

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ، تحقيق الزيني ١٥/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٥٥٨/٤ ، البداية والنهاية ٣١٦/١ .

(٣) الأغاني ٣٢٤/٢٢ .

(٤) الوافي بالوفيات للصفدي ٢٤٧/١١ .

(٥) مروج الذهب للمسعودي ١١٩/٣ .

(٦) الأغاني ١٤٧/١٥ .

(٧) تاريخ الطبري ٥٧٤/٤ ، الكامل في التاريخ ٢٧٨/١٤ ، البداية والنهاية ٣١٩/٨، تاريخ مدينة دمشق ٢٩٧/٦٩ .

إنّ مِن أعجبِ العجائبِ عندي ... قتلَ بيضاءَ حُرّةٍ عُطبولِ
قُتِلَتْ هكذا على غيرِ جُرمٍ ... إنّ لله درَّها من قَتيلِ
كُتِبَ القِتَلُ والقتالُ علينا ... وعلى المحْصَنَاتِ جرُّ الذّيولِ[(١)]

هذا طرف من أخلاق مصعب بن الزبير وسجاياه ، وفي هذا الباب قال رجل لعبدالملك بن مروان : كان مصعب يشرب النبيذ ، فقال عبدالملك : كان ذلك قبل أن يطلب المروءة ، فأما وقد طلبها فلو علم أن الماء ينقص مروءته ما ذاقه[(٢)].

ولا تعجب أن يُحلّ مصعب بن الزبير ما حرَّم الله ، فعلى ذمة التاريخ كانت مجالس اللهو والطرب تنعقد في داره برعاية زوجته عائشة بنت طلحة فيطرب لذلك[(٣)] ، ولنذهب معك إلى أبعد من ذلك وعلى ذمة التاريخ أيضًا حيث أنه أبرز حليلته عائشة بنت طلحة للشعبي وأدخله حجرتها ، وأكثر من هذا وذاك أن قال : يا شعبي ، إنها اشتهت عليَّ حديثك ، فحادثها ، فخرج وتركها[(٤)].

٢) معسكره :

ضمَّ معسكره أشراف الكوفة (طبعًا قتلة الإمام الحسين عليه السلام) الهاربين من المختار إلى البصرة للالتحاق بمصعب ، وكان ممن هرب للحاق به شمر بن ذي الجوشن قبّحه الله[(٥)] ، كما ضمَّ حجار بن أبجر

(١) تاريخ الطبري ٥٧٤/٤ ، الكامل في التاريخ ٢٧٥/١٤ ، تاريخ اليعقوبي ٢٦٤/٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٩٥/٦٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤ /٣٣٣ ، الموفقيات للزبير بن بكار : ٤٤٩ .

(٣) الأغاني ١٨٨/١١ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٢٥٦/٦٩ .

(٥) البداية والنهاية ٢٩٧/٨ ،

العجلي الذي دعاه مصعب وضمَّ إليه خمسة آلاف فارس ، ووجّهه نحو عبيدالله بن الحر[١] ، وهذا مرّة بن منقد العبدي قاتل علي بن الإمام الحسين عليه السلام ينضمُّ إلى كوكبة الملعونين في معسكر مصعب[٢] ،أمّا ابن سيد الأنصار حبيب بن مظاهر الأسدي فيظفر بقاتل والده في معسكر مصعب[٣] .

أضف إلى هؤلاء ما ورد في الأخبار الطوال من أن المختار بلغه أن شبث ابن ربعي وعمرو بن الحجاج ومحمد بن الأشعث مع عمر بن سعد قد أخذوا طريق البصرة في أناس معهم من أشراف أهل الكوفة ، فأرسل في طلبهم رجلاً من خاصته يسمّى أبا القلوص الشبامي في جريدة خيل ، فلحقهم بناحية المذار ، فواقعوه وقاتلوه ساعة ،ثم انهزموا ، ووقع في يده عمر بن سعد ، ونجا الباقون ... فضرب عنقه وأخذ رأسه ، فبعث به إلى المدينة إلى محمد بن الحنفية[٤] ،وكان ذلك عام ٦٦هـ حين غلب المختار على الكوفة .

هذه أسماء بعض من انضمَّ إلى معسكر مصعب بن الزبير ممن باشر قتل الأصفياء وحرق خيام بيت النبي المصطفى ﷺ وسلبها في فاجعة كربلاء ، فهل تزوجت السيدة سكينة عليها السلام من مصعب بن الزبير قبل هذه الأحداث أم بعدها ؟

تحديد زمن الزواج (أواخر عام ٦٧هـ) :

لا يمكن قبول احتمال وقوع الزواج قبل غلبة المختار على الكوفة ، وقبل بعثه برأس عبيدالله بن زياد للمدينة ، فالنص التاريخي لا يساعدنا

---

(١) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ٣٠٩/٦ .

(٢) أصدق الأخبار للسيد محسن الأمين : ٧٦ .

(٣) مقتل الحسين لأبي مخنف : ١٤٦ .

(٤) الأخبار الطوال : ٣٠١ .

على قبول هذا الاحتمال ،فقد ورد في تاريخ اليعقوبي : لما أتي برأس عبيدالله بن زياد أمر علي بن الحسين بالفاكهة ففرِّقت في أهل المدينة ، وامتشطت نساء آل الرسول واختضبن ، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسين[١] .

كما أن النص الروائي الوارد بألسنة متعددة يكذِّب هذا الزواج ، فمما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : (ما اختضبت منا امرأة ولا ادّهنت ولا اكتحلت ولا رجَّلت حتى أتانا رأس عبيدالله بن زياد ، وما زلنا في عبرة بعده)[٢] ، (ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ، ولا رئي في دار هاشمي دخان خمس حجج ، حتى قتل عبيدالله بن زياد لعنه الله)[٣] ، (ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام)[٤].

فإذا لم تختضب ولم تكتحل ولم تمتشط وما رجلت[٥] هاشمية خمس حجج وقبل أن يبعث المختار برأس عبيدالله بن زياد ، فكيف تتزوَّج ؟

فإن تزوَّجت السيدة سكينة عليها السلام من مصعب بعد ذلك ، فقد اكتحلت وامتشطت وترجَّلت وتحنَّأت واختضبت لمن قتل المختار الذي كان سببًا في اكتحالها وامتشاطها و.... ،وزفَّت لمصعب وفي معسكره من قتل ذريتها ومن حرق خيامها ومن سلبها وسباها . لك أن تتخيل كيف خالفت السيدة الجليلة العابدة عقيلة قريش الفطرة البشرية بزواجها من مصعب ؟! ولك أن تتخيَّل كيف أقرَّها بنو هاشم على ذلك دون مغمز أو مهمز يسجِّله لنا

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٩ .

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه : ١٦٧ .

(٣) ذو النضار لابن نما الحلي : ١٤٤ .

(٤) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ١/٣٤١ ، رجال بن داوود الحلي : ٢٧٧ .

(٥) يقال نصت المرأة إذا رجلت شعرها ، لسان العرب لابن منظور ١٥/٣٢٨ .

التاريخ ؟! ولا يمكن أن يقال بنظرية القهر وقد أوقفناك على استحالتها تحت عنوان النظريات المعللة للزواج .

وستسأل متى كان إذًا هذا الزواج ؟ فأجيبك من خلال المعطيات التاريخية بأن الزواج وقع في ولاية مصعب على البصرة[١] ، وأن عبدالله بن الزبير عزل أخاه مصعب وولى مكانه ابنه حمزة بن عبدالله بن الزبير لأنه أمهر كلاً من عائشة بنت طلحة والسيدة سكينة عليها السلام بألف ألف[٢] ، فإذا ما تتبعنا سنة عزله وجدنا انها سنة ٦٧هـ بعد أن قتل المختار (رمضان سنة ٦٧هـ[٣]) وولّى مكانه ابنه حمزة بن عبدالله بن الزبير[٤] .

ولعل هذا التقريب التاريخي يتعارض مع التوجيه الفقهي لجواز زواج السيدة سكينة عليها السلام من مصعب قبل أن يعلن عداوته[٥] .

---

(١) الأغاني ١٦/١٦٣ .

(٢) الأغاني ٣/٣٥٧ .

(٣) مرآة الجنان لليافعي ١/١١٥ .

(٤) الكامل في التاريخ ٤/٢٧٨ .

(٥) حكم تزويج المؤمنة من المخالف ، فقه الإمام الصادق عليه السلام للسيد محمد صادق الروحاني دام ظله ونفعنا بطول بقائه ، هامش ٢١/٤٧٧ .

أخبار الزواج :

أوقفناك على أن شهرة زواج السيدة الجليلة من مصعب راجعة لأمرين : أحدهما قوائم الأزواج التي لم تصحَّ وقد سبق تناولها ، والأمر الآخر : الأخبار الكثيرة التي تنصُّ على هذا الزواج ، وتدخل ضمن دائرة القصص والحكايا التي إن أُخضعت للمقاييس العلمية بان زيفها وإسرافها في الكذب، وسنقسِّم تلك الأخبار إلى أقسام أربعة : ما يتضمن التمهيد للزواج، وما يشتمل على مراسيم الزواج ،وما يفيد اختفاء السيدة سكينة عليها السلام من حياة مصعب وظهورها قبيل وفاته ، وما يشير ضمنًا إلى الزواج .

أ) الخبر المتضمِّن للتمهيد للزواج :

من أعاجيب فنون التاريخ المدرك لاستحالة زواج مصعب من عقيلة قريش أن مهد لهذا الزواج قبل مخاضه وولادته ، فجاءنا بخبر عن أبي الزناد قال : اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبدالله بنو الزبير وعبدالله بن عمر ، فقالوا : نتمنى،فقال عبدالله بن الزبير : أما أنا فأتمنى الخلافة ، وقال عروة : أما أنا أتمنَّى أن يؤخذ عني العلم ، وقال مصعب : أما أنا فأتمنَّى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وقال عبدالله بن عمر : أما أنا فأتمنَّى المغفرة ، قال: فنالوا كلهم ما تمنَّوا ، ولعل ابن عمر قد غفر له[1].

وأضافت بعض الأخبار للمجتمعين عبدالملك بن مروان ، وأنه تمنى أن

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩/٣ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر٢١٩/٥٨، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤١/٤ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٥٢٦/٥ ، البداية و النهاية لابن كثير ٣٥١/٨ .

يملك شرق الأرض وغربها على اختلاف في الألفاظ[١]. على أن هذا الاجتماع في الحجر كان أيام تآلفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان[٢].

نقد في المضمون :

لاشك ولا ريب أن المسلمين يجمعون على وجود أماكن وأزمنة تُفاض فيها رحمة الله ويستجاب فيها الدعاء على أن يكون هذا الدعاء من المباح، فإن كانت السيدة سكينة عليها السلام زمن الدعاء غير متزوِّجة ، فعائشة بنت طلحة ذات بعل، فهل كان الدعاء المستجاب لكي تُطلّق ؟ فإن كان ذلك فلا بأس فلعل الله برحمته يستجيب ، مع أن أبغض الحلال عند الله الطلاق ! أمّا إذا كان دعاء مصعب لتترمّل بوفاة زوجها ، فلا أعلم شريعة تجيزه وتصنِّفه ضمن الدعاء المباح فضلاً عن أن يكون مُستجابًا .

ناقل الخبر ولد بعد الخبر:

أما إذا انسقنا وراء المنهج التاريخي فسنقول : إن زمن الاجتماع في عهد معاوية أي قبل سنة هلاكه (٦٠هـ)، وإذا تجاوزنا المنهج التاريخي إلى منهج أهل الحديث فلن يقبل هذا الخبر ،لأن شاهد الاجتماع وراوي الخبر هو أبو الزناد عبدالله بن ذكوان المولود سنة ٦٥هـ[٣]، أي بعد الاجتماع بما لا يقلُّ عن خمسة أعوام .

فإذا دققت في الخبر وجدت أن أبا الزناد شاهد على هذا الاجتماع ، وشاهد على تحققه (فنالوا كلهم ما تمنَّوا ، ولعل ابن عمر قد غفر له) .

أجزم بأن رائحة القصص تفوح من هذا الخبر خاصة إذا ما استعرضنا

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٢٣٠ ، الوافي بالوفيات للصفدي ٣٦٢/١٩ ، وفيات الأعيان ٣٠/٣،شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١٣٦/٢٠ .

(٢) وفيات الأعيان ٥٩/٣ ، الوافي بالوفيات ٣٦٢/١٩ .

(٣) الأعلام ٨٥/٤ .

الأسماء الموجودة ، والأماني المطروحة ، ولعله خبر دعائي أراد تلميع بعض الشخصيات التي تمنَّت أمنية فتحققت . بينما مصعب تمنَّى ثلاث أمنيات هي : إمرة العراق ، والزواج من السيدة سكينة عليها السلام والزواج من عائشة بنت طلحة .

وأحسب أيضًا أن مثل هذه الكرامات لو نُقلت عن أهل البيت عليهم السلام لقامت الدنيا ولم تقعد تحت عنوان الغلو وتقديس الشخصيات ، ولكان هذا الخبر محل سخرية واستهزاء ، لكنه في حق غيرهم جائز مشروع ثابت بالدليل التاريخي .

ب) مراسيم الزواج المزعوم:

تمَّت مراسيم الزواج في أواخر عام ٦٧هـ بعد تصفية حركة المختار ، وبعد أن أباد مصعب الشيعة بمجازره الجماعية ، وقد تقدَّم عدم إمكان ذلك ، وفي مراسيم الزواج أربعة أخبار :

١) بضع الفتاة بألف ألف:

جاء في الخبر أن أنس بن زنيم الليثي كتب إلى عبدالله بن الزبير بعد أن تزوج مصعب من السيدة سكينة عليها السلام وأمهرها ألف ألف :

أبْلِغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً ... مِنْ ناصحٍ لكَ لا يُريكَ خِداعا
بُضْعُ الفتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ ... وتَبيتُ قاداتُ الجيوشِ جياعا[1]
لو لأبي حَفْصٍ أقولُ مقَالتي ... وأُبثُّ ما أبثثُكم لارتاعا

فلما وصلت الأبيات لعبدالله بن الزبير جزع ، ثم قال : صدق والله ... وأمر بعزل مصعب وتولية ابنه حمزة [2].

---

(١) بُضْعُ الفتاة : فَرْجُها .

(٢) الأغاني ٣/٣٥٧ .

الرفض التاريخي:

لقد أكثرنا من قولنا بأن مثل هذه الأخبار لا تخرج من إطار القصص والحكايا ، ولعل هذا العنوان من أصدق تلك الحكايا إذا ما حاكمتها لمعطيات التاريخ ، فأنس بن زنيم صاحب الأبيات متوفى في نحو ٦٠هـ[١] ، أي قبل تحقق زواج السيدة سكينة عليها السلام من مصعب على ذمة التاريخ في أواخر عام ٦٧ هـ .

خلاف الواقع السياسي والتاريخي :

إن القصص والحكايا تجعل ذلك الزواج سببًا في عزل مصعب عن ولاية البصرة ، فإذا كان ذلك حقيقة الأمر فلمَ أعاد عبدالله بن الزبير أخاه مصعبًا واليًا على العراق مرة أخرى بعد أن عزل ابنه حمزة مع بقاء سبب العزل ؟

إذا أردت أن تعرف حقيقة الأمر ، وما يتفق مع الواقع السياسي والتاريخي بعيدًا عن تلك القصصية ، فتأمَّل ما أورده اليعقوبي إذ يقول : فلما قتل مصعب بن الزبير المختار واستقامت له أمور العراق حسده عبدالله ابن الزبير على ذلك ، فوجَّه حمزة ابنه للبصرة وكتب إلى مصعب أن يصرف أمر البصرة إلى حمزة ، ففعل ذلك ، فكان حمزة أضعف الناس وأقلَّهم علمًا بالأمر ... حتى ردَّ مصعب إلى العراق[٢] .

تجلية الموقف:

قد وعدناك سابقًا ببيان من المقصود بهذه الأبيات ، وآن لنا أن نفي بوعد قطعناه .

جاء في المردفات للمدائني وهو المتقدم زمنيًا على صاحب الأغاني :

---

(١) الأعلام للزركلي ٢/٢٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٤ .

تزوجت عائشة بنت طلحة مصعبًا فأصدقها خمسمائة ألف وأهدى لها خمسمائة ألف فقال أنس بن زنيم ... وذكر الأبيات السابقة[١].

كما جاء في طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي والمعارف لابن قتيبة وهما متقدِّمان زمنيًا على صاحب الأغاني : أن أنس بن زنيم قال هذه الأبيات لما تزوج مصعب من عائشة فأصدقها ألف ألف درهم ، وتابعهما العيني في عمدة القاري[٢].

ويؤيِّد هذا الخبر أن أنس بن زنيم متوفى نحو ٦٠هـ ، وأن مصعب تزوَّج السيدة سكينة عليها السلام على ذمة التاريخ وهو أمير على البصرة في أواخر عام ٦٧هـ ، أمّا زواجه من عائشة بنت طلحة فهو متحقق قبل زواجه المزعوم من السيدة سكينة عليها السلام ، إذ هو متزوِّج بها قبل رحيله إلى العراق.

وفي ذلك يقول الحارث بن خالد لما تزوَّج مصعب من عائشة ورحل بها إلى العراق :

ظعنَ الأميرُ بأحسنِ الخلقِ وغدا بلُبِّك مطلعَ الشّرقِ[٣]

كما أن للذهبي في سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام رأيًا آخر ، إذ يذهب إلى أن الأبيات وردت في زواج عائشة بنت طلحة ولكن ليس من مصعب وإنما من زوجها التالي لمصعب وهو عمر بن عبدالله التيمي ، دون أن يُسمِّي قائل الأبيات[٤].

٢) أربعين ألفًا لمن حملها :

جاء في الأغاني : قال مصعب : وحدَّثني مصعب بن عثمان : أن علي بن

---

(١) نوادر المخطوطات تحقيق عبدالسلام هارون ، المردفات للمدائني ١/ ٧٧ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٤٦١ ، المعارف : ٢٣٣ ، عمدة القاري للعيني ٢٠/ ١٣٧ .

(٣) الأغاني ٣/ ٢١٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٦٩ ، تاريخ الإسلام ٧/ ١٣٣ .

الحسين أخاها حملها إلى مصعب فأعطاه أربعين ألف دينار[١].

رواة الخبر:

خبر يرويه صاحب الأغاني بسند مقطوع عن المصعب الزبيري المتوفى عام ٢٣٦هـ ،أمَّا صاحب الأغاني فولِد عام ٢٨٤هـ أي بعد مايقرب من ٤٨ عاماً.

نقد المضمون:

ثم تتبَّع سيرة الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في كتب التاريخ علّك تجد له خروجًا من المدينة إلى العراق في ذلك العام ، أو حتى بعد ذلك العام!

٣) أحسن من النار الموقدة :

جاء في الأغاني أيضًا : قالت سكينة : دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة[٢].

زُفّت العروس فنطقت ـ يالله ـ بما نطقت به ضرَّتها عائشة بنت طلحة حين قال لها أبو هريرة : ما رأيت شيئًا أحسن منك إلاّ معاوية أول يوم خطب على منبر الرسول ، فقالت عائشة : والله لأنا أحسن من النار في الليلة القرة في عين المقرور[٣].

كما ورد الخبر السابق عن أنس بن مالك مع عائشة بنت طلحة[٤].

نماذج من التحريف واضحة فاضحة يُتقرَّب بها إلى السلطان فيدخل معاوية في الخبر دخول الجملة الاعتراضية ، تزاح عن عائشة بنت طلحة لتُلقى على كاهل السيدة سكينة عليها السلام تطالعنا كلما طوينا صفحة من

---

(١) الأغاني ١٥٩/١٦ .

(٢) الأغاني ١٥١/١٦ و ١٥٩ .

(٣) الأغاني ١٩٧/١١ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٢٥١/٦٩ .

صفحات التاريخ المحرّف، فلا شك أن خبر عائشة مع أبي هريرة المتوفى عام ٥٩هـ متقدِّم زمنيًا على خبر زواج السيدة سكينة عليها السلام المزعوم أواخر ٦٧هـ ، وبتقدُّم الخبر يُعرف الناسخ من المنسوخ .

٤) ثمرة الزواج :

في ذات السياق القصصي المتصادم مع معطيات التاريخ نبتت شجرة الزواج المزعوم واستطالت ، حتى آتت أُكلها ، فأثمرت لنا بنتًا جاء بها التاريخ على هودج من الهرج والمرج .

فهذا المصعب الزبيري النسابة المبدع يقول : ولدت من مصعب بنتًا فقال لها : سمِّيها زهراء ، قالت : بل أسمِّيها باسم إحدى أمهاتي ، وسمَّتها الرباب[١] .

وكأن الاسم المقترح من مصعب لم يكن لإحدى أمهاتها ، أمّا المدائني فقال : فسمّتها خديجة أو فاطمة[٢] .

وبعد أن سُمّيت البنت بالرباب أو فاطمة أو خديجة ، ماتت وهي صغيرة[٣] ، أو زُفّت ـ على ذمة التاريخ والتهريج ـ على عمِّها أخي مصعب[٤] ، فيالله وحلمه !

وإذا تجاوزنا هذا الإسراف في التهافت والتناقض وقفنا على خبر يقول : لما قتل مصعب ولي أخوه عروة تركته فزوجها ـ يعني الرباب بنت مصعب ـ ابنه عثمان بن عروة ، فماتت وهي صغيرة ، فورثها عثمان بن عروة عشرة

---

(١) الأغاني ١٥٩/١٦ .

(٢) نوادر المخطوطات ، المردفات من قريش للمدائني ٧٢/١ .

(٣) نوادر المخطوطات ، المردفات من قريش للمدائني ٧٢/١ .

(٤) سكينة بنت الحسين للدكتورة عائشة عبدالرحمن : ٨٣ نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية .

آلاف دينار[١].

فقط عشرة آلاف دينار ، وأكرّر فقط عشرة آلاف دينار ، وقد تولّى تركة مصعب الفقيه عروة ، فإذا ما تتبّعت ثروة مصعب بن الزبير لم تقبل بهذا المبلغ المتواضع ، فمصعب قد أصاب لما ولي العراق ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف[٢] ، وتزوّج امرأتين فأمهر كل واحدة بألف ألف[٣] ، وأعطى من حمل له إحدى زوجاته أربعين ألفاً[٤] ، وأهدى عائشة بنت طلحة نخلة من ذهب قوّمت بألفي ألف دينار ، وترضّى عائشة حين غاضبته بأربعمائة ألف درهم فأطلقتها للمرأة التي أصلحت بينهما[٥].

لك أن تتخيّل هذه الثروة ثم تجمعها مع ما ورثه مصعب من والده الزبير صاحب الثراء الفاحش ، ولك أن تصدق أن ابنته ورثت فقط عشرة آلاف دينار ، وقد تولّى تقسيم تركته عروة بن الزبير الموسوم بالفقاهة .

ومع هذا فلا وجود لبنت للسيدة سكينة عليها السلام من مصعب سوى محاولة تاريخية جاءت في نموذج مشوّه لإيجاده عنوة رغم أنف المعطيات التاريخية الرافضة لمثل هذا التلفيق والتهافت .

ج) اختفاء السيدة سكينة عليها السلام من حياة مصعب وظهورها قبيل وفاته :

توارت بطلة المسرحية الهزلية بعد المشهد الأول من مراسيم الزواج ، فلم يكن لها حضور بعد ذلك المشهد ولمدة خمس سنوات ، حتى فاجأتنا بالظهور في آخر مشهد من مشاهد تلك المسرحية الهزلية ، ولعل هذا الحبك

---

(١) الأغاني ١٥٩/١٦ .

(٢) تاريخ الإسلام ٥٢٧/٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٤٤/٥٨ ، البداية والنهاية ٣٥٢/٨.

(٣) الأغاني ٣٥٧/٣ .

(٤) الأغاني ١٥٩/١٦ .

(٥) البداية والنهاية ٣٥١/٨ .

بهذه الطريقة يشير إلى خلل ما في عناصر تلك المسرحية .

ومن خلال التتبُّع لم نجد للسيدة سكينة رضي الله عنها في حياة مصعب من الزواج إلى قبيل الوفاة أيَّ دور سوى ما نقله التوحيدي من أن مصعب بن الزبير قال لسكينة بنت الحسين رضي الله عنه : أنت مثل البغلة لا تلدين ، قالت له : لا والله ولكن أبى كرمي أنْ يقبل لؤمك . وقد كفتنا الدكتورة وداد القاضي في تحقيقها للكتاب مؤنة البحث حين نسبت هذا القول لغيرها[١] .

ولعل قائلاً يقول : إن تجاهل التاريخ لرصد الحياة الخاصة بمصعب أمر طبيعي، نعم هو أمر طبيعي لولا أننا قد وجدنا التاريخ يرصد أدقَّ التفاصيل في حياته الخاصة مع زوجته عائشة بنت طلحة ، فبعد أن يتزوَّج عائشة بنت طلحة بألف ألف[٢] ، يحملها معه للعراق[٣] ، وفي العراق يدخل عليها الشعبي مع مصعب[٤] ، كما نجدها مغاضبة لمصعب[٥] ، ونقرأ في خبر آخر أنه يهديها نخلة من ذهب قوّمت بألفي ألف دينار[٦] ، وتقيم عائشة مجالس الطرب ويكون ذلك برعايته وفي داره[٧] ، وتتدَّخل في إطلاق من أسرهم من جيش المختار[٨] ، وتحتضنه عند رجوعه من معركة[٩] ، إلى غير ذلك من التفاصيل الخاصة بحياته الزوجية .

---

(١) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ١١٦/٨ .

(٢) المعارف لابن قتيبة : ٢٣٣ .

(٣) الأغاني ٢١٦/٣ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٢٥٦/٦٩ .

(٥) الكامل للمبرد : ٧٨٢ .

(٦) البداية والنهاية ٣٥١/٨ .

(٧) الأغاني ١٨٨/١١ .

(٨) الكامل في التاريخ ٢٧٤/٤ .

(٩) تاريخ مدينة دمشق ٢٥٩/٦٩ .

وقد تنبَّهت الدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن لهذه الظاهرة الغريبة ، وأبدت جملة من الملاحظات الجديرة بالتأمُّل ، حيث قالت : (سكت رواة الأخبار فلم يذكروا لنا شيئًا عن حياة سكينة مع مصعب ، مع أنهم الذين ملأوا سمع الأجيال بدقائق حياته الزوجية مع عائشة ... لماذا ؟

لست أميل إلى الظن بأنه قد كانت هناك أخبار عن سكينة مع مصعب طويت عمدًا أو عن إهمال ، فالأخباريون في تلك الفترة كانوا أجنح إلى التزيد من صنع الأخبار ، ولو كانت شؤون الحياة الزوجية الخاصة بين سكينة ومصعب قد خرجت إلى الناس وعُرضت عليهم ، لما سكت الرواة عن ذكرها ، بل لما تحرجوا من الخوض فيها والإضافة إليها ، وقد رأيناهم يعرضون عائشة - وهي زوجة وأم - مجردة من ثيابها أمام هذه أو تلك من النساء ، ورأيناهم يقتحمون بأخبارهم مخدعها وهي مع زوجها دون تحرّج أو تأثّم ... وكان من الممكن أن نحسن الظنَّ برواة الأخبار ، فنحسبهم تعففوا عن ذكر أخبار سكينة مع مصعب لأنها بنت الحسين ! ولكن يحول بيننا وبين هذا أنهم نقلوا عنها بعد ذلك أنباء مثيرة بعضها مما لا يُقبل من مثلها ولا يهون الاطمئنان إلى صدوره عنها ، ولم تَحُلْ بنوَّتها للحسين ومكانها في بيت النبوة دون ملء الصفحات بهاتيك الأخبار ، بل لم يعصمها هذا النسب العالي من ألسنة المتقوّلين وأقاويل الرواة وأراجيف المبطلين .

وإنما سكتوا لأن سكينة - فيما نرجّح - لم تصطنع أساليب عائشة بنت طلحة ، ولم تُغذِّ الرواة بمادة خصبة من أفانين دلالها ...)[1] .

أما نحن فنقول : سكتوا لأن الحياة لم تجمعها بمصعب ، وإنما هي أحاديث ملفقة وحكايات وقصص حبكتها أيدٍ آثمة ، وسكوتهم إحدى

---

(١) سكينة بنت الحسين للدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن : ١٠٤ .

قرائن ذلك الحبك الهزيل ، حيث تفاجئنا سكينة هذه بالخروج في المشهد الأخير قبيل هلاك زوجها مصعب في ثلاثة مواضع :

١) اللحظات الأخيرة :

مما ورد قولهم : كتب مصعب إلى سكينة بنت الحسين عليه السلام - وكانت زوجته - لما شخص إلى حرب عبدالملك وهي بالكوفة بعد ليالٍ من فراقها :

وكان عزيزًا أن أبيتَ وبيننا حجابٌ فقدْ أصبحتِ منّي على عَشْرِ
وأنْكَى لقلبي منهما اليومَ أنّني أخافُ بألاّ نَلْتقي آخرَ الدّهرِ
وأبْكاهُما واللهِ للعينِ فاعْلمي إذا ازدِدْتُ مِثْلَيْها فصِرتُ على شهرِ

ثم أرسل إليها وأشخصها ، فشهدت معه حرب عبدالملك ، فدخل عليها يوم قُتل وقد نزع ثيابه ، ثم لبس غلالة ، وتوشّح بثوب واحد ، وهو محتضن سيفه فعلمت أنه غير راجع ، فصاحت : واحزناه عليك يا مصعب ، فالتفت إليها وقال : إن كل هذا في قلبك ! قالت : وما أخفي أكثر ، قال : لو كنت أعلم هذا لكان لي ولك شأن ، ثم خرج فلم يرجع[١] .

العجب كل العجب !

عجبًا لمثل مصعب كيف لم تلهه الحرب عن الغزل ، وعجبًا له كيف أرسل إلى حليلته وأشخصها لتشهد مصرعه ، وهو يستشعر الموت بناءً على الأبيات السابقة وبناءً على الأحداث التاريخية القائلة بظهور الخيانة مسبقًا في صفوف جيشه[٢] ،أم أنه يأمن الأمويين في عدم تعديهم على الحرائر وسبي النساء !

ويزداد بي العجب حين أقف على كتاب الموفقيات للزبير بن بكار ، وهو أولى بنقل مثل هذه الأخبار ، فلا أجد لهذا الخبر أثرًا ، رغم أنه ذكر

(١) شرح نهج البلاغة ٢٩٦/٣ .

(٢) الأخبار الطوال للدينوري : ٣١٢ ، الموفقيات للزبير بن بكار : ٤٤٧ .

حادثة مقتل مصعب في أكثر من خمس وعشرين صفحة فما تعرض لوجود السيدة سكينة عليها السلام معه يوم قُتل .

يرتفع العجب :

ويرتفع العجب حين نقف على أن قائل الأبيات هو مروان بن محمد وقد قالها لجارية له تركها بالرملة[1] ، فتزاح عنه لتلصق بمصعب لا لمصعب، وإنما للسيدة سكينة عليها السلام لتكون القصة والحكاية أكثر تشويقًا ، وهذا ما اعتدناه في جميع مراحل البحث ، لذا يكفينا أن تنسب إلى غيرها مع قيام الدليل على تعمُّد الكذب والتزييف في حياة السيدة الجليلة .

٢) تعرفه بشامة في فخذه :

جاء في تاريخ بغداد ، وتاريخ مدينة دمشق : عن أبي محلم قال : لما قتل مصعب بن الزبير خرجت سكينة تطلبه في القتلى ، فعرفته بشامة في فخذه، فأكبَّت عليه فقالت : يرحمك الله ، نِعْمَ ـ والله ـ حليل المسلمة كنت ، أدركك والله ما قال عنترة :

وحليل غانيةٍ تركت مجدَّلاً بالقاعِ لم يعهد ولم يتثلَّم
فهتكت بالرمحِ الطَّويلِ إهابَه ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ[2]

هذا ما في جُعبة القوم ، قصص للتسلية وحكايا للتّندُّر ، تُنبئ عن عظيم ما ابتُلي به أهل البيت عليهم السلام من دسائس وكذب وافتراء ، حتى أوصلوها لمثل هذا الخبر المشين .

راوي الخبر :

ويكفينا اعتماد منهج أهل الحديث لردِّ الخبر ، فهو الوارد عن أبي

---

(١) البداية والنهاية ٥١/١٠ ، تاريخ مدينة دمشق ٣٢٧/٥٧ ، كما ينسب البيت الأول لأبي سلمة سبط الشاعر كثير ، الأغاني ٦/٩ .

(٢) تاريخ بغداد ١٠٨/١٣ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٤٢/٥٨ .

محلم المولود في السنة التي حجَّ فيها المنصور عام ١٤٨هـ[١] ، ولا يخفى عليك أن الكذبة السابقة حدثت عام ٧٢ هـ ، أي قبل ولادة راوي الخبر بـ ٧٦ عامًا .

٣) أيتمتموني صغيرة و أرملتموني كبيرة[٢] :

(جاء قوم من أهل الكوفة يسلّمون على سكينة بعد مقتل مصعب ، فقالت لهم : والله إني أبغضكم ، قتلتم جدي عليًا ، وأبي الحسين ، وأخي عليًا ، وزوجي مصعبًا ، فبأيِّ وجه تلقوني ؟ أيتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة)[٣].

إلصاق التهمة بالآخرين :

أحسبها قالت : أيتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة كما أرملتموني صغيرة حتى ينسجم هذا القول مع السياق التاريخي ، فمن المستبعد أن تنسى أبا عذرها عبدالله ابن الإمام الحسن عليه السلام ، والعرب تقول : (لا تنسى الشيباء أبا عذرها ،ولا قاتل بكرها)[٤].

لكنها محاولة لدفع التهمة عن الظالمين وإلصاقها بأهل الكوفة ، فإن عُرف أهل الكوفة بالغدر ، فلكونهم أداة طيِّعة في يد السلطان الذي غرسها في فخذ الرسالة المحمدية.

فلم يقتل مصعبًا أهل الكوفة ، وإنما قتله عبدالملك بن مروان وجنود الشام ، ولم يكن مصعب ليُعوّل على أهل الكوفة في حربه وقد مرّ عليك

---

(١) لسان الميزان لابن حجر ٤١٥/٥ .

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٩١٨/٢ ، درر السمط في خبر السبط لابن الأبَّار : ١١٥، المجدي في أنساب الطالبيين : ٩٢ .

(٣) الأغاني ١٦٧/١٦ ، العقد الفريد ٢٤٢/٥ ، عيون الأخبار ١٩١/١ .

(٤) شرح نهج البلاغة لأبي الحديد ٤٣/٨ .

أنه قتل منهم سبعة آلاف وتتبَّع الشيعة فلم يبقِ منهم أحدًا .

د) الأخبار التي تشير ضمنًا للزواج :

في حين أننا لم نقف على أخبار تُعنى بحياة السيدة سكينة عليها السلام مع مصعب بين مراسيم الزواج وقبيل الوفاة أي خلال خمس سنوات ، فقد وقفنا على أخبار تشير ضمنًا إلى وقوع الزواج وهي :

١) ذات البغال الستين :

ورد : أن عائشة بنت طلحة حجَّت في سنة وحجَّت سكينة أيضًا ، فكانت عائشة أحسن آلة وبغلاً ، فقال حاديها :

عائشُ يا ذاتَ البغالِ الستين لا زلتِ ما عشتِ كذا تحجِّين

فشقَّ ذلك على سكينة ، ونزل حاديها فقال من الرجز :

عائشُ هذي ضرَّةٌ تشكوكِ لولا أبوها ما اهتدى أبوكِ[1]

وعائشة في هذا الخبر هي ضرَّة سكينة ، خبر يدخل السرور في النفس إذ يضع الميزان الفارق بين الشخصيتين (لولا أبوها ما اهتدى أبوك) إلا أن أثر الصنعة الأدبية واضح لمن ألقى السمع وهو شهيد .

يدل على تلك الصنعة ما ذكره ابن عساكر عن أبي عثمان الجاحظ في كتاب البغال من أن عائشة لما وفدت على عبدالملك وأرادت الحج حملها وأحشامها على ستين بغلاً من بغال الملوك ، فقال عروة :

يا عيشُ يا ذاتَ البغالِ الستين أكلَّ عامٍ هكذا تحجّين[2]

وزاد صاحب الأغاني : فأرسلت إليه : نعم ياعُريَّة ، فتقدَّم إن شئت ، فكفَّ عنها[3] ، خبر بين عروة وعائشة لاطعم له ولا لون إلا إذا أدخل

---

(١) الأغاني ١١/١٩٣ ، الوافي بالوفيات ١٥/١٨٣ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٦٩/٢٤٩ ، المردفات من قريش ، نوادر المخطوطات ١/٨٠ .

(٣) الأغاني ١١/١٩٣ .

الوضاعون السيدة سكينة ﵁ ضمن ذلك الخبر .

٢) أشجع العرب :

من الأخبار التي تشير ضمنًا إلى تحقق زواج مصعب من السيدة سكينة ﵁ خبر واقع بعد مقتل مصعب ، جاء على لسان قاتله عبدالملك بن مروان ، إذ قال : أشجع العرب لرجل جمع بين سكينة بنت حسين وعائشة بنت طلحة... وولي العراقين سنين فأصاب ألف ألف وألف ألف وألف ألف ، وأعطي الأمان فأبى ومشى بسيفه حتى مات[١] .

أمّا شجاعة مصعب المزعومة فلأنه قتل الشيعة ، ونظائر ذلك في التاريخ أكثر من أن تُحصى ، وأمّا أنه أشجع العرب فقد دلّنا على ذلك قتله امرأة المختار صبرًا ،وخروجه كلَّ عام إلى باجميرا يريد الشام ثم يرجع حتى تهكّم بذلك الشعراء فقال قائلهم :

أكلَّ عامٍ لك باجُمَيْرا تغزو بنا ولا تُفيدُ خيرا[٢]

وأما إعطاؤه الأمان ، فهو أعرف بصاحبه عبدالملك بن مروان الذي أعطى الأمان لعمرو بن سعيد بن أبي العاص ، وكان مروان قد عهد إليه بولاية العهد فغدر به عبدالملك بعد أن أعطاه الأمان ، فقال يحي بن الحكم بن أبي العاص :

أعينيّ جودا بالدموعِ على عمرِو عشيَّةَ تُبتزُّ الخلافةُ بالغدرِ
كأنَّ بني مروانَ إذ يقتلُونه بُغاثٌ من الطيرِ اجتمعن على صقرِ
غدرتم بعمرٍو يابني خيطِ باطلٍ وأنتم ذوو قربى به وذوو صهرِ[٣]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٤٣/٥٨ ، وقريب منه في تاريخ الإسلام ٥٢٧/٥ ، البداية والنهاية ٣٥٢/٨ ، الأغاني ١٤١/١٩ .

(٢) الأغاني ١٣١/١٩ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٢٠/٥٨ .

(٣) نسب قريش للمصعب : ١٧٩ .

خبر دعائي لا ينسجم مع سيرة عبدالملك بن مروان ولا مصعب ، وقد سرّحت الفكر لأجد رابطًا بين الشجاعة والجمع بين زوجتين ، فلم أجد سوى روابط هزلية أثارت الضحك في نفسي ، وأظنك قادرًا على استحضار شيء من تلك الروابط الهزلية .

٣) كانت تسمِّيه الأمير :

ورد : ما كانت سكينة بنت الحسين تسمِّيه إلا الأمير حتى ماتت(١) . وكون مصعب أميرًا فهو له ، ولا يقول بغير ذلك إلاَّ معاند أو مكابر، ولكننا اعتدنا صرف كل ما ينسب لعائشة بنت طلحة إلى السيدة سكينة عليها السلام وهذا أحد نماذج ذلك الصرف ، إذ أن عائشة بنت طلحة ردَّت على النميري في خبر طويل بقولها : وإني غدوت مع أمير تزوَّجني إلى الشرق ، وكان ردُّها بعد أن أنشدها أبيات الحارث بن خالد فيها بعد زواجها من مصعب ، إذ يقول :

ظعن الأميرُ بأحسن الخَلْقِ وغدوا بلبِّك مطلعَ الشرقِ(٢)

ورب قائل يقول : ما المانع في صدور هذا الخبر من سكينة هذه وعائشة خاصة وأن مصعبًا أمير فعلاً ؟ وبالتالي قبول ما ورد وتشابه من المسماة سكينة وعائشة ،وسنجيب على هذا السؤال عند الحديث عن عائشة بنت طلحة .

٤) اجتماع الشعراء :

من الأخبار التي تشير ضمنًا إلى تحقق الزواج ما أورده ابن عساكر من أن اجتماع الشعراء عند السيدة سكينة عليها السلام كان وهي تحت مصعب بن

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٥٨/ ٢٢٠ .

(٢) الأغاني ٦/٢١٦ و ١١/١٩٦ .

الزبير[1].

وقد أوقفناك فيما سبق على استحالة اجتماع الشعراء وكذا اجتماع رواتهم ، وبالتالي بطلان الخبر .

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢١٣/٦٩ .

قرائن تستبعد زواج مصعب من السيدة سكينة عليها السلام :

إذا كان ما سبق من أخبار عبارة عن حكايا وقصص وأخبار مزيفة ، فهل هناك قرائن تستبعد زواج مصعب من السيدة سكينة عليها السلام؟ سأضع بين يديك قرينتين أدبية وتاريخية:

١) القرينة الأدبية :

إذا ما تتبّعنا سيرة عبيدالله بن قيس الرقيات شاعر مصعب ، والذي كان ملازمًا له حتى آخر لحظة من حياة ابن الزبير، وجدنا أنه أرّخ وسجّل لوقائع مصعب من خلال أشعاره في أهم فترة في حياة مصعب ، وهي زمن ولايته المتزامنة مع زواجه المزعوم من السيدة سكينة عليها السلام ، ومع ذلك لم نجد في ديوانه أيَّ وجود وأيَّ حضور للسيدة سكينة عليها السلام.

ولعل قائلاً يقول : إن الشاعر ـ وبناءً على العادات والتقاليد ـ تحرّج من ذكر حليلة المنعم والمغدق عليه بالعطاء ، فنجيبه بأننا نجزم بأنه لم يجد للسيدة سكينة عليها السلام وجودًا مع مصعب فلم يذكرها ، ووجد لعائشة بنت طلحة مكانًا ، فلم يتحرّج من ذكرها في حياة مصعب ، فقال :

إنّ الخليطَ قد ازمعوا تركي ... فوقفتُ في عرصاتِهم أبكي
جنّيَّةٌ برزت لِتَقْتُلَني ... مَطْلِيَّةُ الأصداغ بالمِسْكِ
عجبًا لمثلِك لا يكونُ له ... خرجُ العراقِ ومِنْبرُ المُلْكِ[1]

ولا يفوتك ما أوردناه من زيف أباطيلهم من أن السيدة سكينة عليها السلام ناقدة أدبية زمن زواجها بمصعب حتى أنك لن تجد شاعرًا في ذلك العصر لم يكن لها معه أو مع شعره موقف، ومع ذلك لم نجد لها موقفًا واحدًا مع شاعر زوجها الذي لازمه في ذات فترة الزواج المزعوم .

---

(١) الأغاني ١٦/٣٤٣ .

أحسب أن هذا الدليل الأدبي التاريخي على عدم وجود السيدة سكينة عليها السلام في شعر ابن قيس الرقيات ـ وهو شاعر زوجها المزعوم مصعب ـ يوجب الاطمئنان بل القطع بكذب تلك الأخبار على السيدة الجليلة .

٢) القرينة التاريخية :

جاء في الخبر : لما نظر أصحاب مصعب إلى كثرة جموع عبدالملك تواكلوا وشملهم الرعب ، فقال مصعب لعروة بن المغيرة وهو يسايره : ادنُ يا عرو أكلّمك ، فدنا منه ، فقال : أخبرني عن الحسين كيف صنع حين نزل به الأمر ، قال عروة : جعلت أحدّثه بحديث الحسين ، وما عرض عليه ابن زياد من النزول على حكمه، فأبى ذلك وصبر للموت ، فضرب مصعب معرفة دابته بالسوط ، ثم قال (متمثّلاً بأبيات سليمان بن قتة) :

فإن الأُلى بالطفِّ من آل هاشمٍ تأسَّوا فسنُّوا للكرامِ التأسِّيا[١]

عجبًا لمصعب كيف يسأل عروة عن أخبار والد زوجته التي عاشت في كنفه وبين أحضانه ـ على ذمة التاريخ ـ نحو خمس سنوات وهي حاضرة عنده كما يذكر التاريخ في مسكن حيث شهدت مقتله !.

ولعلك قائل : هو السائل العليم ولا غضاضة ، فيجيبك ابن عساكر في تاريخ دمشق على لسان عروة بن المغيرة : فأنشأت أحدّثه عن صبره وإبائه، وما عرض عليه وكراهية أن يدخل في طاعة عبيدالله بن زياد[٢].

أفكانت كل تلك التفاصيل جوابًا لسؤال المتأسي والسائل العليم ! أم كانت تلك التفاصيل مما غاب بعضه عنه على أقل تقدير ؟! أم أنه ما سأل حليلته عما جرى عليها وعلى عترتها ؟! أم أنه لم يكن متزوجًا من ابنة

---

(١) الأخبار الطوال : ٣١١ ، وقريب منه تاريخ الطبري ٦/٥ ، الكامل في التاريخ ٣٢٦/٤، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٢٩٨/٣ ، الأغاني ١٣٩/١٩ ، الموفقيات : ٤٣٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢٤٠/٥٨ .

الإمام الحسين عليه السلام؟! وهذا ما أراك قد تيّقنت به .

خلاصة زواجها من مصعب :

زواج يعتمد في شهرته على محورين : أحدهما قوائم الأزواج التي لا تصح في ذاتها وتتعارض مع غيرها وقد بيّنّا ذلك . والمحور الآخر : الأخبار الدالة على تحقق الزواج ، وهي أخبار لا تخلو من النزعة القصصية التي حاول واضعو التاريخ من خلالها الإساءة لبيت النبي صلى الله عليه وآله فجاءت قصصهم متهافتة ، فيها الخلط والتخبُّط والترديد بحيث لا تتوافق مع معطيات التاريخ ، فبين راوٍ لخبر يفصل بين الحدث وولادته أكثر من سبعين عامًا ، وآخر صبي في المهد ، وبين أشخاص حضروا الحدث قسرًا فإذا ما فتّشت وجدتهم قد ماتوا قبل الحدث ، وبين أبيات تَذْكر غيرها فتلصق بها ... ولعلنا تجنَّبنا الخوض في عدالة رواة تلك الأخبار ومصادرها ، وإلا ففي ذلك المنهج ما يكفي لتجنُّب ركوب الصعاب .

الخلاصة

أرادوا للسيدة سكينة عليها السلام أن تكون عائشة بنت طلحة .

أرادوا لمصعب أن يكون الإمام الحسين عليه السلام .

الخلاصة

إذا ما تتبَّعت سيرة الهاشميات وجدت أنهن النموذج الأكمل في علاقتهن مع الله وعلاقتهن مع الآخر ، فهن عنوان الكمالات والفضائل ، وقد أقر لهن التاريخ - رغم عناده وعداوته - بذلك ، وسطَّره بشيء من الإكبار والإجلال .

وإن تعجب فاعجب للنساء الداخلات في هذا البيت من غير أهله كيف ارتقين ذرى المجد حين تربَّين في بيوت الله، فضربن أروع النماذج في الفضائل والكمالات، وإن كان هذا حال الحرائر فالعجب كل العجب من الإماء اللواتي التصقن بهذا البيت فسَطَّرن أسماءهن بنور الخلود الأبدي، وحسبك سيدتي فضّة - رضوان الله عليها - نموذجًا على ما أدّعي .

فإذا كان ذلك حال الهاشميات ومن التصقن بهن من حرائر وإماء ، فكيف بسيدتي ومولاتي السيدة سكينة عليها السلام؟ وكيف لها أن تحتلَّ مكانة بين تلك الهاشميات فيقال عنها : عقيلة قريش وهي على غير نهجهن ؟ أفكان للعلماء مكان بين أهل صنعتهم إلا بتقدُّمهم في تلك الصنعة ؟!

ولعل هذا النموذج البشري الكامل هو ما أثار حفيظة من خطَّ التاريخ حين وجد نساءه على غير الجادة ، فراح يكيد للسيدة سكينة عليها السلام مكائده ويفتل حبائله ، فجنّد لهذه المهمة جلَّ معارف ذلك العصر من لغة وشعر وغناء وشخصيات عبثية وقصص وحكايات ومُلَح ، فحُملت لنا أخبار صوّرت لنا تلك السيدة الجليلة بصورة ماجنة لا تضاهيها أي صورة تاريخية، فإذا ما وضعت تلك الصورة أمام مناهج البحث العلمي لم تصمد ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1] .

هذه الصورة التاريخية المشوَّهة نالت من حياة السيدة سكينة عليها السلام بعد كربلاء بأساليب متنوعة ومختلفة تنبَّه لها المتقدِّمون ، فرَشَحت بعض

---

(١) الرعد : ١٧ .

عباراتهم بالتشكيك في تلك الأخبار التي تتعارض مع المكانة الرفيعة التي احتلّتها السيدة سكينة عليها السلام بين الهاشميات والقرشيات ، وتتنافى مع تواتر تقديس الموحدين لها عبر العصور ، ولا تجتمع مع قبول روايتها وعدِّها في الثقات ، ولا تتلاءم مع ما دلّت عليه الأخبار قبل كربلاء وفي كربلاء من تعظيم وتقديس لهذه الشخصية بين الهاشميات ، هذا التَّعظيم الذي يبلغ ذروته بشهادة المعصوم لها .

ولعله يكفينا أن نصل لهذه النتيجة والخلاصة بحيث نقف عند رفع التهمة وردِّ الشبهة ، ومعرفة أسباب ودوافع الكذب والتزييف على بيت النبوة دون الذهاب بها إلى أبعد من ذلك لولا وجود بعض القرائن والأدلة التاريخية التي تضع غيرها محلَّ اتهام ، فيا تُرى من هي سكينة الماجنة ؟

من هي سكينة ؟

سأضع بين يديك إشارات عابرة في نقاط :

١) ابنة مصعب اسمها سكينة ، ولها علاقة بعمر بن أبي ربيعة ، ولها سهم في الغناء .

٢) عائشة بنت طلحة زوجة مصعب ، يكني عنها عمر بن أبي ربيعة في شعره بسكينة .

٣) مصعب ـ على ذمة التاريخ ـ متزوج بالسيدة آمنة بنت الحسين عليهما السلام ولقبها سكينة .

٤) والدة مصعب هي الرباب الكلبية ، وكذلك والدة السيدة سكينة عليها السلام .

٥) أم سكينة هذه موجودة عام ٧٢هـ زمن مقتل مصعب ، وترفض زواج ابنتها من عبدالملك بن مروان ، وتقول : لا يتزوَّجها وقد قتل ابن أخي ـ تعني مصعبًا ـ في حين أن الرباب والدة السيدة سكينة عليها السلام قد توفيت قبل عشر

سنوات من زمن الحادثة .

كل ذلك وأمثاله جعل الباحثين في حياة السيدة سكينة عليها السلام يوجِّهون أصابع الاتهام نحو سكينة الزبيرية ، ويقولون : إن من وضع كل تلك الأحاديث استغلَّ تشابه الأسماء[1] .

لعل سكينة هي عائشة بنت طلحة :

هناك قرائن تشير إلى تعمُّد الكذب على السيدة سكينة عليها السلام ، وفي المقابل هنالك محاولة للتستُّر على عائشة بنت طلحة وإلصاق كل ما ورد في سيرتها بالسيدة سكينة عليها السلام ومن جملة تلك القرائن :

١) تعمُّد الكذب باستبدال اسم سكينة في كثير من المواضع ، ومن تلك الأمثلة استبدال عقيلة المغنية بالسيدة سكينة عليها السلام ،واستبدال خبر المرأة مع عروة بن أذينة ، واستبدال ماورد عن أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان وعاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبدالملك بن مروان ، واستبدال المغنين سعدى بسكينة .

٢) في مجال الغناء نجد أن المغنين يذكرون عائشة بنت طلحة في أغانيهم فتثيبهم السيدة سكينة عليها السلام على غنائهم كحادثة بشرى مع الحارث بن خالد وحديث الصَّوْرَينِ .

٣) في مجال الشعر نجد عمر بن أبي ربيعة يتعمَّد الكذب على السيدة سكينة عليها السلام ، ثم نجده يكني عن عائشة بنت طلحة بسكينة في شعره .

كما أننا نجد أشعارًا قيلت في عائشة بنت طلحة فتنسب للسيدة سكينة عليها السلام كشعر الحارث بن خالد ، وكأبيات بضع الفتاة .

---

(١) السيدة سكينة للمقرم : ١٠٣ ، عقيلة قريش آمنة بنت الحسين للسيد محمد علي الحلو: ٥١ .

٤) في مجال النقد نجد لعائشة بنت طلحة نقدًا موجهًا لأبيات العرجي ، فينسب للسيدة سكينة عليها السلام.

٥) كما أننا نجد أقوالاً لعائشة بنت طلحة كقولها لعزة : أنجزيها وعليّ إثمها ، وكقولها : أنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة ، تنسب أيضًا للسيدة سكينة عليها السلام.

أرادوا للسيدة سكينة عليها السلام أن تكون عائشة بنت طلحة :

لعل ما أوردناه لا يرقى لمستوى الدليل القطعي عند البعض ، ولكنها قرائن تكفي الحرَّ اللبيب ، إذ ربما قال قائل : لا يُستبعد أن تتطابق شخصية عائشة بنت طلحة مع شخصية السيدة سكينة عليها السلام فهما شخصيتان متماثلتان في بيئة واحدة ، بل ربما كانت عائشة بنت طلحة هي النموذج المحرَّف لا السيدة سكينة عليها السلام.

وللإجابة على مثل هذه التساؤلات ، نقرُّ ونسلِّم جدلاً بجواز التماثل بين الشخصيتين ، ولكننا لا نقبل بالتطابق الصوري الحرفي حتى في الأقوال والأفعال ، ويتضح ذلك من خلال :

١) إرادة التحريف المتعمد واستبدال اسم عائشة بسكينة ، والتستُّر على عائشة في كثير من المواضع .

٢) تعمُّد الإساءة ؛ إذ أننا نجد الخبر الواحد في الكتاب ذاته ينسب للسيدة سكينة عليها السلام فيكون في باب مواجن النساء ونوادرهن ، وينسب لعائشة بنت طلحة فيكون في باب ظراف النساء وأشعارهن[١] .

٣) إذا استطعنا إثبات أسبقية إحداهما على الأخرى يمكننا معرفة النموذج المحرَّف من النموذج الأصل ، إذ التحريف لاحق لا سابق للأصل .

---

(١) بلاغات النساء : ٢٠٦ و٢٤٤ .

ومثال ذلك أسبقية زواج عائشة من مصعب بألف ألف وقول الشاعر في ذلك أبياتًا ، فيكون النموذج المحرف هي السيدة سكينة عليها السلام.

كما أننا نجد أن عائشة بنت طلحة تقول : أنا أحسن من النار الموقدة لأبي هريرة المتوفى عام ٥٩هـ ، فينسب ذلك القول للسيدة سكينة عليها السلام حين زُفّت ـ على ذمة التاريخ ـ لمصعب عام ٦٧هـ .

ونجد أيضًا عائشة مغاضبة لمصعب وتتآمر مع أشعب على زوجها[(١)] ، فيصرف ذلك للسيدة سكينة عليها السلام مع زوجها المزعوم زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فتكون مغاضبة له وتتآمر مع أشعب أيضًا ، وزواج زيد من السيدة سكينة عليها السلام ـ على ذمة التاريخ ـ واقع بعد زواجها من مصعب بزوج أو زوجين .

جناية إثر جناية :

كأني بمن وضع التاريخ وزيّفه قد طعن بخنجره على الطعنة ، وضرب بمعوله على الضّربة ، فلم يكتفوا بصرف كل ما ورد في عائشة بنت طلحة إلى السيدة سكينة عليها السلام ، بل تجاوزوا في تطاولهم على مقام القداسة إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين .

فجعلوا لعائشة بنت طلحة سبحة [(٢)] كما للسيدة الصديقة الطاهرة الشهيدة فاطمة عليها السلام ، فكان أول الغيث قطرة ، ثم انهمر باطلهم فحاولوا صرف اللقب الإلهي ـ وهو سيدة نساء العالمين ـ لعائشة بنت طلحة ، فوجدنا الشعبي يقول في حق عائشة : هي سيدة نساء العالمين[(٣)] ، ونراها في موضع

---

(١) الأغاني ١٨١/١١ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢٥٢/٦٩ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢٥٥/٦٩ .

آخر تُلقب بسيدة نساء المسلمين[1]. فيا لله ويا للمسلمين إذ جعلوا عائشة بنت طلحة سيدة نسائهم!

(١) الأغاني ٢/٣٧٣ .

أرادوا لمصعب بن الزبير أن يكون الإمام الحسين عليه السلام :

ما كان يخطر في بال شجر أو حجر ـ فضلاً عن بشر ـ أن يصل التاريخ بجناياته إلى حدٍّ جعل فيه مصعب بن الزبير بإزاء الإمام الحسين عليه السلام ، ولو اجترّت الأنعام قراطيس هذه الأخبار للفظتها وأبتها ، ولكن العجب العجاب أن يقبلها خليفة الله في أرضه .

نعم أرادوا للسيدة سكينة عليها السلام أن تكون عائشة بنت طلحة وأرادوا لمصعب أن يكون الإمام الحسين عليه السلام فاضحك أو أطلق العنان لدموعك فالمشاعر المختلطة ليست ببَدْعٍ إذا ما هالتك ترّهات التاريخ وعبثه .

وأحسب أن الزبيريين ـ بعد زوال دولتهم ، وتعاقب بني أمية وبني العباس ـ قد نظروا بني هاشم فوجدوا ذكرهم قد طار في الآفاق ، فلم يطب رقادهم حتى جعلوا مصعبًا بإزاء الإمام الحسين عليه السلام إعلاء لدولتهم الزائلة ، ومحاولة لتخليد ذكراهم، وفي ذلك يقول ابن الجوزي : (زارت العامة قبر مصعب بمسكن كما يزار قبر الحسين)[1]. وجعلوا بإزاء يوم عاشوراء بعده بثمانية أيام يوم مصعب بن الزبير ، وزاروا قبره يومئذ بمسكن وبكوا عليه ونظروه بالحسين[2]. بل إنهم أقاموا عاشوراء مصعب وعيد دخول أبي بكر الغار زمنًا طويلاً[3].

هكذا أرادوا ، وهكذا كانت مشيئتهم ، فكان زواج مصعب من السيدة سكينة عليها السلام إحدى تلك الروابط العجيبة ، وقد سجّل لنا التاريخ جملة من الأخبار لا تخرج من دائرة تلك الروابط ومنها :

١) ما ورد من أبيات على لسان السيدة سكينة عليها السلام ترثي مصعبًا :

---

(١) موسوعة الغدير للأميني ١٩٤/٥ .

(٢) الصحيح من سيرة النبي للسيد جعفر مرتضى العاملي ٣١١/٤ .

(٣) عيد الغدير في الإسلام للأميني : ٩ ـ ١٠ .

فإن تَقتلُوه تَقْتُلُوا الماجدَ الذي ... يَرى الموتَ إلاَّ بالسيوفِ حَرَاما
وقَبلَك ما خاضَ (الحسينُ) مَنيَّةً ... إلى السّيفِ حتى أوردوه حِمَامَا [(١)]

إن المتأمِّل في البيتين السابقين يجد أنهما خارجان من فم لا يعرف مقام الإمامة ومكانتها ، ولا يفرِّق بين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ومقتل غيره، وفي ذلك كفاية لردِّ مثل هذه الأبيات .

٢) الخبر الوارد فيه قول السيدة سكينة عليها السلام لأهل الكوفة بعد مقتل مصعب: (أيتمتموني صغيرةً وأرملتموني كبيرة) [(٢)].

٣) مصعب بن الزبير هو المقتول الثابت في المعركة دون فرار ، المقدِّم ابنه للقتل وهو المذكور تحت عنوان أباة الضيم [(٣)] ، كما أنه المتمثِّل بأبيات فيها ذكر لفاجعة كربلاء :

فإن الأُلى بالطفِّ من آلِ هاشمٍ ... تأسَّوا فسنُّوا للكرامِ التأسِّيا [(٤)]

٤) عن عبدالملك بن عمير قال : رأيت رأس الحسين بن علي أتي به عبيدالله بن زياد ، ورأيت رأس عبيدالله بن زياد أتي به المختار بن أبي عبيد ، ورأيت رأس المختار أتي به مصعب بن الزبير ، ورأيت رأس مصعب بن الزبير أتي به عبدالملك بن مروان [(٥)].

فكان أول الرؤوس رأس المولى ـ روحي فداه ـ الإمام الحسين عليه السلام وآخر الرؤوس رأس مصعب .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٠٧/٦٩ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣٧٢/٧ .

(٢) أوقفناك على مصادر الخبر تحت عنوان (أيتمتموني صغيرة وأرملتموني كبيرة)

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤٩/٣ .

(٤) الأخبار الطوال : ٣١١ ، وقريب منه في: تاريخ الطبري ٦/٥ ، الكامل في التاريخ٣٢٦/٤ ،شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٢٩٨/٣ ،الأغاني ١٣٩/١٩ ، الموفقيات : ٤٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٤٣/٤ ، تاريخ اليعقوبي ٢٦٥/٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٤٤/٥٨.

٥) مصعب يحمل السيدة سكينة عليها السلام لأرض المعركة فتشهد مقتله[١] كما حملها الإمام الحسين عليه السلام وشهدت مصرع النور .

٦) ثم وجدنا سكينة هذه لا تملُّ من البكاء على مصعب ، ما فتأت تذكره[٢] ، وعرفت بعده غيره فلم تسله ولا خلَّت البكاء عليه عند ذكره[٣]!

٧) أما قاتل مصعب فهو لا ينتفع بنفسه حتى كلَّ جسمه[٤] .

٨) تزوَّجت عائشة بنت طلحة مصعب بن الزبير وكانت شرسة الأخلاق وكذلك نساء بني تيم ، وكانت عند الحسين بن علي أم إسحاق بنت طلحة، وكان يقول : والله لربما حملت ووضعت وهي مصارمة لي لا تكلِّمني[٥] .

خبر يربط بين الإمام الحسين عليه السلام ومصعب برابط عجيب يهدف للإساءة من مقام الإمامة وهذا ما يتضح من ذيل الخبر .

---

(١) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ٢٩٦/٣ ـ ٢٩٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢٤٥/٥٨ .

(٣) المجدي في أنساب الطالبيين : ٩٢ .

(٤) الأغاني ١٨٨/١٤ .

(٥) الوافي بالوفيات للصفدي ٣٤٣/١٦ ، ونقل هذا القول المدائني في المردفات : ٨٥ ، ونسبه للحسن ابن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام وكانت عنده ابنة طلحة بن عمر بن عبيدالله .

وقفة الختام

ستظلُّ سيدتي آمنة الملَّقبة بسكينة شامخة ، ينحدر عنها السيل ، ولا يرقى إليها الطير ....

وستظلُّ عنوانًا للكمالات ، ونموذجًا بشريًا للعابدات المستغرقات ...

وستظلُّ أحد مصاديق الصون والعفاف لربَّات الحجال ...

وستبقى أبد الآبدين مهوى أفئدة الموحِّدين المتعبِّدين بقوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1]

(١) الشورى : ٢٣.

المصادر

القرآن الكريم .

١ـ الاحتجاج للشيخ الطبرسي ، تعليق وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان ،١٣٨٦/١٩٩٦م دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف .

٢ـ الأخبار الطوال للدينوري ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، ط١ ، ١٩٦٠ م ، دار إحياء الكتاب العربي ، منشورات الشريف الرضي ، القاهرة .

٣ـ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ، تحقيق الدكتور سامي العاني ط٢ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

٤ـ اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ، تصحيح وتعليق ميرداماد الأسترابادي ، ١٤٠٤هـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، إيران .

٥ـ الأدب الإسلامي وتاريخه في عصور صدر الإسلام ،الدكتور عابد توفيق ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، مركز عبادي ، صنعاء ، الجمهورية اليمنية .

٦ـ الإرشاد للشيخ المفيد ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث ، ط٢ ، ١٤١٤/١٩٣٣، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان .

٧ـ استفتاءات السيد علي السيستاني ، السؤال رقم ٢١٢١ .

٨ ـ الاستيعاب لابن عبدالبر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

٩ـ أسد الغابة لابن الأثير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٠ـ إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى ﷺ وفضائل أهل بيته الطاهرين لأبي العرفان محمد بن علي الصبان المصري ، المطبوع بهامش نور الأبصار للشبلنجي ط١ ، مصر .

١١ـ الإصابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عادل عبدالموجود ، والشيخ علي معوض ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

لبنان .

١٢ـ أصدق الأخبار للسيد محسن الأمين ، ١٣٣١هـ ، مطبعة العرفان، صيدا ، لبنان .

١٣ـ الأعلام لخير الدين الزركلي ، ط٥ ، ١٩٨٠م ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان .

١٤ـ إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، قم ، إيران .

١٥ـ أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لعمر كحالة ، ط١٠ ، ١٤١٢ـ١٩٩١م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

١٦ـ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ، تحقيق وتخريج حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

١٧ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبد أ . علي مهنا والأستاذ سمير جابر ، ط٤ ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م ، منشورات علي بيضون . ونسخة ساسي .

١٨ـ إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ، تحقيق جواد القيومي الإصفهاني، ط١ ، ١٤١٤هـ ، مكتب الإعلام الإسلامي .

١٩ـ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، علاء الدين مغلطاي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، مطبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر .

٢٠ـ إكمال الكمال لابن ماكولا ، دار الكتاب الإسلامي ، مطبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر .

٢١ـ أمالي الزجاج ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

٢٢ـ الأمالي للشيخ الصدوق ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ـ

مؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٧هـ ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم ، إيران.

٢٣ـ الأمالي للطوسي ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٤هـ ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ،قم ، إيران.

٢٤ـ الأمالي للسيد المرتضى ، تصحيح وتعليق السيد محمد الحلبي ، ط١ ، ١٣٢٥هـ ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي .

٢٥ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة ، تحقيق طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع . ونسخة أخرى تحقيق علي الشيري ط١ ، ١٤١٣هـ مطبعة أمير ، قم ، إيران.

٢٦ـ الإمام جعفر الصادق ، عبدالحليم الجندي ، إشراف محمد توفيق عويضة ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة .

٢٧ـ إمتاع الأسماع للمقريزي ، تحقيق وتعليق محمد عبدالحميد النميسي ، ط١ ، ١٤٢٠/١٩٩٩م ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .

٢٨ـ الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق وتعليق وفهرسة غريد الشيخ محمد وإيمان الشيخ محمد ، ط١ ، ١٤٢٥ـ ٢٠٠٤م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٩ـ أنساب الأشراف للبلاذري ، تحقيق الدكتور محمد حميدالله أخرجه معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر . ونسخة أخرى تحقيق الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي بإشراف مكتب البحوث في الدراسات ، ط١ ، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م دار الفكر للطباعة ، بيروت ، لبنان .

٣٠ـ الأنساب للسمعاني ، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان .

٣١ـ أنصار الحسين عليه السلام ، محمد مهدي شمس الدين ، ط٢ ، ١٤٠١ـ١٩٨١م ، الدار الإسلامية .

٣٢ـ الأنوار البهية ، الشيخ عباس القمي ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة ، إيران .

٣٣ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ المجلسي ط٢ المصححة ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، لبنان .

٣٤ـ البداية والنهاية ، ابن كثير الدمشقي ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٣٥ـ بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ، لأبي جعفر محمد ابن الحسن بن فروخ الصفار ، ١٤٠٤هـ ق / ١٣٦٢هـ ش ، منشورات الأعلمي ، طهران ، إيران .

٣٦ـ البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق الدكتورة وداد القاضي ، ط١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، دار صادر ،بيروت ، لبنان .

٣٧ـ بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام ، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، ضبطه واعتنى به بركات يوسف هبود ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان . ونسخة أخرى منشورات مكتبة بصيرتي، قم ، إيران.

٣٨ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، ط١٤١٤هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٣٩ـ تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ، ط١٩٣٣م ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤٠ـ تاريخ الأدب العربي ، بلاشير ، ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر ، دمشق ، سورية .

٤١ـ تاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي ، الدكتور شوقي ضيف ، ط١٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

٤٢ـ تاريخ الإسلام للذهبي ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان.

٤٣ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، للخطيب البغدادي ، ط١ ،١٤١٧هـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٤٤ـ تاريخ خليفة بن خياط ، خليفة بن خياط العصفري ،ط١٤١٤هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٤٥ـ التاريخ الصغير ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط ١٤٠٦هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٤٦ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط١٤٠٣هـ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .

٤٧ـ التاريخ الكبير ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري،دار الكتب العلمية ،لبنان ، بيروت.

٤٨ـ تاريخ المدينة ، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري ، ط١٤١٠هـ ، دار الفكر ، قم ، إيران .

٤٩ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ط ١٤١٥هـ ، دار الفكر ، بيروت لبنان . ونسخة أخرى طبع دمشق تحقيق سكينة الشهابي .

٥٠ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، الدكتور إحسان عباس ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، دار الشروق ، عمان ، الأردن .

٥١ـ تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٥٢ـ تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطايب ، أحمد ابن أحمد شهاب الدين القليوبي الشافعي المصري ، المطبوع في كنوز العلويين ومآثر الفاطميين ، ط١ ، ١٤٢٩هـ ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان.

٥٣ـ تذكرة الخواص ، يوسف بن فرغلي الحنفي (سبط ابن الجوزي) مكتبة نينوى الحديثة ، طهران ، إيران . ونسخة أخرى تعليق وحواشي خالد عبدالغني محفوظ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان .

٥٤ـ تذكرة الفقهاء ، العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر ، ط١، ١٤١٤هـ ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، إيران .

٥٥ـ تراجم أعلام النساء ، الشيخ محمد حسين الأعلمي ، ط١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

٥٦ـ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ، تحقيق السيد عبدالعزيز الطباطبائي ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم المقدسة ، إيران .

٥٧ـ التطور والتجديد في الشعر الأموي ، د. شوقي ضيف ، ط١١ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

٥٨ـ تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات شرح شواهد الكشاف ، محب الدين الأفندي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٥٩ـ تهذيب الأسماء واللغات ، النووي أبو زكريا محيي الدين بن شرف ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان .

٦٠ـ تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط٢ ،

١٤١٥هـ ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

٦١ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف المزي ، ط٤ ، ١٤٠٦هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٦٢ـ الثاقب في المناقب ، محمد بن علي الطوسي (ابن حمزة) ، ط٢ ، ١٤١٢هـ ،مؤسسة أنصاريان ، قم المقدسة ، إيران .

٦٣ـ الثقات ، محمد بن حبان ، ط١ ، ١٣٩٣هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند .

٦٤ـ جامع أحاديث الشيعة ، السيد حسين البروجردي الطباطبائي ، ط١٣٩٩هـ ، المطبعة العلمية ، قم المقدسة ، إيران .

٦٥ـ جريدة الوطن ، نساء مكّيات ، محمود عبدالغني الصباغ ، العدد ٢٤٢٦السنة السابعة ، الثلاثاء ٥جمادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق ٢٢ مايو ٢٠٠٧م .

٦٦ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها ، الزبير بن بكار ، ط٢ ، ١٤١٩هـ ، دار اليمامة ، من مطبوعات مجلة العرب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٦٧ـ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، الشيخ محمد حسن النجفي ، ط١٣٦٥هـ ش، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، إيران .

٦٨ـ الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ، للبري محمد الأنصاري ، ط١٤٠٢هـ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .

٦٩ـ حب عمر بن أبي ربيعة وشعره ، الدكتور زكي مبارك ، الطبعة الأولى .

٧٠ـ حياة الإمام الحسين عليه السلام لباقر شريف القرشي ، ط١ ، ١٣٩٤هـ ، مطبعة الآداب ،النجف الأشرف ، العراق .

٧١- الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي ، ط ١٤٠٩هـ ، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة ، إيران.

٧٢- خزانة الأدب ، البغدادي ، ط١ ، ١٩٩٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٧٣- خصائص الأئمة عليهم السلام ، الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين ابن موسى الموسوي البغدادي ، ط١٤٠٦هـ ، مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ، إيران .

٧٤- الخوارج والشيعة المعارضة السياسية الدينية ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي ، ط٥ ، ١٩٩٨م ، دار الجليل ، القاهرة، مصر .

٧٥- دائرة المعارف الإسلامية المترجمة للعربية عن الأصلين الإنجليزي والفرنسي ،طبعة انتشارات جهان .

٧٦- دراسة في مصادر الأدب ، الدكتور الطاهر أحمد مكي ، ط٨ ، ١٤١٩هـ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر .

٧٧- درر السمط في خبر السبط ، ابن الأبار أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٧٨- الدر النظيم ، ، جمال الدين يوسف بن حاتم العاملي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة ، إيران .

٧٩- ديوان الأحوص الأنصاري ، تحقيق وشرح سعدي ضناوي ، ط١ ، ١٩٩٨م ،دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٨٠ - ديوان العرجي ، جمعه وحققه الدكتور سجيع الجبيلي ، ط١ ، ١٩٩٨م ،دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٨١ - ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط١٤٠٧هـ، ونسخة أخرى، تحقيق عبدالرحمن المصطاوي، ط١ ، ١٤٢٨هـ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان .

٨٢ - ديوان الكميت ، تحقيق محمد نبيل طريفي ، ط١ ، ٢٠٠٠م،دار صادر ، بيروت ، لبنان.

٨٣ - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، أحمد بن عبدالله الطبري،ط ١٣٥٦هـ ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، مصر .

٨٤ - ذوب النضار في شرح الثار ، ابن نما الحلي جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة ، إيران .

٨٥ - رجال ابن داوود ، تقي الدين الحسن بن علي بن داوودالحلي ، ط١٣٩٢هـ ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، العراق .

٨٦ - رحماء بينهم - التراحم بين آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، صالح بن عبدالله الدرويش ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الدمام ، المملكة العربية السعودية .

٨٧ - رحلة ابن بطوطة ، ابن بطوطة أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان .

٨٨ - الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية ،أبو القاسم عبدالرحمن الخثعمي السهيلي، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٨٩ - روضة الطالبين ، محيي الدين النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان .

٩٠- روضة الواعظين ، محمد بن الفتال النيسابوري ، منشورات الرضي، قم المقدسة ، إيران .

٩١- زهر الآداب وثمر الألباب ، القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري ، ط١٤٢٦هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

٩٢- سكينة بنت الحسين ، توفيق الفكيكي ، حديث الشهر ٥ ، ط٢ ، ١٣٦٩هـ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، العراق .

٩٣- سكينة بنت الحسين ، عائشة بنت عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٩٤- السيدة سكينة ابنة الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام ، عبدالرزاق الموسوي المقرم ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ ، مكتبة الألفين ، الكويت ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، لبنان .

٩٥- سنن ابن ماجة ، ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

٩٦- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، محمد بن عيسى الترمذي ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

٩٧- السنن الكبرى ، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، ط١ ، ١٤١١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٩٨- سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط٩ ، ١٤١٣هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٩٩- السيرة النبوية ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ط١٣٩٦هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

١٠٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، دار ابن كثير ، دمشق- سوريا ، بيروت ، لبنان .

١٠١- شرح إحقاق الحق ، السيد نورالله الحسيني المرعشي التستري ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم المقدسة ، إيران .

١٠٢- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، القاضي النعمان المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، إيران .

١٠٣- شرح أصول الكافي ، محمد صالح المازندراني ، ط١ ، ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١٠٤- الشرح الكبير على متن المقنع ، عبدالرحمن بن قدامة ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

١٠٥- شرح مسلم ، أبو زكريا محيي الدين بن شرف بن مري الحزامي الحواربي النووي ، ط١٤٠٧هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٠٦- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ط١ ، ١٣٧٨هـ ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٠٧- الشعر والشعراء ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، طبع في مدينة لَيْدن المحروسة بمطبعة بريل ، سنة ١٩٠٢المسيحية ، دار صادر .

١٠٨- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) إسماعيل بن حماد الجوهري، ط٤ ، ١٤٠٧هـ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

١٠٩- صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

١١٠- الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، السيد جعفر مرتضى العاملي ، ط٤ ، ١٤١٥هـ دار الهادي ، بيروت ، لبنان .

١١١- الصحيفة السجادية الكاملة ورسالة الحقوق ، الإمام زين العابدين(ع) ، ط١ ،١٤٢٦هـ ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان .

١١٢- الصراط المستقيم ، علي بن يونس العاملي ، ط١ ، ١٣٨٤هـ ، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية .

١١٣- صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات لسماحة آية الله العظمى

السيد أبو القاسم الخوئي مع تعليق وملحق لسماحة آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، مطبعة سلمان الفارسي.

١١٤ـ طبقات خليفة ، خليفة بن خياط العصفري ، ط١٤١٤هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

١١٥ـ طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، دار المدني ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

١١٦ـ الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١١٧ـ عبق من السيرة الحسينية ، عارف آل سنبل ، ط١ ، ١٤٣٠هـ ، مؤسسة طيبة لإحياء التراث ، قم المقدسة ، إيران .

١١٨ـ العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ، ط١٤٢٨هـ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

١١٩ـ عقيلة قريش آمنة بنت الحسين عليها السلام الملقبة بسكينة، السيد محمد علي الحلو ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ ، مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية ، قم ، إيران .

١٢٠ـ العقيلة والفواطم ، حسين الشاكري ، مطبعة ستارة ، قم المقدسة، إيران .

١٢١ـ علل الشرائع ، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط١٣٨٥هـ ، المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، العراق .

١٢٢ـ علم التاريخ ، الدكتور شوقي جمال ، ط٢٠٠٠م ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، مصر .

١٢٣ـ العمدة في نقد الشعر وتمحيصه ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٢٤ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، أحمد بن علي المعروف بابن عنبة ، ط٢ ، ١٣٨٠هـ ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، العراق.

١٢٥ـ عمدة القاري ، محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١٢٦ـ عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل ، د . يحيى شامي ، ط٣ ، ٢٠٠١م، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان .

١٢٧ـ عمربن أبي ربيعة المخزومي وفصل في تطور الغزل والنسيب في الشعر العربي، عمر فروخ ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

١٢٨ـ عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الإمام الحسين عليه السلام ، عبدالله البحراني الأصفهاني ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ، قم المقدسة ، إيران .

١٢٩ـ عيد الغدير في الإسلام ، الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني النجفي، إعداد الشيخ فارس تبريزيان الحسون .

١٣٠ـ عيون الأخبار ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

١٣١ـ الغارات ، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان .

١٣٢ـ الغدير ، الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني النجفي ، ط٤ ، ١٣٩٧هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٣٣ـ الفايق في غريب الحديث ، جارالله محمود بن عمر الزمخشري ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٣٤ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

١٣٥ـ الفتوح ، أحمد بن أعثم الكوفي ، ط١ ، ١٤١١هـ ، دار الأضواء للطباعة ، بيروت ، لبنان .

١٣٦ـ الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، ابن الصباغ المالكي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، دار الحديث ، قم المقدسة ، إيران .

١٣٧ـ فقه الصادق عليه السلام ، السيد محمد صادق الروحاني ، ط٣ ، ١٤١٢هـ ، مؤسسة دار الكتاب ، قم ، إيران .

١٣٨ـ فقه الرضا ، علي بن بابويه ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، إيران .

١٣٩ـ الفهرست ، ابن النديم محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق ، تحقيق رضا تجدد ، مطابقة مع مجموعة من النسخ .

١٤٠ـ قاموس الرجال ، الشيخ محمد تقي التستري ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المشرفة ، إيران .

١٤١ـ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، شرح ديباجة القاموس وجمعها الشيخ نصر الهوريني .

١٤٢ـ قرب الإسناد ، عبدالله بن جعفر الحميري القمي ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم المقدسة ، إيران .

١٤٣ـ الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة ، الذهبي أبو عبدالله محمد بن أحمد ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

١٤٤ـ كامل الزيارات ، جعفر بن محمد بن قولويه القمي ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي .

١٤٥ـ الكامل في اللغة والأدب ، المبرد أبو العباس محمد بن يزيد ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

١٤٦ـ الكامل في التاريخ ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير ، ط١٣٨٦هـ ، دار بيروت ، بيروت ، لبنان .

١٤٧ـ كتاب سليم بن قيس ، سليم بن قيس الهلالي الكوفي ، تحقيق محمد باقر الأنصاري . ونسخة أخرى منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .

١٤٨ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان .

١٤٩ـ الكنى والألقاب ، الشيخ عباس القمي ، مكتبة الصدر ، طهران، إيران .

١٥٠ـ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، ط١٤٠٥هـ ، نشر أدب الحوزة ، قم المقدسة ، إيران .

١٥١ـ لسان الميزان ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط٢ ، ١٣٩٠هـ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .

١٥٢ـ لمحات من تراث خليل الرحمن ، إعداد المهندس تحسين عبدالنبي النتشة ، كتاب إلكتروني على شبكة الإنترنت .

١٥٣ـ اللهوف في قتلى الطفوف ، السيد ابن طاووس ، أنوار الهدى ، قم، إيران .

١٥٤ـ مثير الأحزان ، محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي ، ط١٣٦٩هـ ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، العراق .

١٥٥ـ المجازات النبوية ، الشريف الرضي ، منشورات مكتبة بصيرتي ، قم ، إيران .

١٥٦ـ مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية ، الدكتور عبدالله بن سالم الخلف ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية .

١٥٧ـ المجدي في أنساب الطالبيين ، علي بن محمد العلوي العمري ،

ط١٤٠٩هـ ، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام ، قم ، إيران .

١٥٨ـ مجلة المنهل ٦شهر ذي القعدة سنة ١٣٦٥هـ .

١٥٩ـ مجلة النجمة المحمدية من كلمة تقديمية للعدد السابع الخاص لسماحة الدكتور محمد حبش عضو مجلس الشعب السوري ورئيس مركز الدراسات الإسلامية .

١٦٠ـ مجلة نور الإسلام العددان ٢٩و٣٠ السنة الثالثة محرم وصفر ١٤١٣هـ تموز آب ١٩٩٢م .

١٦١ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط١٤٠٨هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٦٢ـ المجموع شرح المهذب ، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

١٦٣ـ المحبر ، محمد بن حبيب البغدادي ، ط١٣٦١هـ ، مطبعة الدائرة .

١٦٤ـ المحاسن والمساوئ ، إبراهيم بن محمد البيهقي ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

١٦٥ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٦٦ـ المردفات من قريش للمدائني ، المطبوع ضمن نوادر المخطوطات تحقيق عبدالسلام هارون ، ط١ ، ١٤١١هـ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

١٦٧ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .

١٦٨ـ المزار ، محمد بن المشهدي ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، إيران .

١٦٩ـ المسائل السروية ، الشيخ المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد بن نعمان ابن المعلم العكبري البغدادي ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ، دار المفيد ، بيروت، لبنان .

١٧٠ـ مستدرك سفينة البحار ، الشيخ علي النمازي الشاهرودي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة ، إيران .

١٧١ـ المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

١٧٢ـ مستدركات علم رجال الحديث ، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ط١ ، ١٤١٢هـ ، مطبعة شفق ، طهران ، إيران .

١٧٣ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، الميرزا حسين النوري الطبرسي ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، بيروت، لبنان .

١٧٤ـ مسند أحمد ، أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٧٥ـ مشاهد ومزارات ومقامات آل البيت عليهم السلام في سورية ، هاشم عثمان، ط١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .

١٧٦ـ مشاهير علماء الأمصار ، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي، ط١ ، ١٤١١هـ ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر .

١٧٧ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ناصر الدين الأسد ، ط٦ ، ١٩٨٢م ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٧٨ـ مصباح الفقاهة ، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، ط١ ، العلمية ، قم ، إيران .

١٧٩ـ المصباح (جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية) إبراهيم بن علي الحسن الكفعمي ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .

١٨٠ـ المصنف ، ابن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي العبسي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

١٨١ـ المعارف ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . ونسخة أخرى معدلة لنفس دار الطبع ط٢ ، ١٤٢٤هـ .

١٨٢ـ معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، ط١٣٧٩هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، إيران .

١٨٣ـ معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ط١٣٩٩هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١٨٤ـ معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، ط٥ ، ١٤١٣هـ .

١٨٥ـ المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.

١٨٦ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ، عالم الكتب ، بيروت، لبنان .

١٨٧ـ المغانم المطابة في معالم طابة ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ط١ ، ١٣٨٩هـ ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

١٨٨ـ المغني ، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٨٩ـ مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الأصفهاني ، ط٢ ، ١٣٨٥هـ ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الأشرف ، مؤسسة دار

الكتاب ، قم المقدسة ، إيران .

١٩٠ـ مقتل الحسين عليه السلام ، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي أخطب خوارزم ، طبعة أنوار الهدى ، ١٤٢٣ هـ .

١٩١ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، السيد عبدالرزاق الموسوي المقرم ، مؤسسة البعثة ، طهران .

١٩٢ـ مقتل الحسين عليه السلام ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء المشتهر بمقتل أبي مخنف ، أبو مخنف الأزدي ،ط١ ، ١٤٠٣هـ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، لبنان .

١٩٣ـ الملاحم والفتن ، السيد ابن طاووس أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، مؤسسة صاحب الأمر عجل الله فرجه، قم ، إيران .

١٩٤ـ مناقب آل أبي طالب ، محمد بن علي بن شهرآشوب ، ط١٣٧٦هـ ، المكتبة والمطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، العراق .

١٩٥ـ من تاريخ الأدب العربي ، الدكتور طه حسين ، ط٥ ، ١٩٩١م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

١٩٦ـ المنتخب في جمع المراثي والخطب (الفخري) ، فخر الدين الطريحي النجفي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .

١٩٧ـ منتديات أبناء ليبيا موسوعة القبائل العربية . شبكة الإنترنت .

١٩٨ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٩٩ـ منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، الشيخ عباس القمي ، ط٢ ، ١٤١٦هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة، إيران .

٢٠٠ـ منتهى المطلب في تحقيق المذهب ، العلامة الحلي الحسن بن يوسف ابن المطهر ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد المقدسة ، إيران .

٢٠١ـ من لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، ط٢ ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة ، إيران .

٢٠٢ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر .

٢٠٣ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ، الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مجمع الفكر الإسلامي ، قم ، إيران .

٢٠٤ـ ميزان الاعتدال ، أحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط١ ، ١٣٨٢هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢٠٥ـ الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة ، إيران .

٢٠٦ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، أبو الحسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، ط١٣٨٣هـ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، مصر .

٢٠٧ـ نسب قريش ، أبو عبدالله مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

٢٠٨ـ نظم درر السمطين ، محمد بن يوسف الزرندي الحنفي ، ط١ ، ١٣٧٧هـ .

٢٠٩ـ النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ، ط٤ ، ١٣٦٤هـ ، مؤسسة

إسماعيليان للطباعة والنشر ، قم ، إيران .

٢١٠ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ﷺ ، الشيخ مؤمن الشبلنجي ،ط١٤٢٦هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

٢١١ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ ،علي بن أحمد السمهودي ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢١٢ـ الوافي بالوفيات ، خليل بن أبيك بن عبدالله الصفدي ، ط١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان .

٢١٣ـ وفيات الأئمة ، من علماء البحرين والقطيف ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، دار البلاغة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٢١٤ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

٢١٥ـ ينابيع المودة لذوي القربى ، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، ط١ ، ١٤١٦هـ ، دار الأسوة ، قم ، إيران .

المحتويات